

شَهِيدُ الْهَدْيِ

الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مَقَالَاتٌ وَأَبْحَاثٌ . . فِي السَّيْرَةِ وَالْعَقِيدَةِ

الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ مُصْطَفَى مَصْرِيٍّ الْعَامِلِي



شَهِيدُ الْهَدْيِ
الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

سلسلة العلم والإيمان (١٠)

شَهِيدُ الْهُدَى

الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مقالاتٌ وأبحاثٌ . . في السيرة والعقيدة

الشيخُ مُحَمَّدُ مُصْطَفَى مَصْرِيٍّ الْعَامِلِي

www.aliiman.net

mohammad@masrilb.net

الطبعة الأولى

بيروت، لبنان ١٤٤٦ هـ / ٢٠٢٤ م

منشورات

الجمعية العامليّة لإحياء التراث

للحصول على الكتاب:

من داخل لبنان: ٠٣٠٣٠٠٩٢

من خارج لبنان: ٠٠٩٦١٣٠٣٠٠٩٢

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

عندما وُلِدَ (القَمَرُ الأَزْهَرُ): الحسِينُ بنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ابْتَهَجَ الكونُ بما فيه، وقامت الملائكةُ صُفُوفاً بالتَّسْبِيحِ والتَّحْمِيدِ والتَّمجِيدِ والتَّكْبِيرِ، كرامةً لهذا المولود العظيم!

لكنَّ يومَ ولادته كانَ فَرِيداً: كانَ يومَ تَهْنِئَةٍ.. وتَعزِيَةٍ!
فنزل جبرائيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمرِ رَبِّهِ وخالقه على رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُهَيِّئُهُ، وَيُعزِّزُهُ بالمقتلِ الفَجِيعِ! واقترنَ اسمُ الحسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالحُزْنِ والألمِ.. والكربِ والبلاءِ!

لَمْ يَكُنْ كالحسِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَثِلاً فيما يَعهَدُ النَّاسُ: أُمًّا وَأبًّا.. جَدًّا وَأَخًّا! غيرِ الحسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لكنَّ يومه لم يكن كعاشوراءِ الحسِينِ..
فقال لأخيه عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَوْمَ كَيَوْمِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ!
وكانَ أفضلَ مَنْ اسْتُشْهِدَ.. وأرْفَعَ الشُّهَدَاءَ دَرَجَةً..

وَإِذَا كَانَ الْإِمَامُ وَاحِدَ دَهْرِهِ عِنْدَ الشَّيْعَةِ..
فَإِنَّ بَلَاءَاتِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ كَالْإِمَامِ.. فَرِيدَةً لَا مَثِيلَ لَهَا!
لَقَدْ ذُبِحَ: كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ مَظْلُومًا!
وَتَرِكَ: مَرْمَلًا بِالدَّمَاءِ.. مُقَطَّعَ الْأَعْضَاءِ!

لَقَدْ بَذَلَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُهَجَّتَهُ لِيَسْتَنْقِذَ عِبَادَ اللَّهِ.. مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ،
وَالْعَمَى وَالشُّكِّ وَالْأَرْتِيَابِ، إِلَى بَابِ الْهُدَى مِنَ الرَّدَى..
فَعَوَّضَهُ اللَّهُ مِنْ قَتْلِهِ: أَنَّ الْأُئِمَّةَ مِنْ نَسْلِهِ، وَالشِّفَاءَ فِي تُرْبَتِهِ، وَالْفَوْزَ مَعَهُ فِي
أَوْبَتِهِ، وَالْأَوْصِيَاءَ مِنْ عِثْرَتِهِ..

فِي عَاشُورَاءِ.. تَزَلْزَلَتْ نَوَامِيسُ الطَّبِيعَةِ.. وَاقْشَعَرَّتْ أَظْلَةُ الْعَرْشِ!
فِي يَوْمِ شَهَادَتِهِ.. عَجِبَتْ مِنْ صَبْرِهِ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ! إِنَّهُ يَوْمٌ أَبْكَى الْعَيُونَ قَبْلَ
حُلُولِهِ! بَكَتُهُ السَّمَاءُ وَمَنْ فِيهَا، وَالْأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَمَا يَطَّأُ لَابَتَيْهَا!

لَقَدْ سَأَلَتْ دِمَاءُ الْحُسَيْنِ.. فَأَقْرَحَ يَوْمُهُ أَجْفَانَ أَهْلِ الطُّهْرِ.. وَأَسْبَلَ
دَمُوعَهُمْ! وَاسْتَعْبَرَ الْمُؤْمِنُونَ.. عَلَى أَسِيرِ الْكُرْبَاتِ، وَقَتِيلِ الْعَبْرَاتِ!
لَقَدْ أَوْجَعَ يَوْمُهُ قُلُوبَهُمْ.. وَهَيَّجَ فِيهَا حَرَارَتَهَا.. فَمَنْ يَتَهَنَّأُ.. بِطَعَامٍ أَوْ
بِشَرَابٍ أَوْ نَوْمٍ!

في هذا الكتاب

أكثر من ٤٥ مقالاً وبحثاً.. عن الحسين بن عليٍّ عليه السلام ..
 عن شخصه الشريف .. وأهل بيته .. وصحبه ..
 عن شهادته المباركة .. وأسبابها .. وظروفها ..
 عن مقتله الفجيع .. والقلب الوجيع ..
 عن مصيبتة الدامية .. وكربه وبلائه ..
 عن أعدائه .. شياطين الجنِّ والإنس ..
 عن شعائره .. وأيامه .. وإحياء أمره ..
 عن زيارته .. والدمعة والبكاء عليه ..

أضعها بين يدي وليِّ الله الأعظم ..
 النَّادِبَ عَلَى جَدِّهِ صَبَاحاً وَمَسَاءً! الْبَاكِي عَلَيْهِ بَدَلَ الدَّمُوعِ دَمًا!
 فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ

مُحَمَّدُ مُصْطَفَى مَصْرِيٍّ الْعَامِلِيِّ

قُمَّ الْمُقَدَّسَةِ

صبيحة الجمعة .. التاسع عشر من شهر محرم الحرام ١٤٤٦ هـ

الموافق ٢٦ - ٧ - ٢٠٢٤ م

الفصل الأول: الحسين.. زينة العرش!

١. زينة عرش الله: الحسين بن عليّ!

بسم الله الرحمن الرحيم

في ثالث شعبان، أطلّ (القمرُ الأزهرُ) إلى الدنيا!

ذاك هو الحسين بن عليّ عليه السلام.

ولئن كانت كلُّ أسرةٍ تفرحُ بمولودها..

فلقد كان في ولادة الحسين عليه السلام حدثان لافتان:

الحدث الأول: التهنتة بالحسين

ولقد كانت تهنتةً عجيبةً، حين عمّت مظاهر الفرح السماوات والأرض.

وأوحى الله تعالى لرضوان خازن الجنان: أَنْ زَخِرِفِ الْجِنَانَ وَطَيَّبِهَا لِكِرَامَةِ

مَوْلُودِ وُلْدِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأوحى تعالى للحوار العين أن: تَزَيِّنَنَّ وَتَزَاوِرَنَّ لِكِرَامَةِ مَوْلُودِ وُلْدِ مُحَمَّدٍ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مُدَّ ذَاكَ، ابتهج الكونُ بما فيه لهذه الولادة الميمونة، وقامت الملائكة صفوفاً

بالتسبيح والتحميد والتمجيد والتكبير، كرامةً لهذا المولود العظيم.

ونزل ملائكةٌ يقال لهم (الروحانيون) على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأيديهم أطباقٌ من

نورٍ لتهنتته.

فصار هذا اليوم يوم فرحٍ وسرورٍ لكلِّ مؤمنٍ على وجه البسيطة.

الحدث الثاني: التعزية بالحسين!

إنَّ من عجائب يوم ولادة الحسين عليه السلام أنه يوم تهنئة.. وتعزية!
كيف ذلك؟!

لقد أمر الله تعالى جبرائيل أن يهبط في ذلك اليوم على النبي صلى الله عليه وآله في ألفِ قبيلٍ من الملائكة، كلُّ قبيلٍ ألفٍ منهم، على خيولٍ.. عليها قبابُ الدرِّ والياقوتِ.

ثمَّ أوحى الله تعالى لجبرائيل قائلاً:

وَهَنَّتْهُ وَعَزَّهُ!!

وَقُلْ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، يُقْتَلُهُ شِرَارُ أُمَّتِكَ، عَلَى شِرَارِ الدَّوَابِّ!

فَوَيْلٌ لِلْقَاتِلِ، وَوَيْلٌ لِلسَّائِقِ، وَوَيْلٌ لِلْقَائِدِ!

قَاتِلِ الْحُسَيْنِ أَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ مِنِّي بَرِيءٌ، لِأَنَّهُ لَا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدٌ إِلَّا وَقَاتِلُ الْحُسَيْنِ عليه السلام أَعْظَمَ جُرْمًا مِنْهُ! ^(١).

هو حَدَثٌ عَظِيمٌ.. عَجِيبٌ!! اقترنت فيه التهنئة والفرح، بالتعزية والحزن!
فَجَانِبٌ فِيهِ بُشْرَى بِالْوِلَادَةِ الْمِيمُونَةِ.

وآخر فيه تعزيةٌ بالفاجعة العظيمة! التي فاقت كلَّ ما عداها، فليس هناك
جُرْمٌ يَرْتَكِبُهُ أَحَدٌ سِوَاكَ مِنْ قَتْلِ الْحُسَيْنِ عليه السلام!

(١) كمال الدين ج ١ ص ٢٨٣.

ولئن كشف هذا الحديث بعض أحداث ذلك اليوم، فلقد كشف (حديث اللوح) بعضاً آخر.

ذاك حيث دخل جابر على فاطمة عليها السلام، وهنأها بولادة الحسين عليه السلام، ورأى في يدها لوحاً أخضر من زمرد، ورأى فيه كتاباً أبيض كلون الشمس، وكان اللوح هدية من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله، أعطاه النبي للزهراء ليشرها.

استنسخ جابر الكتاب، حتى لقي الإمام الباقر عليه السلام، فعرضه عليه، فأخرج الإمام صحيفةً وقرأ على جابر منها، فما خالف حرفاً حرفاً.

وكان في هذا الكتاب قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله:

وَأَكْرَمْتُكَ بِشِبْلَيْكَ وَسِبْطَيْكَ حَسَنٍ وَحُسَيْنٍ:

١. فَجَعَلْتُ حَسَنًا مَعْدِنَ عِلْمِي بَعْدَ انْقِضَاءِ مَدَّةِ أَبِيهِ.

٢. وَجَعَلْتُ حُسَيْنًا خَازِنَ وَحْيِي، وَأَكْرَمْتُهُ بِالشَّهَادَةِ، وَخَتَمْتُ لَهُ بِالسَّعَادَةِ، فَهُوَ أَفْضَلُ مَنْ اسْتَشْهَدَ، وَأَرْفَعُ الشُّهَدَاءَ دَرَجَةً، جَعَلْتُ كَلِمَتِي التَّامَّةَ مَعَهُ، وَحُجَّتِي الْبَالِغَةَ عِنْدَهُ، بَعَثْتَهُ أُثَيْبٌ وَأَعَاقِبُ^(١).

لقد صار الحسنان كرامةً من الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وآله.

وصارت شهادة الحسين عليه السلام كرامةً من الله تعالى له!

لقد كانت الزهراء تنظر في هذا الكتاب بعد ولادة الحسين عليه السلام، فاجتمع

في قلبها السرور بولادته.. والحزن على عظيم بلائه!

أمّا الحسين نفسه، فقد صار:

١. نوراً في الدنيا كالقمر، يُنيرُ الطريق لكلِّ مؤمنٍ عاقلٍ.

٢. وزينةً في الآخرة لعرش الله، تفوق كلَّ زينة!

أما في الدنيا، فقد روي عن عيسى عليه السلام أنه قال: مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدَّ زَارَ كَرْبَلَاءَ وَوَقَفَ عَلَيْهَا وَقَالَ: إِنَّكَ لَبُقْعَةٌ كَثِيرَةٌ الْحَيْرِ، فِيكَ يُدْفَنُ الْقَمَرُ الْأَزْهَرُ^(١).

وما كان نورٌ وجهه - وهو بعض نوره - خفياً حتى عن أعدائه! فهذا قاتله اللعين شمرٌ يقول: فَوَ اللَّهُ مَا رَأَيْتُ قَطُّ قَتِيلًا مُضْمَخًا بِدَمِهِ أَحْسَنَ مِنْهُ وَلَا أَنْوَرَ وَجْهًا، وَلَقَدْ شَغَلَنِي نُورُ وَجْهِهِ وَجَمَالَ هَيْئَتِهِ عَنِ الْفِكْرَةِ فِي قَتْلِهِ!^(٢).

وأما في الآخرة..

ففي الحديث الشريف عن رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ زُيِّنَ عَرْشُ الرَّحْمَنِ بِكُلِّ زِينَةٍ، ثُمَّ يُؤْتَى بِمَنْبَرَيْنِ مِنْ نُورٍ طُولُهُمَا مِائَةٌ مِيلًا، فَيُوضَعُ أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِ الْعَرْشِ. ثُمَّ يَأْتِي الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، يُزَيِّنُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِمَا عَرْشَهُ، كَمَا يُزَيِّنُ الْمَرْأَةَ قُرْطَاهَا^(٣).

فكيف ذلك!؟

إِنَّ لِلْعَرْشِ صِفَاتٍ كَثِيرَةً مُخْتَلِفَةً، وَلِكُلِّ مِنْهَا مَعْنَى.

لقد أُطْلِقَ (العرش) وأريد به العلم في بعض استعمالاته، وكان هو

(١) كامل الزيارات ص ٦٧.

(٢) اللهوف ص ١٢٨.

(٣) المناقب ج ٣ ص ٣٩٦، وقريب منه الأمالي للصدوق ص ١١٢.

و(الكرسي): بَابَانِ مِنْ أَكْبَرِ أَبْوَابِ الْغُيُوبِ، وَهُمَا جَمِيعاً غَيْبَانِ^(١).. وهذا البحث له محله.

وقد وُصِفَ العَرْشُ فِي الْقُرْآنِ تَارَةً بَأَنَّهُ: ﴿العَرْشُ الْعَظِيمُ﴾.

وَأُخْرَى بِأَنَّهُ: ﴿العَرْشُ الْمَجِيدُ﴾.

وِثَالِثَةٌ بِأَنَّهُ: ﴿العَرْشُ الْكَرِيمُ﴾.

لَكِنَّهُ عَلَى عَظَمَتِهِ لَيْسَ سَرِيرًا يَجْلِسُ عَلَيْهِ اللَّهُ تَعَالَى!

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَلَيْسَ الْعَرْشُ كَمَا تَظُنُّ كَهَيْئَةِ السَّرِيرِ، وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ مَحْدُودٌ مَخْلُوقٌ مُدَبَّرٌ، وَرَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ مَالِكُهُ، لَا أَنَّهُ عَلَيْهِ كَكَوْنِ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِحَمَلِهِ، فَهُمْ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ بِمَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ^(٢).

يُزَيَّنُ هَذَا الْعَرْشُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِكُلِّ زِينَةٍ.

ثُمَّ يَصِيرُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ زِينَةً لَهُ فَوْقَ كُلِّ زِينَةٍ!

فَمَا أَعْظَمَ هَذَا الْمَعْنَى!؟

هَذَا الْعَرْشُ لَيْسَ عَرْشًا يَحْمِلُ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِنْ قَلْنَا: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

الْعَرْشِ﴾^(٣)، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُحْمَلُ.

وَلَا عَرْشًا يَجُودِي اللَّهُ، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَجُودِي شَيْءًا.

بَلِ اللَّهُ هُوَ الْحَامِلُ لِلْعَرْشِ، وَالْمَمْسُوكُ لَهُ، وَالْمُسْتَوِي عَلَيْهِ، وَالْأَمْرُ لِلْمَلَائِكَةِ

(١) التوحيد للصدوق ص ٣٢١.

(٢) التوحيد ص ٣١٦.

(٣) الأعراف ٥٤.

بحمله: ﴿وَيَجْمَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً﴾^(١).

ولئن كان الله تعالى قد خَلَقَ العَرْشَ ولم يستوطنه (تعالى عن ذلك).. فَإِنَّهُ قد: أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ تَكْرِمَةً لَهُ وَإِعْظَامًا^(٢).. كما خلق بيتاً في الأرض ولم يسكنه وأضافه إلى نفسه إكراماً وإعظاماً.

وَمَنْ تَأَمَّلَ فِي عِظْمَةِ العَرْشِ، عَرَفَ شَيْئاً مِنْ مَعْنَى: (ثُمَّ يَأْتِي الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، يُزَيِّنُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِمَا عَرْشَهُ).

فالعرش مخلوق من أنوارٍ أربعة، كما عن أمير المؤمنين عليه السلام:

إِنَّ العَرْشَ خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ أَنْوَارٍ أَرْبَعَةٍ:

١. نُورٍ أَحْمَرَ مِنْهُ أَحْمَرَتِ الحُمْرَةُ.

٢. وَنُورٍ أَخْضَرَ مِنْهُ أَخْضَرَتِ الخُضْرَةُ.

٣. وَنُورٍ أَصْفَرَ مِنْهُ اصْفَرَّتِ الصُّفْرَةُ.

٤. وَنُورٍ أَبْيَضَ مِنْهُ أبيضَ البَيَاضِ، وَهُوَ العِلْمُ الَّذِي حَمَلَهُ اللهُ الحَمَلَةَ، وَذَلِكَ

نُورٌ مِنْ عَظَمَتِهِ^(٣).

وعن الصادق عليه السلام: الشَّمْسُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نُورِ الكُرْبِيِّ،

وَالكُرْبِيُّ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نُورِ العَرْشِ!^(٤).

(١) الحاققة ١٧.

(٢) كما عن الصادق عليه السلام، يراجع تصحيح اعتقادات الإمامية ص ٧٨.

(٣) الكافي ج ١ ص ١٢٩.

(٤) الكافي ج ١ ص ٩٨.

فنور الشمس الذي نراه لا يزيد عن كونه جزءاً من آلاف الأجزاء من نور العرش!

وَإِنَّ بَيْنَ الْقَائِمَةِ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ وَالْقَائِمَةِ الثَّانِيَةِ خَفَقَانُ الطَّيْرِ الْمُسْرِعِ
مَسِيرَةَ الْفِ عَامٍ!

وَالْعَرْشُ يُكْسَى كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ الْفَ لَوْنٍ مِنَ النُّورِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ
خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ! (١).

ولقد زينَ الله تعالى هذا العرش العظيم، بالمولود في هذا اليوم العظيم!
بالحسين الشهيد، وأخيه المسموم.

كما زينَ بها الجنة، فَمَا سَتُ كَمَا تَمِسُّ الْعُرُوسُ فَرَحًا! (٢).

فمن ذا الذي يدرك حقيقة هذين الإمامين العظيمين، ورفع منزلتهما؟!
ولئن كانت التهنئة بولادة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ عادة من عادات الشيعة المؤمنين،
والموالين المحبين، فإنَّ الحزن عليه، والبراءة من قاتليه، صارَ علامةً وشعاراً لهم.
فمن أصابه حزنٌ لذكر الحسين، وبكاه رحمةً وشفقةً عليه، حقَّ على الله تعالى
أن يدخله في أوسع أبواب رحمته.

لقد روي في بعض المصادر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ وبكى!

فقال: يا أبتاه تهنئني وتبكي؟

قال: نعم يا بنيّة، آجرك الله في مولودك هذا، فشهقت شهقة، وأخذت في

(١) روضة الواعظين ج ١ ص ٤٧.

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ١٢٧.

البكاء! (١).

العجيبُ أيضاً أنَّ دعاءَ يومِ ولادته الذي يدعو به المؤمنون تأسياً بإمامهم العسكري عليه السلام، قد تضمَّن ذكرَ شهادته، ففيه: اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ الْمَوْلُودِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، الْمَوْعُودِ بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ اسْتِهْلَالِهِ وَوِلَادَتِهِ!
بَكْتُهُ السَّمَاءُ وَمَنْ فِيهَا، وَالْأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَمَا يَطَّأُ لِابْتِيهَا!
قَتِيلِ الْعَبْرَةِ، وَسَيِّدِ الْأُسْرَةِ، الْمَمْدُودِ بِالنُّصْرَةِ يَوْمَ الْكُرَّةِ!
الْمُعَوَّضِ مِنْ قَتْلِهِ أَنَّ الْأَيْمَةَ مِنْ نَسْلِهِ، وَالشِّفَاءَ فِي تُرْبَتِهِ، وَالْفَوْزَ مَعَهُ فِي أَوْبَتِهِ،
وَالْأَوْصِيَاءَ مِنْ عِزَّتِهِ..

اللهمَّ وَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْيَوْمِ خَيْرَ مَوْهَبَةٍ، وَأَنْجِحْ لَنَا فِيهِ كُلَّ طَلَبَةٍ، كَمَا وَهَبْتَ الْحُسَيْنَ لِمُحَمَّدٍ جَدِّهِ، وَعَاذَ فُطْرُسَ بِمَهْدِهِ، فَنَحْنُ عَائِدُونَ بِقَبْرِهِ مِنْ بَعْدِهِ، نَشْهَدُ تُرْبَتَهُ، وَنَنْتَظِرُ أَوْبَتَهُ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢).

اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ كُلَّ ذَلِكَ، وَنَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِينَ غَرُّوهُ وَخَدَعُوهُ، وَخَذَلُوهُ وَغَدَرُوا بِهِ، وَمِنَ الَّذِينَ قَتَلُوهُ.

اللهمَّ اجعلنا ممن يفرح لفرحه، ويحزن لحزنه، وأحينا معه في كَرَّتِهِ، واحشُرنا يوم الحساب في زمرة.

أسعد الله أيامنا وأيامكم.. وكل عامٍ وأنتم بخير، والحمد لله رب العالمين (٣).

(١) حلية الأبرار ج ٤ ص ١١٠.

(٢) مصباح التهجد ج ٢ ص ٨٢٦.

(٣) الأربعاء ٣ شعبان ١٤٤٥ هـ الموافق ١٤ - ٢ - ٢٠٢٤ م.

الفصل الثاني: الحسين.. شهيد الهدى!

٢. الحسين.. شهيد الهدى.. والرشاد!

بسم الله الرحمن الرحيم

وَعَادَ عَاشُورُ بِالْأَحْزَانِ وَالْعَبْرَاتِ..

وَهَلَّ الْمُحَرَّمُ دُمُوعاً وَبُكَاءً وَدِمَاءً..

عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الشَّهِيدِ.. أَسِيرِ الْكُرْبَاتِ، وَقَتِيلِ الْعَبْرَاتِ.

وَعَادَ الشَّيْعَةُ إِلَى بُكَائِهِمْ وَالنَّوْحِ.

القلوبُ تعتصرُ أملاً، والعيونُ عبرى، والصُّدُورُ حرى، لقتل حزب الله

النُّجَبَاءِ، بحزب الشيطان الطُّلُقَاءِ.

ويتساءل مؤمنٌ:

لماذا قُتِلَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ!؟

مَهْمَا تَكَثَّرَتِ الرَّوْيُ، وَتَعَدَّدَتِ الْأَنْظَارُ، وَتَبَايَنَتِ الْأَفْهَامُ، وَاخْتَلَفَتِ زَوَايَا

النَّظَرِ، بَيْنَ الْمُحِبِّ وَالْمُبْغِضِ حَوْلَ مَا جَرَى فِي كَرْبَلَاءَ.. فَإِنَّ كُلَّ مِِنْظَارٍ عَلِيلٌ! مَا لَمْ

يَكُنْ مِِنْظَارَ الْكَمَالِ، الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ لِسَانُ الْمَعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَمَهْمَا أَدْرَكَ الْمُؤْمِنُ مِنْ فَضْلِ الْإِمَامِ وَفَضِيلَتِهِ، وَسَبَرَ أَغْوَارَ أَعْمَالِهِ، فَإِنَّهُ

يَرْجِعُ كَلِيلاً عَاجِزاً عَنِ إِدْرَاكِ حَقِيقَةِ ذَاتِهِ، وَأَبْعَادِ فِعَالِهِ.. فِتْلِكَ مَنَازِلُ لَهَا أَهْلُهَا

الْكُمَّلُ، وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْهُمْ كَانَ مُجَانِباً لِلصَّوَابِ، مُبْتَعِداً عَنِ لُبِّ اللَّبَابِ.

وَفِي كَلِمَاتِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَا يَكْشِفُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ سِرِّ الشَّهَادَةِ

العظيمة.. حينما يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ في زيارة جدّه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وَبَدَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ، لَيْسْتَ تَنْقُذَ عِبَادَكَ مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ، وَالْعَمَى وَالشُّكَّ
وَالْأَرْتِيَابِ، إِلَى بَابِ الْهُدَى مِنَ الرَّدَى^(١).

أو: إِلَى بَابِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ^(٢).

في هذا النصّ يكشفُ المعصوم عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الإمامَ ما بَدَلَ مُهْجَتَهُ طَلَبًا لِسُلْطَانٍ،
وَلَا رَغْبَةً فِي مَلِكٍ وَإِمَارَةٍ، وَهُوَ ابْنُ الْقَائِلِ عَنِ نَعْلِهِ: وَاللَّهِ، لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
إِمْرَتِكُمْ، إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا^(٣).

لقد بَدَلَ الإمامُ مهجته في سبيل الله، لِعَرَضِ سَامٍ يُحِبُّهُ اللهُ تَعَالَى، وَهُوَ إِنْقَاذُ
الْعِبَادِ، وَالْأَخْذُ بِيَدِهِمْ إِلَى (بَابِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ) وَ(بَابِ الْهُدَى مِنَ الرَّدَى)!
بهذا صَارَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَهِيدَ الْهُدَى.. وَالرَّشَادِ.. قَبْلَ أَنْ يَكُونَ شَهِيدَ
سَاحَاتِ الْقِتَالِ!

الْحُسَيْنُ بْنُ الْهُدَى!

الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

١. تَارَةً.. يَأْخُذُ بِيَدِ النَّاسِ إِلَى بَابِ الْهُدَى.

٢. وَتَارَةً أُخْرَى.. يَكُونُ هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَابَ الْهُدَى.

(١) كامل الزيارات ص ٢٢٣.

(٢) كتاب المزار ص ١٠٨.

(٣) نهج البلاغة ص ٧٦.

كما ورد في زيارته عليه السلام: أَشْهَدُ أَنَّكَ كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَبَابُ الْهُدَى^(١).

وفي زيارته يوم عرفة: أَنْتَ بَابُ الْهُدَى، وَإِمَامُ التُّقَى^(٢).

كما ورد ذلك في أمير المؤمنين وسائر الأئمة عليهم السلام.

فكيف ذلك؟! وما المراد من هذين المعنيين؟!

أما المعنى الأول: أَنَّ الْإِمَامَ عليه السلام يَأْخُذُ بِيَدِ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْهُدَى هُوَ طَرِيقُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾^(٣)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾^(٤).

وأما المعنى الثاني: أَنَّ الْإِمَامَ عليه السلام هُوَ الْهُدَى بِنَفْسِهِ، لِأَنَّهُ أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَالْإِمَامَةُ وَلِزُومِ اتِّبَاعِ الْإِمَامِ أَسُّ الْإِسْلَامِ بَعْدَ النَّبُوَّةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٥) حَيْثُ فَسَّرَهَا الْإِمَامُ بِقَوْلِهِ: ثُمَّ اهْتَدَى إِلَى وَلَايَتِنَا^(٦).

فَالْإِمَامُ بِنَفْسِهِ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْهُدَى، وَفِي كُلِّ فِعْلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ هُدًى لِلنَّاسِ، فِي حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ، فَكَيْفَ بِشَهَادَتِهِ وَصَبْرِهِ وَبَذْلِهِ نَفْسَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى؟!

(١) الكافي ج ٩ ص ٣٠٢.

(٢) إقبال الأعمال ج ١ ص ٣٣٣.

(٣) آل عمران ٧٣.

(٤) البقرة ١٢٠.

(٥) طه ٨٢.

(٦) بصائر الدرجات ج ١ ص ٧٨.

أَيْنَ الْهُدَى وَالرَّشَادُ؟!

لقد تَجَلَّى الْهُدَى.. كُلُّ الْهُدَى وَالرَّشَادِ فِي هَذِهِ الشَّهَادَةِ!
ولكن قد يسأل سائلٌ عن هذا الهدى الذي أرشدَ الإمامُ النَّاسَ اليه
بشهادته.

فِيُجَابُ:

إِنَّ الْهُدَى وَالرَّشَادَ نَقِيضُ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ.

وَأَيُّ غَيٍّ وَضَلَالٍ أَعْظَمُ مِمَّا وَقَعَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ حَتَّى قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَعَلَى الْإِسْلَامِ
السَّلَامُ إِذْ قَدْ بُلِيَتْ الْأُمَّةُ بِرَاعٍ مِثْلِ يَزِيدَ^(١).

لقد كانت الأمة تتجه نحو ضلالٍ مُطْلَقٍ لا مكانَ فيه لشيءٍ من الهداية، لكنَّ
الإمامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَدَلَ مُهْجَتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا لَطَلْبِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ، بَلْ لِيَنْقِذَ
مَنْ فِي قَلْبِهِ خَيْرٌ عَلَى مَرِّ الدَّهْرِ وَالْأَزْمَانِ، مِنَ الضَّلَالِ وَالظُّلُمَاتِ، إِلَى الْهُدَايَةِ
وَالنُّورِ وَالرَّشَادِ.

لقد تمثل الإنحرافُ بأمور منها:

١. الجهالة.
٢. حَيْرَةُ الضَّلَالَةِ.
٣. العمى.
٤. الشكُّ والارتياب.

(١) اللُّهُوفُ ص ٢٤.

وهذه تجتمع تارةً وتفترقُ أخرى:

١. فالجهالةُ إما مصدرُ الجهل، فهي نقيضُ العلم، أو العملُ بغير علم.
٢. وحيرة الضلالة، هي الترددُ وعدم الإهداء للصراط المستقيم، وهي ضدُّ الرِّشاد.

٣. والعمى هو التباس الأمور والجهل.

٤. والشكُّ والإرتياب نقيضُ اليقين.

والجامعُ بين السُّبُل المتفرقة هو الضلال والجهل والتردد والشكُّ والعمى!
والإمامُ يُجِرُّ العبادَ من كلِّ هذه الحالات، مها تكثرتُ صورها، وتعددت
نماذجها، ويأخذ بيدهم الى سبيل الله، وصراطه المستقيم.

ما أهمية الهدى؟!

ولقائل أن يقول:

هل يُعقلُ أن تكون شهادةُ الإمام لأجل هذا؟!

إنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَرَى مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ مُتَأَخِّرَةً بِمَرَاتِبٍ عَنِ شُؤْنِ الْأُمَّةِ
وَشَجُونَهَا، وَهَمُومَهَا وَبَلَاءَاتِهَا!

وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّ الصَّلَاحَ وَالْخَيْرَ كُلَّهُ فِي طَلْبِ الْحُكْمِ وَمُقَارَعَةِ الظَّالِمِينَ
بِالْقُوَّةِ مَهْمَا كَانَتِ الظُّرُوفُ.

فهل استشهاد الحسين عليه السلام لأجل الهداية وحسب؟! فصار شهيداً للهدى

والرِّشاد؟! ولماذا؟!

١. الْهُدَى هُوَ الْغِنَى

لَقَدْ غَفَلَ السَّائِلُ أَنْ يُنْقِذَ عِبَادَ اللَّهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ أَهْمٌ مِنْ كُلِّ مَا عَدَاهُ،
 فَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا عَلِيُّ لَا فَقْرَ أَشَدَّ مِنَ الْجَهْلِ^(١).
 فَمَنْ نَقَلَ النَّاسَ مِنْ ذُلِّ الْجَهْلِ إِلَى عِزِّ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ وَالتَّعَقُّلِ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى،
 فَإِنَّهُ قَدْ أَغْنَاهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَجَهُمْ، وَهُوَ الْغِنَى الَّذِي لَا فَقْرَ بَعْدَهُ.
 وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَإِيمُ اللَّهِ، لِأَنَّ يَهْدِي اللَّهُ عَلَى يَدَيْكَ رَجُلًا
 خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ^(٢).
 فَلَيْسَتْ الْهُدَايَةُ مِمَّا يَسْتَخْفُ بِهِ الْعُقَلَاءُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

٢. الْهُدَى مَسَاوِقٌ لِقَبُولِ الْأَعْمَالِ

وَعَفَلَ السَّائِلُ عَنْ قَوْلِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَثِيرُ الْعَمَلِ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى وَالْجَهْلِ
 مَرْدُودٌ^(٣).
 فَالْجَهَالَةُ الَّتِي يُنْقِذُ الْإِمَامُ الْعِبَادَ مِنْهَا تَمْنَعُ قَبُولَ الْأَعْمَالِ، وَالْأَعْمَالُ لَا تُقْبَلُ
 بِغَيْرِ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ.

(١) الكافي ج ١ ص ٢٦.

(٢) الكافي ج ٥ ص ٢٨.

(٣) الكافي ج ١ ص ١٧.

٣. الشكُّ طريقُ النار

كما غفلَ السائلُ أن: الشَّاكُّ لَا خَيْرَ فِيهِ^(١).

فَمَنْ بَلَغَ اليقينَ ثُمَّ تَرَكَ الشَّكَّ يَتَسَرَّبُ اليه، وَيُعْشَعِشُ فِي صدره، أخرجَه ذلكَ عن طريقِ الإيمان، كما في الحديث: لَا تَشْكُوا فَتَكْفُرُوا^(٢).

وكما في الحديث: إِنَّ الشَّكَّ وَالْمَعْصِيَةَ فِي النَّارِ، لَيْسَا مِنَّا وَلَا إِلَيْنَا^(٣).

وما مِن سبيلٍ للخلاصِ منه إلا بهدايةِ الإمامِ المعصومِ عليه السلام.

الشكُّ في أيامِ الحسين!

هكذا.. يُستشهدُ سيِّدُ الشهداءِ عليه السلام لِيُنقذَ عبادَ الله من الجهلِ والشكِّ

والضلالِ، ثُمَّ يَسْتَهْتِرُ كثيرٌ من الخلقِ بما ضحَّى لأجله سيِّدُ الشهداءِ!

لقد صارت أبوابُ علومِ السماءِ وطُرُقُ الهدى مفتوحةً أمامنا ببركةِ دمائه

سيِّدِ الشهداءِ، لكنَّ كثيرًا من الناسِ أعرَضوا عنها!

لقد أنقذَ الإمامُ المخلصينَ من عبادِ الله من كلِّ شكٍّ وريبةٍ باذِلًا دَمَهُ الطَّاهِرَ

لذلك..

لكنَّ علماءَ السَّوءِ في كلِّ زمانٍ يَبْئُثُونَ الشُّبُهَاتِ، ويزرعونَ الشكوكَ في ربوعِ

المؤمنينَ، يقولُ الإمامُ عنهم أَنَّهُم: يُدْخِلُونَ الشَّكَّ وَالشُّبُهَةَ عَلَى ضُعَفَاءِ شِيَعَتِنَا

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٩٩.

(٢) الكافي ج ١ ص ٤٥.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٤٠٠.

فَيُضِلُّوهُمْ!

لَا عَجَبَ حِينَهَا أَنْ يَصِيرَ هَوْلَاءَ: أَضُرُّ عَلَى ضُعْفَاءٍ شِيعَتِنَا مِنْ جَيْشِ يَزِيدَ
عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ! (١).

فجيش يزيد عجز عن أن يبطل هدى الحسين عليه السلام، وظل الإمام عليه السلام باباً
للهدى والرشاد، نوراً من أنوار الله في السماوات والأرض، وسيبقى كذلك الى
أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إن الخطأ من قدر الهداية وإنكار أهميتها، كالمشاركة مع أعداء الحسين عليه السلام
في سعيهم لإطفاء نور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

السَّلَامُ عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الشَّهِيدِ، السَّلَامُ عَلَى أَسِيرِ الْكُرْبَاتِ، وَقَتِيلِ
الْعَبْرَاتِ.

السلام على شهيد الهدى والرشاد.

وعظم الله أجورنا وأجوركم (٢).

(١) الاحتجاج ج ٢ ص ٤٥٨.

(٢) الثلاثاء ١ محرم ١٤٤٣ هـ الموافق ١٠ - ٨ - ٢٠٢١ م.

٣. إبليس.. رائد التشكيك!

بسم الله الرحمن الرحيم

الكمال غاية سامية لبني آدم المكرمين.

طريقه سلم العلم واليقين.. وعدوه ظلمات الجهل والشك.

وقد كان سعي الإنسان للعلم والمعرفة سبباً لما يورث النفس سكينهً واطمئناناً، وعند اليقين يأنس المؤمنُ بربه ونبيه ووليّه ودينه وكتابه.. وكلما كشف له عن مزيد بصيرةٍ أو غلّ في عالم القرب من خالقه والمنعم عليه، فلا يبقى بعدها محلٌّ للظنون والشكوك والأوهام.. فهو في عالم الحقيقة التي لا ينازعها منازع.

من ثمّ نطقت آيات الكتاب بالتمايز بين طريقي العلم والجهل، فقال تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

ولا يخلو طالبُ اليقين من إحدى حالتين:

الحالة الأولى: أن يكونَ في حالةٍ ضلالٍ وشكٍّ وحيرةٍ، فتدفعه الفطرة إلى البحث في كل الطرق ليخرج من هذه الظلمة، ويرشده العقل إلى ربه، ويأخذ بيده إلى أبواب الله تعالى، وحججه على خلقه.

وفي مرحلة بحثه قد يكون معذوراً لجهله غير المسبوق بالعلم، وقد لا يؤاخذ إلا بعد أن تتم عليه الحجة، ويظهر الحق عنده جلياً، فيحسُن منه اتّباعه، ويقبح منه اجتنابه.

(١) الزمر ٩.

الحالة الثانية: أن يكون مَنَّ وصل لليقين ويرجو زيادة الإيمان أو ثباته، وهذا حال المؤمنين جميعاً، فإنهم يسألون الله تعالى أن يثبتهم على ما بلغوه من يقين، وأن يزيد في إيمانهم.

لكنَّ هؤلاء المؤمنين واجهوا معضلةً تحاولُ سلبهم تلك الجوهرة الثمينة التي بلغوها بإيمانهم، لتنقلهم إلى مصاف الذي ﴿آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾^(١). فأمامهم جبهةٌ يقودها عدوُّهم إبليس، ليجعلهم ممن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، فيصيروا كالتي نقضت غزلها!

وقد استغل اللعين يوماً على آل الرسول عظيماً، يوم تقطع فيه قلبُ الرسول ﷺ وابنته البتول عاتقاً، وضجَّ فيه الخلق لله تعالى حُزناً على ما أصاب الحسين عاتقاً وصحبه.

فَجَعَلَهُ يَوْمَ فَرَحٍ وَسُرُورٍ!

وأعلن انتصاره على بني آدم بأن بلغ في هلاكهم الغاية!

ثم كشف لشياطينه برنامج العداية للبشر.. فأوضحه لنا رسول الله ﷺ لثلاث نغفل عنه يوماً من أيامنا.

وقد كشف فيه إبليس أوراقه، وبين طريقته وأسلوبه في هذا الصراع!

ففي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ:

إِنَّ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَطِيرُ فَرَحاً! فَيَجُولُ الْأَرْضَ كُلَّهَا بِشَيَاطِينِهِ وَعَفَارِيَّتِهِ!

فَيَقُولُ: يَا مَعَاشِرَ الشَّيَاطِينِ:

١. قَدْ أَدْرَكْنَا مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ الطَّلِبَةَ

٢. وَبَلَّغْنَا فِي هَلَاكِهِمُ الْغَايَةَ

٣. وَأَوْرَثْنَاهُمْ النَّارَ إِلَّا مَنْ اعْتَصَمَ بِهَذِهِ الْعِصَابَةِ

فَاجْعَلُوا شُغْلَكُمْ:

١. بِتَشْكِيكِ النَّاسِ فِيهِمْ

٢. وَحَمْلِهِمْ عَلَى عَدَاوَتِهِمْ

٣. وَإِغْرَائِهِمْ بِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ

حَتَّى تَسْتَحْكِمُوا ضَلَالَةَ الْخَلْقِ وَكُفْرَهُمْ، وَلَا يَنْجُو مِنْهُمْ نَاجٍ، وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ وَهُوَ كَذُوبٌ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ مَعَ عَدَاوَتِكُمْ عَمَلُ صَالِحٍ^(١)..

فلا نجاة لكم يا بني البشر إلا بالاعتصام بهذه العصابة: محمد وعترته

الطاهرين عليهم السلام.

وإنما جعل إبليس وجنوده همّهم وشغلهم في ثلاث خطوات:

أولها: (تشكيك الناس فيهم) أي في محمد وآله.

ثانيها: (حملهم على عداوتهم) فلا عداوة إذا حلّ اليقين بالعترة الطاهرة، وأمّا بعد التشكيك فإنّ باب العداوة للأطياب ينفّث على مصراعيه.

ثالثها: (إغراؤهم بهم وأوليائهم) فبعد التشكيك والعداوة يُطرق باب

(١) كامل الزيارات ص ٢٦٦.

الإغراء بهم، مهما كان لونه، مِنْ تَسَلُّطٍ وَأَذِيَّةٍ وَطُرْدٍ وَتَهْجِيرٍ وَقَتْلِ وَتَعْذِيبٍ!!
إنه إذاً (منهج التشكيك)، ورائده إبليس!

وأعوانه من شياطين الجن، يتلوهم شياطين الإنس، يُعِينُونَهُمْ بِطَرِيقٍ يَنْسِفُ
كل (يقين)! ويفتح الباب على كل عداوةٍ وأذيةٍ للعترة وأتباعهم.

وكانت البداية مع (التشكيك) لأن الشكَّ لا يجتمع مع اليقين ولا مع
الإيمان، فإذا حلَّ الشكَّ فرَّ اليقين، وصاحبه الإيمان!

وعن الباقر عليه السلام: لَا يَنْفَعُ مَعَ الشَّكِّ وَالْجُحُودِ عَمَلٌ!

وعن الصادق عليه السلام: مَنْ شَكَّ أَوْ ظَنَّ وَأَقَامَ عَلَى أَحَدِهِمَا أَحْبَبَ اللَّهُ عَمَلَهُ، إِنَّ
حُجَّةَ اللَّهِ هِيَ الْحُجَّةُ الْوَاضِحَةُ^(١).

وقد انتسبت لمنهج (التشكيك) مدارس إسلامية عديدة، تسمَّى بعضها
باسم أهل الحق، وخالف بعض التسمية.

وسواء علموا ما هم مُقَدِّمُونَ عَلَيْهِ أَمْ جَهِلُوا فَإِنَّهُمْ فِي سَفِينَةٍ وَاحِدَةٍ:

١. ففتنةٌ تشرُّ بذار التشكيك بحجة الانفتاح على الساحة! ولزوم العيش في
الهواء الطلق! وعدم التفاعل مع هذه المسألة أو تلك! ثم ما تلبث أن تُخْرِجَ
مدرستها جيلاً من المشككين بأمهات مسائل العقيدة الحقَّة!

٢. وثانيةٌ تزعم أنها تسعى نحو حرية الفكر، فترَوِّجُ للمتردِّية والنطيحة!
بحجة رجحان التعدُّد والتنوع في تفسير الدين! وأنَّ البحث عن الحق لا بدَّ أن
يكون بعد الغوص في كلِّ مناهج الباطل!

(١) الكافي ج ٢ ص ٤٠٠.

٣. وثالثة تشكك في مفردات عقائدية وفقهية وشعائرية تحت مسمى التنور! وتغرق في التنازل قولاً وفكراً وعقيدةً بعد التشكيك، بحجة رعاية الآخر! ويا ليت الرعاية كانت في أمور الدماء فهي أولى!

٤. ورابعة تدعي الإمامة لغير المعصوم، أو المرجعية لغير أهلها، فتورث الناس شكاً في الأئمة والعلماء!

وخامسة وسادسة وسابعة تتقاسم المهام.. ناشرة بذور الشك، سلاح إبليس الفتاك! ومن لا يوافقهم يُنعت بالتخلف والرجعية، أو بمحاربة الفكر، أو بالجهل وضعف الإيمان.

لكن هؤلاء غفلوا أو تغافلوا عن أن الشك إن ساغ فإنها يسوغ قبل اليقين، فإذا جاء اليقين لم يجز الشك.

فمن بنى بيتاً محكماً لا يزلزله بيده إن كان عاقلاً، وليس الشك بعد اليقين إلا هدماً لأسس الإيمان وأركانه وتضييعاً لنعم الله بالهداية.

يروى الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي الشريف: عن الحسين بن الحكم قال: كتبت إلى العبد الصالح عليه السلام (الإمام الكاظم عليه السلام) أخبره أنني شاكٌ وقد قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾^(١). وأنا أحب أن تريني شيئاً. فكتب عليه السلام: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ مُؤْمِنًا وَأَحَبَّ أَنْ يَزِدَادَ إِيمَانًا، وَأَنْتَ شَاكٌ، وَالشَّاكُّ لَا خَيْرَ فِيهِ!

وَكَتَبَ: إِنَّمَا الشُّكُّ مَا لَمْ يَأْتِ الْيَقِينَ، فَإِذَا جَاءَ الْيَقِينُ لَمْ يَجْزِ الشُّكُّ.

وَكَتَبَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ قَالَ: نَزَلَتْ فِي الشَّاكِّ^(١).

فَأَسْقَطَ الْإِمَامُ الْمُعْصُومُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كُلَّ شَبَهَةٍ لَهُوَلَاءَ.. وَبَيَّنَّ الْكَاطِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ أَهْلَ الشُّكِّ لَا خَيْرَ فِيهِمْ، وَأَنَّ كَثَرَتِهِمْ لَا تَخْرِجُهُمْ عَنْ عُنْوَانِ الْفَاسِقِينَ.

فَطَرِيقُ أَهْلِ الْحَقِّ هُوَ التَّمَسُّكُ بِالْعَقِيدَةِ، وَتَجَنُّبُ مَسَلِكِ التَّشْكِيكِ، الَّذِي لَطَالَمَا اِهْتَمَّ الْأُئِمَّةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِدَفْعِهِ لِرَفْعِ الْحَيْرَةِ عَنِ الشِّيْعَةِ، فَعَنِ الْإِمَامِ الْكَاطِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَلِيِّ بْنِ سُوَيْدٍ: رَأَيْتُ أَنْ أُفْسِرَ لَكَ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ، مَخَافَةَ أَنْ يَدْخُلَ الْحَيْرَةُ عَلَى ضُعْفَاءِ شِيْعَتِنَا مِنْ قِبَلِ جَهَالَتِهِمْ^(٢).

فَالْإِمَامُ يَفْسِرُ وَبَيِّنُ (مَخَافَةَ) أَنْ يَصَابَ الشِّيْعَةُ بِالْحَيْرَةِ لَجَهْلِهِمْ، وَهُوَلَاءَ يَنْقَلُونَ أَصْحَابَ الْيَقِينِ مِنَ الشِّيْعَةِ لِلشُّكِّ وَالْجَهْلِ!

وَالشُّكُّ يَنْتَشِرُ كَالْعُدْوَى، فَيَبْدَأُ بِصَغَائِرِ الْأُمُورِ، وَلَا يَنْتَهِي إِلَّا (بِالشُّكِّ فِيهِمْ)، ثُمَّ تُسْتَكْمَلُ الْمَسِيرَةُ بَعْدَاوَتِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ!

وَهَلْ كَانَ قِتَالُ الْفَجْرَةِ لِسَيِّدِ الشَّهَدَاءِ يَوْمَ الطِّفْلِ إِلَّا وَليدَ التَّشْكِيكِ ثُمَّ الْعِدَاوَةُ ثُمَّ الْإِغْرَاءُ بِقَتْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟! فَصَارَ يَوْمَ فَرِحَ لِإِبْلِيسَ وَزَبَانِيَّتِهِ عَلَيْهِمْ لِعَائِنِ اللَّهِ.

اللَّهُمَّ نَسْأَلُكَ حَسْنَ الْعَاقِبَةِ بِحَقِّ شَهِيدِ كَرْبَلَاءَ^(٣).

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٩٩.

(٢) الكافي ج ٨ ص ١٢٤.

(٣) ثاني أيام العزاء في شهر محرم الحرام ١٤٣٩ للهجرة.

٤. التوبة.. في أيام الحسين!

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِنِّي تَائِبٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِمَّا صَنَعْتُ!

فَتَرَى لِي مِنْ ذَلِكَ تَوْبَةً؟

هذه كلمات الحرّ الرياحي، في (أيام الحسين) عليه السلام، بعدما أقرّ على نفسه للإمام بأنه حبسه عن الرجوع، وجعجع به في مكانه، فضيق عليه فيه. لقد كان فعله في غاية الشناعة، حينما حبس إمام الزمان عن الرجوع إلى حيث يريد.

أما التضييق عليه فهو معصية كبيرة بلا شبهة، أقدم عليها الحرّ الرياحي، ثم أدرك عظيم فعله، فسأل الإمام: فَتَرَى لِي مِنْ ذَلِكَ تَوْبَةً؟ فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ عليه السلام: نَعَمْ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْكَ^(١).

وكانت توبة جعلت الحسين عليه السلام يمسح وجهه بعدما وضعوه بين يدي الإمام وبه رمق، ويقول له: أَنْتَ الْحُرُّ كَمَا سَمَّيْتَكُ أُمَّكَ، وَأَنْتَ الْحُرُّ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْتَ الْحُرُّ فِي الْآخِرَةِ^(٢).

وفي هذا الزمن.. في شهري الحزن والعزاء.. يجعل المؤمنون من (أيام الحسين) باباً للتوبة إلى الله تعالى، فتمحى ذنوبهم بذلك.

(١) الإرشاد ج ٢ ص ١٠٠.

(٢) تسلية المجالس ج ٢ ص ٢٨٢.

وكيف لا تمحى وقد قال الإمام الرضا عليه السلام: فَعَلَى مِثْلِ الْحُسَيْنِ فَلْيَبْكُ الْبَاكُونَ، فَإِنَّ الْبُكَاءَ يَحُطُّ الذُّنُوبَ الْعِظَامَ^(١).

ولكن.. يُحَاذِرُ الْمُؤْمِنَ ههنا حينما يرى أن الذنبَ ذنبان:

١. ذَنْبٌ يُوفِّقُ صاحبه للتوبة منه.

٢. وآخر لا يوفق لذلك.

ويخشى المؤمن من الوقوع في بعض تلك الذنوب التي تمنع التوبة، أو تخرجه من الإيثار وتجعله ممن خسر إيمانه وهو أعظم النعم الإلهية.

فما هي الذنوب التي يحاذر المؤمن من الوقوع فيها؟

إن من هذه الذنوب:

١. البدعة

فإن صاحبها لا يوفق للتوبة، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: أَيْبَى اللَّهُ لِصَاحِبِ الْبِدْعَةِ بِالتَّوْبَةِ.

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ ذَلِكَ؟

قَالَ: إِنَّهُ قَدْ أَشْرَبَ قَلْبَهُ حُبَّهَا^(٢).

إن المؤمن يهلك بالبدعة عند النظر بالرأي، والإعراض عن قول محمد وآله

عليهم السلام، وعند العمل بالمقاييس، وتفسير القرآن بالرأي، وعند الإفتاء بغير علم،

(١) الأمايلي للصدوق ص ١٢٨.

(٢) الكافي ج ١ ص ٥٤.

فكم حريُّ بالمؤمن أن يحاذر من بدء وقوع الفتن، حينما يُمزج الحق بالباطل، وتنطلي البدع والحدع والأباطيل على كثيرٍ من الخلق.

٢. الذنب الذي يُخرج من الإيمان

لقد روي عن أبي ذر الغفاري قوله: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ أَحَبَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ وَذَرَيْتَهُمَا مُخْلِصاً لَمْ تَلْفَحِ النَّارُ وَجَهَّهُ، وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ بِعَدَدِ رَمْلِ عَالِجٍ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَنْبُهُ ذَنْباً يُخْرِجُهُ مِنَ الْإِيمَانِ^(١).

لو وُضِعَتْ ذُنُوبُ الْمُؤْمِنِ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ فَكَانَتْ بَعْدَ الرَّمْلِ الْمَتْرَاكِمِ، وَوُضِعَ حُبُّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَذَرِيَّتِهِمَا بِإِخْلَاصٍ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى لَرَجَحَ حُبُّهُمْ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ. لكن هذا الحب لا ينفع لو أضاف العبد لهذه الذنوب الكثيرة ذنباً واحداً، هو الذنب الذي يُخرجه من الإيمان.

ما هو هذا الذنب الذي يغيّر الموازين ويقلبها؟!

هل هو قتل المؤمن؟ حيث ورد أن مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً (لِإِيمَانِهِ فَلَا تَوْبَةَ لَهُ)^(٢).
أم هو قتل الأنبياء والمعصومين؟! فيخرج العبد بقتلهم عن الإيمان رأساً؟!
أم هو قتال الإمام؟ كفعل طلحة والزبير فلم يوفقا للتوبة وإن أحبباً الإمام يوماً؟!

(١) كامل الزيارات ص ٥١.

(٢) الكافي ج ٧ ص ٢٧٦.

أم هو ذنبٌ بقي مجهولاً كي يحاذر المؤمن من اقتراف كلِّ الذنوب، كما ورد
 أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْفَى أَرْبَعًا فِي أَرْبَعٍ كَانَ مِنْهَا: وَأَخْفَى سَخَطَهُ فِي مَعْصِيَتِهِ، فَلَا
 تَسْتَصْغِرَنَّ شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَتِهِ، فَرَبِّمَا وَافَقَ سَخَطُهُ مَعْصِيَتَهُ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ^(١).

ههنا يحذر المؤمن من استصغار الذنوب، وإن كان يعلم طريق الخلاص من
 تبعاتها بالتوبة، أو بحسنة تمحوها، لأنه يخشى أن يغضب ربه ويخرج عن إيمانه
 بذنب يرتكبه.

٣. الاستغراق في المعاصي يودي إلى بغض آل محمد!

ههنا معادلة في غاية الخطورة، تُبين أن أمام الإنسان ثلاث مراحل قبل أن
 يدخل في دائرة المبغضين لآل محمد ﷺ!!

المرحلة الأولى: الأربعون جنة

يكون العبد محفوظاً من الله تعالى مستوراً عليه، فيعمل الكبائر حتى
 ينكشف ستره بعد ارتكابه أربعين كبيرة!

فمن أمير المؤمنين عليه السلام: مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ أَرْبَعُونَ جَنَّةً (سترًا) حَتَّى
 يَعْمَلَ أَرْبَعِينَ كَبِيرَةً، فَإِذَا عَمَلَ أَرْبَعِينَ كَبِيرَةً انْكَشَفَتْ عَنْهُ الْجَنَّةُ، فَيُوحِي اللَّهُ
 إِلَيْهِمْ أَنْ اسْتُرُوا عِبْدِي بِأَجْنِحَتِكُمْ، فَتَسْتُرُهُ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا.

(١) الخصال ج ١ ص ٢٠٩.

المرحلة الثانية: ستر الملائكة

بعدما انخفضت مرتبة هذا العبد لارتكابه أربعين كبيرة، وصارت الملائكة ساترة له رحمة من الله تعالى به، يزداد انغماساً في المعاصي والقبائح، فيسقط الله تعالى عنه ستر الملائكة هذا!

يصف أمير المؤمنين عليه السلام ذلك فيقول:

فَمَا يَدْعُ شَيْئاً مِنَ الْقَبِيحِ إِلَّا قَارَفَهُ، حَتَّى يَمْتَدِّحَ إِلَى النَّاسِ بِفِعْلِهِ الْقَبِيحِ،
فَيَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ هَذَا عَبْدُكَ مَا يَدْعُ شَيْئاً إِلَّا رَكِبَهُ، وَإِنَّا لَنَسْتَحْيِي مِمَّا يَصْنَعُ.
فَيُوحِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ أَنْ: ارْفَعُوا أَجْنِحَتَكُمْ عَنْهُ.

المرحلة الثالثة: بغض آل محمد عليهم السلام!

ترتفع أجنحة الملائكة عن هذا العبد، فيخرج من عز الولاية إلى ذلّ البغض لمحمد وآله عليهم السلام!

يقول الإمام عليه السلام: فَإِذَا فُعِلَ ذَلِكَ، أَخَذَ فِي بُغْضِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْهَتُكَ سِتْرُهُ فِي السَّمَاءِ وَسِتْرُهُ فِي الْأَرْضِ^(١).

يُلَخِّصُ ذَلِكَ مَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

يَا عِبَادَ اللَّهِ، فَاحْذَرُوا الْإِنَّمَاكَ فِي الْمَعَاصِي وَالتَّهَاؤُنِ بِهَا، فَإِنَّ الْمَعَاصِي:

١. يَسْتَوْلِي بِهَا الْخِذْلَانَ عَلَى صَاحِبِهَا حَتَّى يُوقِعَهُ فِيهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا، فَلَا يَزَالُ يَعْصِي وَيَتَهَاوَنُ وَيُخْذَلُ وَيُوقِعُ فِيهَا هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا جَنَى

٢. حَتَّى يُوقِعَهُ فِي رَدِّ وَلايَةِ وَصِيِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

٣. وَدَفَعَ نُبُوَّةَ نَبِيِّ اللَّهِ

٤. وَلَا يَزَالُ أَيْضاً بِذَلِكَ حَتَّى يُوقِعَهُ فِي دَفْعِ تَوْحِيدِ اللَّهِ

٥. وَالْإِلْحَادِ فِي دِينِ اللَّهِ^(١).

هي سلسلة من المعاصي إذاً، يتبع بعضها بعضاً، تنقل صاحبها من عزِّ الإيمان بالله والنبيِّ والولاية للمعصوم، إلى ذلِّ الإلحاد ودفع التوحيد والنبوة، وردِّ ولاية الوصي ﷺ، وبغض آل محمد ﷺ!

وهل بعد هذا إلا الخسران!

ولا عجب أن صار للمعاصي هذا الأثر، حيث ترفعُ الإيمان بالله والرسول وحبُّ آل محمدٍ من القلب، لأنَّ المعصية تؤثرُ في قلب الإنسان، فتجعل أعلاه أسفله، كما روي عن الباقر ﷺ: مَا مِنْ شَيْءٍ أَفْسَدَ لِلْقَلْبِ مِنْ خَطِيئَةٍ، إِنَّ الْقَلْبَ لِيُوقِعُ الْخَطِيئَةَ فَمَا تَزَالُ بِهِ حَتَّى تَغْلِبَ عَلَيْهِ فَيَصِيرَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ^(٢).

وفي (أيام الحسين) هذه فرصةٌ عظيمةٌ للتوبة، حيثُ تمحى ذنوبُ الموالين بذكر الحسين ﷺ وإحياء أمره.

فمن أراد النجاة منهم حاذرٌ من الإنهاك في المعاصي اتكالاً على المحبة والولاية، لأن المحبة والولاية تنفع ما لم تُخرج كثرةُ الذنوبِ الإنسانَ إلى جحيم البغضاء للعترة الطاهرة، والإنكار للنبوة، وذلُّ الجحود لتوحيد الله تعالى.

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري ﷺ ص ٢٦٤.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٦٨.

أما مَنْ خُلِقَ من فاضل طيبتهم، فقد سبق في علم الله تعالى له الختامُ بحسن العاقبة، فهو كَلِّمًا أتى معصيةً تاب منها، وما تجرأ على الله تعالى ولا عصاه في أحب الأشياء إليه، ولا ارتكب ما يخرجُه من الإيمان، ولا ما يدخله في بغض آل محمد ﷺ، وهو الذي يعطيه الله تعالى رَوْحاً وَرِيحَاناً وَجَنَّةَ نَعِيمٍ، ويحشره مع محمد وآله الطاهرين.

اللهم اجعلنا ممن يُحشر معهم، وينال شفاعتهم..

اللهم احفظ شيعة أمير المؤمنين، وثبّتنا وأهلنا وإياهم على الولاية، وعجل فرج وليك. والحمد لله رب العالمين^(١).

٥. يوم تاريزيد.. على الحسين!

بسم الله الرحمن الرحيم

هل تار الحسين عليه السلام على يزيد بن معاوية؟! وأراد التوثب عليه ونزع الحكم منه؟! وكان مؤسساً لخارطة طريق الحركات المسلحة؟!!

أم تار يزيد على الإمام الحسين عليه السلام؟! فسلبه حقاً أعطاه الله إياه؟! هو سؤال في منتهى الغرابة! منشؤه الاختلاف في فهم مصطلح (الثورة). فهذا اللفظ في كتب اللغة يعني: (الهيجان والغضب والثبّة والانبعاث)^(١). والذي يُلفتُ نظر الباحث أن المعصومين عليهم السلام قد نسبوا الثورة لا الى الإمام الحسين عليه السلام، بل الى أعدائه الذين (ثاروا عليه)!

فمن الإمام الصادق عليه السلام في زيارة سيّد الشهداء: اللهم إني أشهد أن هذا قبر ابن حبيبك.. بذل مهجته فيك.. حتى تار عليه من خلقك من غرته الدنيا، وباع الآخرة بالثمن الأوكس الأذنى^(٢).

بهذا المعنى، يكون أعداء الحسين عليه السلام هم أهل الثورة، فهم من توثب عليه وسلبه حقاً أعطاه الله له، وهم من هاجوا وغضبوا فانبعثوا لسلب الخلافة عن أهلها.

(يزيد) بهذا المعنى هو (إمام الثائرين في أيام الحسين) عليه السلام! هم الثائرون

(١) العين ج ٨ ص ٢٣٤، والصحاح ج ٢ ص ٦٠٦.

(٢) كامل الزيارات ص ٢٢٩.

بالباطل والشرور على أهل الحق، المنكرون لنبوة سيد الأنبياء محمد ﷺ، ولوحي السماء على جدّ الحسين ﷺ.

وأتباع يزيد وجنده هم الثوار الذين استعملهم يزيد، وهم مصاديق من قال عنهم الصادق ﷺ: لَوْ لَا أَنَّ بَنِي أُمِّيَّةٍ وَجَدُوا مَنْ يَكْتُبُ لَهُمْ، وَيَجِبِي لَهُمُ الْفِيءَ، وَيُقَاتِلُ عَنْهُمْ، وَيَشْهَدُ جَمَاعَتَهُمْ، لَمَا سَلَبْنَا حَقَّنَا^(١).

ما تمكّن بنو أمية وتسلطوا على آل محمد ﷺ إلا بمعونة الأوباش، الهمج الرعاع، فلو أنّ الأمة أطاعت أمر الساء في آل الرسول لعجز هؤلاء الأرجاس عن سلب الحق من أهله.

كيف صار الحسين ثائراً إذا؟!

إذا كيف يُسمى الإمام الحسين اليوم ثائراً عند كثير من شيعته ومُحبّيه؟! إنَّ مصطلح (الثورة) قد لبس لبوساً حادثاً، فصار يعني التغيير الجذري في أوضاع البلد، سواءً كان بالسّلاح فيعبر عنه بالثورة المسلحة، أو دون السلاح فيعبر عنه بالثورة البيضاء أو السلمية التي لا يُسفك فيها الدم، وهو يشمل ما يُقصدُ به إطاحة نظام الحكم تارةً أو تعديله أخرى، فضلاً عن استعماله في مجالاتٍ أخرى كالثورة الزراعية أو الصناعية أو المعلوماتية وغيرها.

ومن الناس اليوم من يرى أن الإمام الحسين ﷺ ثائرٌ بالمعنى المعاصر، بمعنى أنّه كان يريد إجراء تغييرات أساسية في أوضاع البلاد بعدما سلب حقه،

(١) الكافي ج ٥ ص ١٠٦.

سواءً كانت سياسية أو دينية أو اجتماعية.
وَأَنَّ مَا فَعَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الثَّوَرَةِ الْمَسْلُوحَةِ، فَكَانَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَائِرًا
بِلِ رَمْزًا لِلثَّوَارِ.

وَقَدْ يُضَمُّ لِلدَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي زِيَارَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللَّهِ
وَأَبْنَ ثَارِهِ.. أَشْهَدُ أَنَّكَ ثَائِرُ اللَّهِ وَأَبْنُ ثَائِرِهِ^(١).
وَمَا رَوَى عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ^(٢).

هل ثار الحسين فعلاً؟!

يُلاحِظُ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ أُمُورٌ:

أَوَّلًا: أَنَّ مَا فَعَلَهُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ (الهِبْجَانِ وَالغَضَبِ
وَالوَثْبَةِ وَالْإِنْبِعَاثِ)، فَهُوَ الْإِمَامُ الْمَطْمَئِنُّ الَّذِي ظَلَّ وَجْهَهُ الشَّرِيفَ نَيْرًا حَتَّى آخِرِ
لِحْظَاتِ مِنْ حَيَاتِهِ الْمُبَارَكَةِ.

وَهَذَا قَاتِلُهُ شَمْرُ اللَّعِينِ يَقُولُ: فَوَ اللَّهُ مَا رَأَيْتُ قَطُّ قَتِيلًا مُضْمَخًا بِدَمِهِ
أَحْسَنَ مِنْهُ وَلَا أَنْوَرَ وَجْهًا، وَلَقَدْ شَغَلَنِي نُورُ وَجْهِهِ وَجَمَالَ هَيْئَتِهِ عَنِ الْفِكْرَةِ فِي
قَتْلِهِ^(٣).

ثَانِيًا: أَنَّ مَعْنَى (ثَارَ اللَّهِ) وَ(ثَائِرَ اللَّهِ) هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى مَنْ يَطْلُبُ بِثَارِهِ أَيَّ بَدْمِهِ،

(١) الكافي ج ٤ ص ٥٧٦.

(٢) تسليمة المجالس ج ٢ ص ١٦٠.

(٣) اللهوف ص ١٢٨.

أو يأمر بالطلب بدمه، والشاهدُ على ذلك في كتب اللغة واضحٌ^(١).
وفي الروايات الشريفة صريحٌ كما في قولهم عليه السلام: وَأَنَّكَ تَارُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ
حَتَّى يَسْتَيْرَ لَكَ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ^(٢).

وفي قولهم عليه السلام: وَأَنَّكَ تَارُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَالِدَمُّ الَّذِي لَا يُدْرِكُ تَارَهُ [تَرْتَهُ]
أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَلَا يُدْرِكُهُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ^(٣).

حتى أن ما ورد عن أن الأمة التي قتلت الحسين عليه السلام لا توفَّق لفطرٍ ولا
أضحى: حَتَّى يَثُورَ ثَائِرُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام^(٤).
قد فُسرَ فيها الثائر بالآخذ بالثأر، أي قاتل قاتليه، ففي الحديث: والقائم منّا
إذا قام طلب بثأر الحسين^(٥).

ثالثاً: أن ما فعله الإمام عليه السلام وإن كان فيه طلب الإصلاح، كما في الكلمة
الشهيرة عنه عليه السلام: وَأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا، وَلَا مُفْسِدًا وَلَا ظَالِمًا، وَإِنَّمَا
خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ
الْمُنْكَرِ^(٦).

إلا أن طلب الإصلاح لا يعني بالضرورة العمل المسلح، والأمر بالمعروف

(١) مجمع البحرين ج ٣ ص ٢٣٥.

(٢) كامل الزيارات ص ١٩٦.

(٣) كامل الزيارات ص ٢١٦.

(٤) الفقيه ج ٢ ص ١٧٥.

(٥) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٩٠.

(٦) تسلية المجالس ج ٢ ص ١٦٠، وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٣٠.

والنهي عن المنكر له مراتب متدرّجة آخرها القوّة في مواردّها.
وإذا تحقّق الغرُص من المرتبة الأدنى لا تصل النوبة للأعلى، وقد تحقّق ما
أرادّه الحسين عليه السلام بإنكاره على يزيد وامتناعه عن بيعته، ولو أدى ذلك الى قتله
عليه السلام، دون أن يسعى هو لحمل السلاح وقاتل يزيد.

لماذا قاتل الحسين عليه السلام إذاً؟

هل أراد الإمام تغيير نظام الحكم بقوّة السلاح؟!
وهل لنا أن نتأسى به عليه السلام فنثور على الأنظمة الفاسدة كيفما اتفق، لنعمل
على إسقاطها بقوّة السلاح، وإن أدّى ذلك الى سفك الدماء وهتك الأعراض؟!
لعلّ مثل هذه الكلمات صارت مسموعةً في أيامنا المعاصرة، بل صار بعضُ
الناس يؤمن أنّ الحسين عليه السلام رمزُ العمل المسلّح بين الأئمة المعصومين، وأنموذجٌ
يقتدى به للعمل على إسقاط الأنظمة الظالمة في زمن الغيبة.

لكنّ عموم الشيعة أدركوا منذ اليوم الأوّل خطأ هذا التفسير لما جرى في
كربلاء، فبين أيديهم الكثير من الشواهد التي تمنع من قبول هذه الأفكار، ويتّضح
الأمرُ جلياً بالتأمّل فيما يأتي من شواهد تؤكد أنّ الإمام عليه السلام ما خرج للقتال وتغيير
الحكم، ومنها:

١. أنه بذلّ مهجته لاستنقاذ العباد من الضلالة

وإرشادهم الى باب الهدى والرّشاد، كما ورد في زيارته الشريفة^(١).

(١) كتاب المزار ص ١٠٨.

وليس هناك من تلازم بين استنقاذ العباد وبين القتال لأجل تغيير نظام الحكم، بل هما أمران متباينان، ويحصل غرض الإمام عليه السلام برفع الجهل والضلال والشك، وبالهداية الى طريق الحق، ولو كلف ذلك سفك دمه الطاهر.

٢. أَنَّهُ زَحَفَ بِأَسْرَتِهِ

ولم يزحف عليه السلام بجيشٍ حيث قال: **الَا وَإِنِّي زَا حِفُّ بِهَذِهِ الْأُسْرَةِ مَعَ قِلَّةِ الْعَدَدِ وَخِذْلَةِ النَّاصِرِ^(١).**

والخارج لإسقاط نظام الحكم يخرج بجيشٍ لا بأسرةٍ يضمنُ بها عن القتل والإبادة، وهل يطلبُ الإمامُ وهو البصير الخبيرُ ما لا يدرك؟! أيعقل أن يطلب مقارعةَ الحاكم الظالم بلا عدَّةٍ ولا عدَدٍ؟ مع علمه بخذلان الناصر؟!

٣. أَنَّهُ كَانَ عَامِلًا بِمَقْتَلِهِ

وشواهدة أكثر من أن تحصى، كقوله لمحمد ابن الحنفية: **وَاللَّهِ يَا أَخِي، لَوْ كُنْتُ فِي جُبْحِ هَامَّةٍ مِنْ هَوَامِّ الْأَرْضِ لَا اسْتَخَرْتُ جُوبِي مِنْهُ حَتَّى يَقْتُلُونِي^(٢).** وكقوله لبي هاشم: **أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ الْحَقَّ [لِحَقِّ] بِي مِنْكُمْ اسْتَشْهَدَ مَعِي، وَمَنْ تَخَلَّفَ لَمْ يَبْلُغِ الْفَتْحَ، وَالسَّلَامَ^(٣).**

٤. أَنَّهُ لَمْ يَبْدَأْ أَعْدَاءَهُ بِقِتَالٍ حَيْثُ كَانَ أَسْهَلُ

وذلك حينما ذكَّرَ زهير بن القين أن قتال جيش الحرّ أهون ممن يأتي بعده،

(١) اللهوف ص ٩٨.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٩٩.

(٣) بصائر الدرجات ج ١ ص ٤٨٢.

لكنَّ الحسينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَجَابَ زهيراً بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا كُنْتُ لِأَبَدَأَهُمْ بِالْقِتَالِ^(١).

٥. أَنَّهُ لَمْ يَلْجَأْ إِلَى الْمَدَدِ الْغَيْبِيِّ

لما لقيته أفواج الملائكة وبأيديهم حِرابٌ من الجنة، وقد أمدَّهُمُ اللهُ تعالى به، ولما أتته أفواجٌ من مؤمني الجنِّ لنصرته، فما استعانَ بأحدٍ منهم^(٢)، وليس هذا حال من يطلب الملك والسلطان.

٦. أَنَّهُ أَذِنَ لِأَصْحَابِهِ بِالْإِنْصِرَافِ

حتى في ليلة عاشوراء حين قال لهم: الا وَإِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَكُمْ، فَانْطَلِقُوا جَمِيعاً فِي حِلٍّ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذِمَامٌ، هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلاً^(٣).

٧. أَنَّهُ أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ دُونَ الْبَيْعَةِ وَالْقِتَالِ

وقد تكررَ الأمرُ منه مراراً، ومن ذلك ما قاله عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَعْدَائِهِ:

وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَكُنْتُمْ لِقَدَمِي كَارِهِينَ، انْصَرَفْتُ عَنْكُمْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي جِئْتُ مِنْهُ إِلَيْكُمْ، فَسَكُنُوا عَنْهُ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِكَلِمَةٍ^(٤).

٨. أَنَّهُ سَيَصْبِرُ إِنْ لَمْ يُقْبَلْ قَوْلُهُ

فقد صرَّحَ الإمامُ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يُقْبَلْ قَوْلُهُ فَلَيْسَ مِمَّنْ يَرِيدُ الْقِتَالَ، بَلْ إِنَّهُ سَيَصْبِرُ، وقد قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ فَاللهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرُ

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٨٤.

(٢) اللهوف ص ٦٧.

(٣) الإرشاد ج ٢ ص ٩١.

(٤) الإرشاد ج ٢ ص ٧٩.

حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ^(١).

هذه الشواهدُ وغيرُها في غايةِ الوضوح، وقد ذكرناها وسواها بشكل مفصلٍ في محله، وهي تؤكدُ أنَّ الحسينَ عليه السلام أراد بيان الحق، وهذا هو الإصلاح الذي يبتغيه، ولكن لم يكن مؤسساً لخارطة طريق الحركات المسلّحة، وإن استعمل السّلاح عندما خيّر بين السّلة والذّلة، وفرّق كبيراً بين الأمرين.

فمنهجه عليه السلام هو إحقاق الحق، ولما خيّر بين القتال أو اضمحلال الحق، اختار الأول، ولما خيّر بين القتال وبين الدّنيّة اختار الأول فقال: لَا أُعْطِي الدّنيّةَ مِنْ نَفْسِي أَبَدًا^(٢).

وما توانى عن تقديم القربان تلو القربان في سبيل الله تعالى، في أعظم فاجعة أبكت الكون بأسره، من أعظم قلبٍ في الكون الرّحب، قلب المصطفى صلى الله عليه وآله، وبضعته الزهراء، الى أصغر مخلوقات الله التي لا ترى.

لقد ثار يزيد على الحسين عليه السلام.. وليّ الله تعالى وخليفته، ورفع السّلاح في وجهه، فسالت دماء الحسين عليه السلام، لكنّه: جَعَلَ يَتَلَقَّى الدَّمَ بِكَفِّهِ، فَلَمَّا امْتَلَأَتْ لَطَخَ بِهَا رَأْسَهُ وَحَيْثُ وَيَقُولُ: القى الله عزّ وجلّ وَأَنَا مَظْلُومٌ مُتَلَطِّحٌ بِدَمِي^(٣).

سلامٌ الله عليك يا أبا عبد الله، أيها المظلوم الشهيد، وإنا لله وإنا اليه راجعون^(٤).

(١) تسلية المجالس ج ٢ ص ١٦٠.

(٢) اللهوف ص ٢٧.

(٣) الأمالي للصدوق ص ١٦٣.

(٤) الأربعاء ٢ محرم ١٤٤٣ هـ الموافق ١١-٨-٢٠٢١ م.

٦. معجزة السماء.. في حفظ عاشوراء!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ قَوْلَ أَعْدَائِهِ فِي نَبِيِّهِ الْمُسْتَفَى ﷺ: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾.

ثُمَّ عَقَّبَهُ تَعَالَى بِآيَةِ حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ سَيِّدُ الْعُقَلَاءِ، لَكِنَّ الْقَوْمَ أَتَمُّوهُ بِالْجُنُونِ كَيْ يَرْفُضُوا دَعْوَتَهُ، وَيَسْقُطُوا شَخْصَهُ وَرِسَالَتَهُ، وَيَنْكُرُوا الذِّكْرَ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ.

لَقَدْ أَرَادُوا إِسْقَاطَ الْقُرْآنِ أَوْ تَبْدِيلَهُ أَوْ تَحْرِيفَهُ، فَتَعَهَّدَ اللَّهُ بِحِفْظِهِ.

وَقَدْ صَرَّحُوا بِغَايَاتِهِمْ فِي مَحَلٍّ آخَرَ حِينَ قَالُوا: ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلْتَهُ﴾^(٢).

هَذَا حَالٌ مِنْ لَا يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ مَعَ كِتَابِيهِ: الصَّامِتِ وَالنَّاطِقِ:

١. فَالصَّامِتِ يُرَادُ تَحْرِيفَهُ، أَوْ تَغْيِيرَهُ وَتَبْدِيلَهُ.

٢. وَالنَّاطِقِ يُرَادُ قَتْلُهُ، أَوْ إِسْقَاطُهُ وَإِبْطَالُ رِسَالَتِهِ.

لِذَا تَعَرَّضَ النَّبِيُّ ﷺ لِمَحَاوَلَاتٍ اغْتِيَالٍ كَثِيرَةٍ، فَحَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى يُوَدِّيَ الرِّسَالَةَ كَامِلَةً.

(١) الحجر ٩ و٦.

(٢) يونس ١٥.

وبعدما أكمل الله الدين للأمة في يوم الغدير، وأدى النبي ﷺ دوره في ذلك، سُمَّ النبيُّ مُجَدِّدًا، وانتقل إلى جوار ربه شهيداً.
وكما حَفِظَ اللهُ تعالى القرآن الكريم، ليكون باباً للهداية، وإن ضَيَّعَتِ الأُمَّة حدوده.

كذلك حَفِظَ اللهُ تعالى ذِكْرَ النبيِّ ﷺ، وأهل بيته، وصانَ لنا من تُراثهم ما يكفيننا حتى ظهور إمامنا، وتتمَّ الحجة به لنا وعلينا.
لكن.. كما شاء الله تعالى أن يُوَثِّرَ السُّمُّ في بدن النبيِّ ﷺ.
شاء تعالى أن يُجَبِّسَ النَّصْرُ عن الحسين ؑ، فُقْتِلَ سلام الله عليه مظلوماً شهيداً.

ههنا بدأ صراعٌ من نوعٍ آخر..

فكما حَرَّفُوا حدود القرآن الكريم، الثَّقَلِ الأكبر الصامت، أرادوا الطَّعن بالقرآن الناطق، بالحسين بن عليٍّ ؑ، وبها جرى معه في يوم عاشوراء، وأرادوا إخفاء تلك الجريمة، وطمس معالمها، كي يُمَحَى ذِكْرُ الحسين وآل الحسين ؑ.
فَحَفِظَ اللهُ ذِكْرَ الحسين ؑ بحفظ عاشورائه، مع سعي أعدائه لإطفاء نورها، فكان ذلك معجزةً سماويةً جليَّة!

لقد قانتها السيدة الجليلة العظيمة، العاملة غير المعلّمة، زينب بنت عليٍّ ؑ،
لشرِّ خلق الله، ليزيد بن معاوية..

قانتها كلمةً لا يزال التاريخ والحاضرُ يشهدُ بصدقها، وبصدورها عن حملة علوم السماء.

قالت عندما رأت يزيد ينكت ثغر الحسين الطاهر بقضيبه، وَيُنَكِّرُ وَحِي السَّمَاءِ عَلَى جَدِّهَا الصَّادِقِ الْأَمِينِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

كَيْدُ كَيْدِكَ، وَاسْعَ سَعْيِكَ، وَنَاصِبُ جُهِدِكَ، فَوَ اللَّهُ لَا تَمَحُّو ذِكْرَنَا! وَلَا تُمِيتُ وَحِينَنَا! وَلَا تُدْرِكُ أَمَدَنَا! ^(١).

وفي نصٍّ آخر: كَيْدُ كَيْدِكَ، وَاجْهَدْ جُهِدَكَ، فَوَ اللَّهُ الَّذِي شَرَّفَنَا بِالْوَحْيِ وَالْكِتَابِ، وَالنُّبُوَّةِ وَالْإِنْتِخَابِ، لَا تُدْرِكُ أَمَدَنَا، وَلَا تَبْلُغُ غَايَتَنَا، وَلَا تَمَحُّو ذِكْرَنَا ^(٢).
الصَّرَاعُ إِذَا صَرَّاعٌ عَلَى الْوَحْيِ وَالْكِتَابِ، وَالنُّبُوَّةِ وَالْإِنْتِخَابِ.

لقد أعرضوا عن انتخاب الله لهم، فصار الصَّرَاعُ عَلَى أَصُولِ الدِّينِ قَبْلَ فُرُوعِهِ، صَرَّاعٌ عَلَى بَقَاءِ الْكِتَابِ وَالْوَحْيِ وَأَمْرِ اللَّهِ، الَّذِي لَا يَبْقَى إِلَّا بِبَقَاءِ الْإِمَامِ. وَلِئِنْ قَتَلَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَفِي أَرْضِ كَرْبَلَاءَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَخَذَ مِيثَاقَ: أَنَاسٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، لَا تَعْرِفُهُمْ فَرَاعِنَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهُمْ مَعْرُوفُونَ فِي أَهْلِ السَّمَاوَاتِ!

يواري هؤلاء أعضاء الشهداء المقطعة المتفرقة! فلقد أراد يزيد أن تبقى أعضاء الحسين وأهله وصحبه على أرض كربلاء! وَأَنْ تَظَلَّ جُسُومُهُمْ مُصَرَّجَةً بِدِمَائِهِمْ دُونَ أَنْ تُدْفَنَ!

لكنَّ اللَّهَ أَخَذَ الْعَهْدَ مِنْ هَؤُلَاءِ عَلَى دَفْنِهِمْ أَوْلَى، وَعَلَى أَنْ يَنْصَبُوا لِهَذَا الطِّفْلِ عَلَمًا لِقَبْرِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ.

(١) اللهوف ص ١٨٥.

(٢) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٠٩.

كان لهذا العَلَمِ وهذا القبر صفاتٌ، قال عنها الصادق الأمين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ: لَا يَدْرُسُ أَثْرُهُ! وَلَا يَعْفُو رَسْمُهُ! عَلَى كُرُورِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ!

ها هي الليالي والأيام تتوالى: ما اندرس الأثر، ولن يندرس، بعهدٍ معهودٍ من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَيَجْتَهِدَنَّ أُمَّةُ الْكُفْرِ وَأَشْيَاعُ الضَّلَالَةِ فِي مَحْوِهِ وَتَطْمِيسِهِ، فَلَا يَزِدَادُ أَثْرُهُ إِلَّا ظُهُورًا! وَأَمْرُهُ إِلَّا عُلوًّا! (١).

ههنا تظهر معجزة السماء.. في حفظ عاشوراء..

هذه واحدة من الإخبارات الغيبية لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد شهدها القريب والبعيد، فلطالما بذل أعداء الله أكبر جهودهم في محو ذكر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، بمحو قبره الشريف، ومنع الناس من زيارته، فما ازداد أمره إلا عُلوًّا.. وأيامنا هذه خيرٌ شاهدٍ على ذلك.

لقد كان لأعداء الله خططٌ وبرامج، وأساليبٌ مكررةٌ خبيثة، وبذلوا جهداً حثيثاً لطمس معالم عاشوراء وأحداثها بأكملها، كبيرها والصغير.

لقد أرادوا أن لا يُبقوا لأهل هذا البيت باقية، وأن لا يبقى لهم ذكْرٌ على وجه البسيطة..

ولكن.. بعد أن وقعت الفاجعة الأليمة، حَفِظَتِ السماء من به البقية الباقية من الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فعاد السجّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ مع زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ، ناعية الحسين، لإكمال المسيرة. لم ييأس الأعداء، ولم تذهب أمانيتهم، فأرادوا (تضييع) عاشوراء

(١) كامل الزيارات ص ٢٦٢.

و(تَمَيُّعُهَا)، تَهْيِداً لِإِخْفَائِهَا وَإِخْرَاجِهَا مِنْ صَفْحَاتِ الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ، وَسَعُوا لِدَلِّكَ سَعِيًّا حَثِيثًا، فَمَكَّرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ.

لَقَدْ ظَهَرَ بَعْضُ اجْتِهَادِهِمْ فِي طَمَسِ مَعَالِمِهَا فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ نَعْرُضُ لِأَمْرَيْنِ مِنْهَا:

١. تَبْرِئَةُ الْقَتْلَةِ! وَإِخْضَاءُ هَوِيَّةِ الْقَتْلَى!

لَقَدْ نَقَلُوا نِصُوصًا أَوْ دَعَوْهَا فِي بَطُونِ كِتَابِهِمُ الْمَشْهُومَةِ، يَزْعُمُونَ فِيهَا أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ لَمْ يَأْمُرْ بِقَتْلِ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ! بَلْ أَنَّهُ قَدْ تَأَمَّلَ لِقَتْلَهُ!

وَأَنَّهُ كَانَ يُوَدُّ لَوْ يَنْقُصُ عَمْرَهُ فِي سَبِيلِ حِفْظِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ!

ثُمَّ زَادُوا عَلَى ذَلِكَ وَجَّحُوا الْأَذَانَ بِاتِّهَامِ الشَّيْعَةِ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ! فَخَالَفُوا بِذَلِكَ الْعَقْلَ قَبْلَ النُّقْلِ! فَالْعَقْلُ يَقُولُ أَنَّ شَيْعَةَ الرَّجُلِ هُمْ أَتْبَاعُهُ الَّذِينَ يَطِيعُونَ أَمْرَهُ، أَفَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ يَأْمُرَ الْحُسَيْنُ أَتْبَاعَهُ بِقَتْلِهِ فَيَطِيعُوهُ؟!!

مَا اِكْتَفَوْا بِذَلِكَ.. بَلْ عَادُوا وَزَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَتَلَ حُسَيْنًا! فَبَرَّوْا أَنْفُسَهُمْ بِذَلِكَ! وَلِزَمَ مِنْ ذَلِكَ بَرَاءَةُ الشَّيْعَةِ أَيْضًا حِينَ نَسَبَ هَؤُلَاءِ الْقَتْلَ لَهُ عَزًّا وَجَلًّا! فَصَارَ اللَّهُ مُتَّهَمًا بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَهُمْ!!

وَكَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ظَالِمٌ! يَقَهَّرُ بَعْضَ عِبَادِهِ عَلَى قَتْلِ أَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ!

فَأَيُّ إِلَهٍ يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ؟!!

لَقَدْ كَانَتْ كُلُّ تِلْكَ الْأَسَالِيبِ طَرِيقًا لِتَلْمِيعِ صُورَةِ أَعْدَاءِ الْحُسَيْنِ، لِذَا مَنَعَ

بَعْضُهُمْ مِنْ لَعْنِ يَزِيدٍ! بَزَعِمَ أَنَّهُ لَمْ يَثْبِتْ أَمْرَهُ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ!

بل قالوا أنه لا يجوز لعن قاتل الحسين أياً يكن! إذ لعله تاب قبل الموت!
 لقد بلغ بهم الأمر أن يتوقفوا في لعن إبليس! كرمى لعيون يزيد بن معاوية!
 فقال قائلهم: ولا خطر في السكوت عن لعن إبليس مثلاً، فضلاً عن غيره!!
 لقد دافعوا بذلك عن إمامهم إبليس.. فكانوا أبالسةً أبراراً بسيدهم!
 ثم بعد ذلك سَعَوْا لإظهار القَتْلِ كأنهم من الرُّوم أو التُّرك أو الدَّيلم! كأنهم
 لا يَمْتُنُونَ إلى رسول الله ﷺ بصلّة! وكأنَّ الرَّسول ما أوصى بهم!
 لقد نُقِلَ أن السبايا لما دخلن الكوفة: أَشْرَفَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الكُوفِيَّاتِ فَقَالَتْ:
 مِنْ أَيِّ الأَسَارَى أَنْتُنَّ؟

فَقُلْنَ: نَحْنُ أُسَارَى آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ! (١).

ما كان عمومُ النَّاسِ قد عرفوا هؤلاء الأَسَارَى، لقلّةِ اكتراثهم بأمر دينهم
 وآل نبيّهم، فلقد أثر فيهم الإعلام والنفاق الأمويين.

حتى أن الإمام السجاد عليه السلام لما كان في الشام وأُتِيَ له أن يتكلّم، على منبرٍ
 يستمع إليه يزيد وأركان أهل الشام، لم يبدأ بكلامٍ حول الأمور السياسية أو أمور
 الخلافة، مع أن النَّاسَ يرونها فرصةً مهمّةً لذلك.

فَبَعَدَ حَمْدَ اللهِ والثناء عليه والصلاة على نبيه وآله، بدأ عليه السلام ببيان انتسابه
 للنبي ﷺ!

فالأمرُ مجهولٌ تماماً عند كثيرٍ من الحاضرين! لا يعلمون أن إمامهم الذي
 افترض الله طاعته عليهم أسيرٌ بين يديهم!

كان أول ما قاله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي
فَأَنَا أَعْرِفُهُ بِنَفْسِي:

أَنَا ابْنُ مَكَّةَ وَمِنِّي، أَنَا ابْنُ الْمَرْوَةِ وَالصَّفَا، أَنَا ابْنُ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى! أَنَا ابْنُ مَنْ
لَا يَخْفَى!

أَنَا ابْنُ مَنْ عَلَا فَاسْتَعَلَى، فَجَازَ سِدْرَةَ الْمُتَهَيَّ، فَكَانَ مِنْ رَبِّهِ ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ
أَوْ أَدْنَى﴾ ﴿فَضَحَّ أَهْلُ الشَّامِ بِالْبُكَاءِ!﴾^(١).

هو بُكَاءٌ يشبه بكاء أهل الكوفة.. وقد قالت لهم الحوراء ﷺ: أَتَبْكُونَ
وَتَتَّحِبُونَ! إِي وَاللَّهِ، فَابْكُوا كَثِيرًا وَأَضْحَكُوا قَلِيلًا، فَلَقَدْ ذَهَبْتُمْ بِعَارِهَا وَسَنَارِهَا،
وَلَنْ تَرَحَّضُوهَا بِغَسَلٍ بَعْدَهَا أَبَدًا!﴾^(٢).

لقد قلبت كلمات السجّاد والحوراء الموازين، وأظهرت حقيقة القتال
والمقتول، وهي الحقيقة التي لطالما حاول المؤرخون إخفاءها حتى يومنا هذا!

٢. منع التحديث عن عاشوراء

ما أراد الأرجاس طمس الواقعة في أيامهم فقط، بل أرادوا ومن جاء
بعدهم أن يمحي ذكرها إلى آخر التاريخ.

فمنعوا من رواية الواقعة، ومنعوا من كتابتها ونقلها، كما منعوا من تدوين
حديث النبي ﷺ قبل ذلك.

(١) الاحتجاج ج ٢ ص ٣١١.

(٢) اللهوف ص ١٤٧.

يتجلى منعمهم ويظهر بعدم وجود أيِّ مُصَنَّفٍ خاصٍّ بواقعة الطف طيلة أربعة عقودٍ بعدها! مع عظمة هذه الواقعة، وكونها مما لا نظير له في تاريخ الإسلام!

لقد حلَّ العام ١٠٠ للهجرة ولم يُكْتَبْ كتابٌ واحدٌ يحكي هذه الواقعة الأليمة ويؤرِّخ لها فيما وصلنا! ولئن كان قد كُتِبَ شيءٌ من ذلك، فإنَّ التاريخ لم ينقل لنا اسماً لكتابٍ قبل ذلك الوقت!

إلا أن يكون كتابُ الأصمغ بن نباتة قد كُتِبَ قبل ذلك التاريخ، وهو المتوفى بعد سنة ١٠٠ للهجرة، لكنَّه لم يصلنا أيضاً!

نعم في مرحلة لاحقة توالَّت الكُتُب عن مقتل سيد الشهداء، كمقتل جابر بن يزيد الجعفي، المتوفى سنة ١٢٨ للهجرة.

وهذان الكتابان من أقدم المقاتل التي بلغنا أنها كُتِبَت، لكنَّها كسواها، طُوسَ عليها حتى لم يصلنا منها عينٌ ولا أثر!

ثم تلاها مقتل عمار بن معاوية الدهني، المتوفى سنة ١٣٣ هـ، الذي كان محبباً لأهل البيت عليهم السلام، ووقع الكلام في تشيُّعه، ولم يصلنا كتابه أيضاً، لكن وصلت بعض الروايات المتفرقة مما نقله عن الإمام الباقر عليه السلام حول واقعة عاشوراء، ولم يكن ذلك من طريقنا، فقد تسلَّلت بعض تلك الروايات إلى كتب الطبري لاحقاً، وطالتها يد التحريف والتبديل والدس.

أما أشهر كتب المقاتل، مقتل أبي مخنف المتوفى سنة ١٥٧ هـ، فإنَّه قد فُقدَ أيضاً، ولكن حدَّث عنه هشام بن محمد الكلبي، وهو الذي وصلت عبره روايات

أبي مخنف.. وهشام هذا كان مختصاً بآل محمد ﷺ، قال عنه النجاشي: العالم بالأيام، المشهور بالفضل والعلم، وكان يختص بمذهبننا، وله الحديث المشهور، قال: اعتلتت علةً عظيمةً نسيْتُ علمي! فجلست إلى جعفر بن محمد، فسقاني العلم في كأسٍ فعاد إليّ علمي! وكان أبو عبد الله يقرّبه ويُدنيه ويبسطه^(١).

وهكذا أحصى الباحثون المعاصرون عشرات المقاتل التي كُتِبَتْ في القرون الأولى، لأصحاب الأئمة ﷺ، ثمّ لكبار علماء الطائفة، ككتاب مقتل الحسين للصدوق، وآخر للطوسي، فهناك ما لا يقلّ عن ٢٥ كتاباً باسم (مقتل الحسين) ذُكِرَتْ أسماؤها ولم يصلنا منها عينٌ ولا أثر!^(٢).

وما لم يتمكّن القوم من إخفائه بالكامل تركّوا فيه بصمتهم بقدر وسعهم، بالتزوير والتحريف والكذب على الله ورسوله.

فهم الذين اتّخذوا يوم عاشوراء يوم بركة! وكذبوا على الله تعالى في ذلك! يقول ميشم التمار وهو العالم بتعليم أمير المؤمنين ﷺ: يَزْعُمُونَ حَدِيثَ يَضَعُونَهُ أَنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي تَابَ اللَّهُ فِيهِ عَلَى آدَمَ^(٣).

وقد اعترف جملةٌ من علمائهم بوضع الأحاديث في فضل يوم عاشوراء! على أنّ نماذج التحريف والكذب والدرس أكثر من أن تُحصى، نترك البحث حولها لمحلٍ آخر.

(١) رجال النجاشي ص ٤٣٤.

(٢) موسوعة المقاتل الحسينية ج ١ ص ٥٨.

(٣) علل الشرائع ج ١ ص ٢٢٨.

كيف وصلتنا عاشوراء إذا؟!

لقد تسلّلت رواياتُ المقاتل هذه إلى كتب التاريخ العامة، فهذا الطبريُّ مثلاً قد نقلَ روايات عاشوراء عن أبي مخنف، وأودعها في تاريخه، قبل أن تُفقد نسخة أبي مخنف الأصلية.. بغضّ النظر عن مقدار مطابقة ما نقله للأصل أو تحريفه عنه. ولأنَّ نقل أحداث عاشوراء بنفسها تؤرق الحكام وعلماء البلاط والسوء، تنبّه بعضهم لخطورة ما وقع فيه الطبري، فقال ابن كثير (توفي سنة ٧٧٤ هـ) أنَّ الطبري (توفي سنة ٣١٠ هـ) قد تَقَصَّى نقل أحداث الثأر عن أبي مخنف، ثم قال: توسّع في إيراده بروايات أبي مخنف لوط بن يحيى، وهو مُتَّهَمٌ فيما يرويه، ولا سيما في باب التشيع، وهذا المقام للشيعَة فيه غرامٌ وأيّ غرام! إذ فيه الأخذ بثأر الحسين وأهله من قتلهم، والانتقام منهم^(١).

لقد كان تَقَصِّي نقل الأحداث التاريخية التي يهتَمُّ لها الشيعة خطأً فادحاً، بل جريمةً لا تُغتفر عند القوم!

هذا نموذجٌ من كتب القوم التي نقلت أحداث عاشوراء.

أمّا كتب الشيعة، فإنَّها اهتمَّت بهذه المسألة اهتماماً بالغاً، وأوصلت لنا ما أوصلت رغم كلِّ الصُّعاب والتضحيات، ونقلت لنا ما أمكن من أحداثها ووقائعها، سواءً في كتبٍ مستقلة، أو أخبارٍ مبثوثةٍ هنا وهناك.

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ٣٠٢.

ماذا فعل آل محمد عليهم السلام؟

في مقابل الخطوات الهائلة والجهود الجبّارة التي قام بها أعداء الله لطمس الحق، وإخفاء هذه الواقعة الأليمة، كانت الدّمعة عند آل محمد هي السلاح الأُمضى!

إنَّ إظهار ما جرى في عاشوراء من أحداثٍ أمرٌ مُهمٌّ، لكن إن عجزنا عن إظهار ما نُريد منه، ومَعَنَا أَعْدَاؤُنَا من التحديث به، أَلَا تَحُلُّ الدّمعةُ محلّه في بيان المظلومية وإظهارها؟! وهي التي تسيلُ على الخدود حُبًّا وشفقةً ورحمةً على الحسين عليه السلام، وهي التي لا يقدر أحدٌ على منعها.

كم هو أثرُ دمعَةٍ تنحدرُ على خَدَيِ إِمَامٍ عَظِيمٍ ينتسبُ إلى سيد الكائنات، ويمثّلُ الطُّهرَ والطهارة والشَّرَفَ والعِزَّ.

لقد كانت صورة الإمام زين العابدين عليه السلام مما يهزُّ كيان الأمة، أو ما تبقى فيه من شَرَفٍ.

قال الصادق عليه السلام:

بَكَى عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَى أَبِيهِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام عِشْرِينَ سَنَةً أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً! وَمَا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَعَامًا [طَعَامٌ] إِلَّا بَكَى عَلَى الْحُسَيْنِ!

حَتَّى قَالَ لَهُ مَوْلَى لَهُ: جَعَلْتُ فِدَاكَ، يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ!

قَالَ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

إِنِّي لَمْ أَذْكَرْ مَصْرَعَ بَنِي فَاطِمَةَ إِلَّا خَنَقْتَنِي الْعَبْرَةَ لِذَلِكَ^(١).

الإمام لا ينسى أباه، والذرية الطاهرة لا يفارقهم ذكرُ الحسين..
وذكرُهُ يَقلِبُ الدُّنيا إلى ماتم عزاء!

لقد كانت ماتم العزاء والبكاء والعيول والنوح تُقام في بيوت الأَطايِب،
يبكي فيها الرِّجالُ والنِّساءُ والأطفال، بقدر ما تسمعُ به الظروف، فإن ضاقت
عليهم بكوا وحدهم، انتظاراً لفرجةٍ من الرِّمن.

إذا حَفِظَ المَظْلومُ الظُّلَامةَ التي وقعت عليه بحدود أسرته وأقربائه ومحبيه
وأتباعه اليوم، فإنَّها ستتوسَّعُ غداً وتنتشر مع تغيُّر الظروف.

أما لو ضَيَّعَها اليوم فإنها ستضيع للأبد.

هكذا تفاعلت الدموع بأمر السماء، فصار للدمعة أثرٌ عجيبٌ.

صارت تستنزل رحمة الرحمن في الدنيا، وتطفئ النيران في الآخرة.. وبها
يُحفظ ذكر الحسين عليه السلام.

وقد أحيا الأئمة ذكر الحسين بفعالهم قبل اللسان، وعَلِّمُوا شيعتهم على
ذلك وأدَّبُوهم، وبيَّنوا لهم عظيم الثواب، وحثُّوهم على البكاء والتباكي، وقول
الشعر في الحسين عليه السلام، وزيارته، وإحياء أمره، وتحويل يوم شهادته إلى يوم حزنٍ
عميم، في مظهر دينيٍّ إنسانيٍّ اجتماعيٍّ مهيب، تتعطلُّ فيه كلُّ مظاهر الحياة في
سبيل إحياء ذكر الحسين عليه السلام والبكاء عليه.

ولقد نقل الأَطهار لنا جملةً من أحداث عاشوراء، بثُّوها بين أصحابهم،

(١) كامل الزيارات ص ١٠٧.

فتلقفها الشيعة، ونقلوها لنا في تاريخٍ كُتِبَ وآخر شفهيٍّ، ما فارق الشيعة يوماً، ولو بذلوا دماءهم في سبيل الحفاظ عليه.

إنَّ السَيِّدَ الشَّرِيفَ، عَظِيمَ الشَّانِ، الَّذِي يَتَعَرَّضُ لِلظُّلَامَةِ، عَادَةً مَا يَدْعُوهُ عُلُوُّ مَقَامِهِ إِلَى الْإِغْمَاضِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الظَّلَامَاتِ الَّتِي تَقَعُ عَلَيْهِ، وَالتَّرْكِيزِ إِمَّا عَلَى أَصْلِ وَقُوعِ الظَّلَامَةِ، أَوْ عَلَى بَعْضِ صُورِهَا الَّتِي يَصْلِحُ ذِكْرُهَا وَبُثُّهَا، أَوْ يَنْبَغِي الْإِهْتِمَامُ بِهَا.

وهكذا وجدنا في كلمات المعصومين عليهم السلام أهمَّ صور عاشوراء التي تكفي لتظلل عاشوراء حيَّةً.. إلى يوم يظهر الآخذ بالثار.

إلى يوم الكرَّة حيث يرجع الحسين عليه السلام وأصحابه، فينتقم الله لهم من قتلتهم، كما وعدهم بذلك.

بهذه الأمور وأمثالها حَفِظَ اللهُ عاشوراء.. فكان ذلك أشبه بمعجزة إلهية، إذ يَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نوره. والحمد لله رب العالمين^(١).

الفصل الثالث: عاشوراء.. سرُّ الله!

٧. عاشوراء.. سرُّ الله!

بسم الله الرحمن الرحيم

زلزالٌ في نواميس الطبيعة.. هذا ما يعتقد الشيعة أنَّه جرى في يوم عاشوراء، حيث اقشعرت أظلة العرش، وبكت السماوات والأرض!
وهيَّجت عاشوراء الحرارة في قلوب المؤمنين، ولا تزال تنقلهم إلى عالم الألم والحزن والبكاء.

ولطالما حاول المؤمنون فهم شيءٍ ممَّا جرى في ذلك اليوم الرَّهيب، يوم الحسين عليه السلام، يوم عاشوراء، يوم الكآبة والحزن عند المعصومين عليهم السلام، يوم الكرب والبلاء.

ولأنهم يؤمنون بأن العلم والفهم خيرٌ محض.

ولأنَّ الحُبَّ المقرونَ بالمعرفةٍ أسمى وأشرف وأرفع.

فقد قطع المؤمنون أشواطاً في فهم ما بلغهم عن مفردات عاشوراء، وغاصوا في قراءاتٍ تحليليةٍ لكلِّ محور من محاورها، وتمعنوا في الظروف الموضوعية لتلك الأحداث، وبنوا ذلك في كتبهم، ونطق به علماءهم، ولهج به خطباءهم، وحفظه عامتهم عن ظهر قلب.

ولا ينازعنَّ عاقلٌ في رجحان ذلك، فإن فيه تشجيعاً على التعقل والتفهم

والتدبُّر والمعرفة.

لكنَّ الشيعة ما غاب عنهم يوماً أنَّ فهمهم هذا إنما هو فهمٌ إنسانيٌّ بحسبهم، يتناسب مع مستوى إدراكهم، دون أن يبلغ حقائق الأمور التي لا يدركها إلا المعصوم!

وقراءةُ فعل المعصوم بحسب المعطيات والظروف الموضوعية وإن كان يتناسب مع تعامل الشريعة بحسب الظواهر بلا شك، لكنه لا يُظهر لنا ملاك تَصَرُّف المعصوم، ولا يكشف لنا أسرار وأبعاد فعله بالكامل، فهذا مما لا سبيل لإدراك شيءٍ منه إلا بتوسُّط المعصوم نفسه.

فإنَّ الشيعة يُفَرِّقون بين إدراك بعض المصالح من أيِّ عمل، وبين الداعي والدافع لهذا العمل، وهو ما لا يعرفه إلا الله تعالى، العالم المحيط بالأمور، أو من أطلع الله عليه.

ويعتقد الإمامية بأن الطريق الوحيد لمعرفة (علّة) الحكم الشرعي الثابت والإحاطة بكلِّ جهاته تنحصر بنصِّ المعصوم على ذلك، وإن تَلَمَّسوا بعضَ الحِكَم والآثار لأَيِّ حكم شرعي، وأدركوا توافقه مع الفطرة البشرية والحاجة الإنسانية على مر العصور.

وإذا كان ما ثبت بالنص (الحكم الشرعي) هذا حاله، ففعل المعصوم (والفعل صامتٌ) أولى بعدم الإحاطة بأبعاده ما لم يخبر بها الإمام عليه السلام.

وإذا كانت هذه القرون تتوالى، ويغوصُّ أساطينُ المذهب وكبارُ علمائه في روايات آل محمد عليهم السلام ليستخرجوا دُرراً من الجمع بين (ظواهر) النصوص فيها، والتنبُّه إلى (بعض إشاراتها)، فإنهم يقفون عند هذه الظواهر، ولا يزعمون أنهم أحاطوا بحقائق الأحكام وعللها.. إنما بما يَعُدُّنا أمام الله تعالى في امتثال أوامره.

ولقد تظافر النقل عنهم عليه السلام: **إِنَّا لَتَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ بِهَا سَبْعُونَ وَجْهًا، لَنَا مِنْ كُلِّهَا الْمَخْرَجُ (١).**

وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام: **يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّ عِنْدَنَا وَاللهَ سِرًّا مِنْ سِرِّ الله، وَعِلْمًا مِنْ عِلْمِ الله، وَاللهَ مَا يَحْتَمِلُهُ:**

١. مَلَكٌ مُقَرَّبٌ

٢. وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ

٣. وَلَا مُؤْمِنٌ أَمْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلْإِيْمَانِ

وَاللهَ مَا كَلَّفَ اللهُ ذَلِكَ أَحَدًا غَيْرَنَا، وَلَا اسْتَعْبَدَ بِذَلِكَ أَحَدًا غَيْرَنَا (٢).

لقد أشار عليه السلام إلى صنفٍ أسمى من علومهم التي خصهم الله تعالى بها دون خلقه، حتى ملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين، وتعبير الإمام بالتكليف والعبادة (ما كَلَّفَ.. ولا اسْتَعْبَدَ..) لا يعني ارتباطها بالأحكام الشرعية للخلق، فتلك مما أمروا عليهم السلام بتبليغه، إنما هي علومٌ وتكاليفٌ أو عباداتٌ خاصةٌ بينهم وبين ربهم عز وجل، تتناسب ومقامهم الشريف الذي لا يطمح له طامح.

والصَّنْفُ الآخر من الأسرار والعلوم هو ما أُمرُوا بتبليغه، فإنهم لم يجدوا له موضعاً حتى: **خَلَقَ اللهُ لِدَلكَ أَقْوَامًا.. فَقبَلُوهُ واحْتَمَلُوهُ، وَبَلَّغَهُمْ ذِكْرَنَا فَمَالَتْ قُلُوبُهُمْ إِلَى مَعْرِفَتِنَا وَحَدِيثِنَا..**

وَمَنْ سِوى هذِهِ القِلةِ المِؤمِنَةِ: اشْمَأَزُوا مِنْ ذَلكَ، وَنَفَرَتْ قُلُوبُهُمْ، وَرَدُّوهُ

(١) بصائر الدرجات ج ١ ص ٣٢٩.

(٢) الكافي ج ١ ص ٤٠٢.

عَلَيْنَا، وَلَمْ يَحْتَمِلُوهُ، وَكَذَّبُوا بِهِ^(١).

إِنَّهُ إِذَا عَالَمَ الْأَسْرَارَ!

١. فَقَسَمَ مِنَ الْعُلُومِ أَمْرَهُمُ اللَّهُ بِبِلَاغِهَا، فَقَبِلَتْهُ فِرْقَةٌ وَاشْمَأَزَتْ مِنْهُ أُخْرَى.

٢. وَقَسَمَ اخْتَصَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، صَلَّتِ الْعُقُولُ وَحَارَتِ الْأَبَابُ عَنْ

وَصَفِ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِهِ!

فَكَانُوا أَسْرَارًا.. حَمَلَةً لِلْأَسْرَارِ!

فورد في زيارة أول إمام منهم: يَا سِرَّ اللَّهِ!^(٢).

وأخبروا عن أنفسهم بأنهم: مَوْضِعُ سِرِّ اللَّهِ!^(٣).

وأنهم: الْبَابُ الْمَأْمُونُ عَلَى سِرِّ اللَّهِ الْمَكْنُونِ!^(٤).

ثم ما لبث المؤمن أن رأى نفسه أمام حُجْبٍ مغلقة، فسَلَّمَ بأنه قرينُ الملائكة

في لزوم الإقرار بالجهل!

١. أما الملائكة فلقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥).

٢. وأما الإنس فلقوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٦).

(١) الكافي ج ١ ص ٤٠٢.

(٢) المزار الكبير لابن المشهدي ص ٢٢١.

(٣) بصائر الدرجات ج ١ ص ٥٧.

(٤) الكافي ج ١ ص ٣٧٧.

(٥) البقرة ٣٠.

(٦) البقرة ٢١٦.

فأني لنا أن نحيط خبراً بأسرار الله تعالى!

أفلا تكون عاشوراء التي خرقت كل ميزانٍ سراً من سرّ الله؟!

أم كيف يمكن أن نفهم مفردةً من مفرداتها ونحيط بكل أبعادها علماً؟!

حسبك ما قاله جبرئيل لسيد الكائنات في وصف ما جرى يوم عاشوراء، حين قال ﷺ: تَزَعَزَعَتِ الْأَرْضُ مِنْ أَقْطَارِهَا! وَمَادَتِ الْجِبَالُ وَكَثُرَ اضْطِرَابُهَا! وَاضْطَفَقَتِ الْبِحَارُ بِأَمْوَاجِهَا! وَمَا جَتِ السَّمَاوَاتُ بِأَهْلِهَا! غَضَبًا لَكَ يَا مُحَمَّدُ وَلِدُرِّيَّتِكَ، وَاسْتِعْظَامًا لِمَا يَنْتَهِكُ مِنْ حُرْمَتِكَ..

وَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا اسْتَأْذَنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي نُصْرَةِ أَهْلِكَ الْمُسْتَضْعَفِينَ الْمَظْلُومِينَ.. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَضْحَكُ كُلُّ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِلَعْنِ مَنْ ظَلَمَ عِزَّتَكَ وَاسْتَحَلَّ حُرْمَتَكَ^(١).

كيف لنا أن نتصور ذلك على حقيقته فضلاً عن أن نحيط به؟!

الأرض تتزعزع من أقطارها، والجبال تميد، والسموات تموج بأهلها غضباً لما جرى على الحسين ﷺ! والجمادات تستأذن الله تعالى في نصرته سيد الشهداء! ولما لم يأتها الإذن ضجّت باللعن على ظالميه!

ولئن أدركت عقولنا القاصرة شيئاً مما يصلح لتقريب الصورة إلى الذهن، وإقناع المخاطب أو المستمع، فأني لها أن تدرك حقيقة قول سيد الشهداء ﷺ: رَبِّ إِنْ تَكُنْ حَبَسْتَ عَنَّا النَّصْرَ مِنَ السَّمَاءِ فَاجْعَلْ ذَلِكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ!^(٢).

(١) كامل الزيارات ص ٢٦٤.

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ١٠٨.

نعم لا يُعَدَمُ الشَّيْعَةَ فَهَمَّا تَقَرُّ بِهِ قُلُوبُهُمْ، وَتَطْمَئِنُّ بِهِ نَفُوسُهُمْ، وَيُلْجِمُونَ بِهِ عَدُوَّهُمْ، يَسْتَنْدُ إِلَى الْحِجَّةِ وَالْبِرْهَانِ الَّتِي تَوَارَثُوهَا عَنِ الْعَتْرَةِ الطَّاهِرَةِ، فَإِنَّهُمْ تَلَمَّسُوا حِكْمًا مِنْ أَعْمَالِ الْمُعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَدْرَكُوا وَجُوهًا مُحْتَمَلَةً لِلكَثِيرِ مِنْ تِلْكَ الْمَفْرَدَاتِ:

١. كإخراج النساء والأطفال إلى عاشوراء، حيث تمت الحججة بذلك، وتكامل دور المأموم مع الإمام.

٢. وامتناع العباس عن شرب الماء عطشاناً مواساةً لإمامه المعصوم.

٣. وحمله الطفل الرضيع واستسقائه له وإظهار خلوة القوم من الإنسانية مطلقاً.

٤. وميَّزوا بين التصبُّر أمام العدو الشامت تارة، وبين إظهار الحزن والجزع وحتى الإدماء تارة أخرى.

وغيرها العشرات بل المئات مما يعرف أطفال الشيعة وعوامهم فضلاً عن علمائهم إجاباتٍ متعددةٍ عن وجه الحكمة فيها ولو على سبيل الإحتمال.

فَهُمْ مَا ادَّعَوْا يَوْمًا أَنْ فَهَمَهُمْ هَذَا فَهَمِ إِحَاطَةً، وَكَيْفَ يَحِيطُونَ بِأَسْرَارِ اللَّهِ تَعَالَى؟! وَكَيْفَ يَقِيسُونَ أَعْمَالَ الْمُعْصُومِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ؟!!

إِنَّهُمْ الْمُسْلِمُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَعَتْرَتِهِ، تَنَزَّهُوا عَمَّا تَهَجَّهَ الْأَرَادُلُ حُسَادُ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِينَ صَارُوا مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١)، وَطَهَّرُوا قُلُوبَهُمْ بِحُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِيمَا دَنَسَهَا غَيْرُهُمْ بِحَسَدِ آلِ

محمد ﷺ، فحملَ الحسدُ وطلبُ الدنيا أولئك على (الجحود والإنكار).

١. فمنهم من لبسَ لباسَ العدو، فكان قاتلاً للحسين ﷺ ولشييعته على مرّ

التاريخ!

٢. ومنهم من لبسَ لباسَ الصديق، فسلك منهج التشكيك بنهج محمد وآل

محمد ﷺ!

ولا نزال نعيشُ آثارَ يومِ الطف، حينما قتلت أمة الرسول ﷺ فرخه ﷺ،

فقال جبرئيل عن هذه الأمة: يَضْرِبُهَا اللهُ بِالْاِخْتِلَافِ فَتَخْتَلِفُ قُلُوبُهُمْ^(١).

وقال أصدق من أقلت الغبراء (أبو ذر الغفاري): إِنَّ اللهَ سَيَسْأَلُ سَيْفَهُ عَلَى

هَذِهِ الْأُمَّةِ، لَا يَغْمِدُهُ أَبَدًا، وَيَبْعَثُ نَاقِمًا [قَائِمًا] مِنْ ذُرِّيَّتِهِ فَيَنْتَقِمُ مِنَ النَّاسِ^(٢).

اللهم عجل لوليِّك الفرج، واجعلنا من المنتقمين معه، والحمد لله الذي لا

يحمد على مكروه سواه^(٣).

(١) كامل الزيارات ص ٦١.

(٢) كامل الزيارات ص ٧٤.

(٣) أول محرم الحرام ١٤٣٩ هـ، من جوار عمّة الجواد ﷺ، واهبة الجنان، فاطمة المعصومة ﷺ.

٨. دِمَاءٌ فِي عَاشُورَاءٍ.. تَصْبَعُ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ!!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة ٦١ للهجرة

- في أرض الطّف.. سالتّ الدماء الزاكية.

- وفي المدينة المنورة.. ترابٌ قارورة أم سَلَمَة يستحيلُ دَمًا!

سنة ١٤٣٤ للهجرة

- في أرض الطّف.. يرى الحاضرُ تكراراً لما جرى في قارورة أم سلمة..

ويتناقل العالمُ على الأثير مباشرةً صوراً لترابٍ ينقلبُ دماء!

إنَّهُ صدى كربلاء.

شاهد الحاضرون في أرض الطّف الدّمَ يومَ العاشر من المحرم، والغائبون

أسعفتهم التقنيّة بنقل الصورة فورَ حدوثها، فكانت معجزةً من معاجز الحسين

المستمرة.. معجزةٌ بعقب الدم الحسيني الزاكي.

وللدماء مع عاشوراء ألفُ حكايةٍ وحكاية.

لقد خَبَرَ النَّاسُ تَرَدُّدَ صدى الأحداث الكبيرة بعد وقوعها، لكنهم ما

اعتادوا ولا سمعوا صدىً يسبقُ الحدّث!!

لكن لكربلاء فرادتها..

١. فإذا رجعتَ إلى سِنِّيِّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ترى عَثْرَةً لِأَبِي الْبَشَرِ فِي أَرْضِ الطّف،

حتى سال الدم من رجليه موافقةً لدم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ!

٢. يعقبه إبراهيم عليه السلام، خليل الله، بشَجَّةِ رأسٍ، فيسيل دمه كآدم مواساة للحسين عليه السلام.

٣. ويلحقهم موسى عليه السلام، كلِّيم الله، فيشاركهم إراقة الدماء^(١).

أنبياءٌ اختار الله تعالى لهم مواساة الحسين عليه السلام بدمهم، وآخرون بدمعهم قبل يوم عاشوراء! إنها معادلة تتخطى الزمن.

لا نعلم سرَّ الدماء في عاشوراء.. دماءٌ كان الخلدُ مسكنها، والأنبياءُ صداها المتقدم!

ولكننا نعلم أن صداها المتأخر يُسمع كلَّ عامٍ في أرضِ الطف، بين مواكب المعزَّينِ المواسين بدمهم سيِّد الشهداء عليه السلام.

ولو أجلنا النظر لوجدنا لدم الحسين أثراً في كل مكان:

١. ففي يوم الطف العجائب.. تسيلُ الدماء الزاكية، فيلتقطها رسول الله

صلى الله عليه وآله قائلاً لأُم سلمة: لم أزل منذ الليل ألتقط دم الحسين وأصحابه!^(٢).

٢. وترى فرساً يتمرغُ بدم الحسين عليه السلام!^(٣).

وتشتركُ الجهادات..

٣. أحجارٌ ما رُفِعَ أحدها إلا وُجِدَ تحته دمٌ عبيط!^(٤).

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٤٢-٢٤٣.

(٢) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ج ٣ ص ١١٨.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام للمقرم ص ٢٩٧.

(٤) الأمل للصدوق ص ١٦٨.

٤. سَمَاوَاتٌ تَبْكِي أَرْبَعِينَ صَبَاحاً دَمًا وَتَمَطَّرُ! (١).
٥. وَالْعَالِمَةُ غَيْرُ الْمُعَلِّمَةِ، زَيْنَبُ عَلَيْهَا السَّلَامُ تَوَاسِيَهُ بِدَمِهَا: فَطَطَّحَتْ جَبِينَهَا بِمُقَدَّمِ
الْمَحْمِلِ حَتَّى رَأَيْنَا الدَّمَ يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ فِنَاعِهَا! (٢).
- مَا السَّرُّ فِي دَمِ الْحُسَيْنِ؟ إِذْ سَأَلْتَ دَمَاءَ الْخَلْقِ لِمَا سَأَلَ!
- مَا السَّرُّ حَتَّى صَارَ ظَهْوَرُ الْحِجَّةِ نَصْرًا لِدَمِ الْحُسَيْنِ وَأَخَذًا بِنِثَارِهِ؟! حَتَّى
يُنَادِي بِشِعَارِهِ: يَا لَثَارَاتِ الْحُسَيْنِ! (٣).
- مَا السَّرُّ فِي دَمِ الْحُسَيْنِ.. حَتَّى يَنْتَقِلَ مَعَ قَمِيصِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ!
فَهَذِهِ الزَّهْرَاءُ: تَأْخُذُ قَمِيصَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِيَدِهَا مُضْمَخًا بِدَمِهِ! (٤).
- أَيُّ دَمَاءٍ هَذِهِ؟! وَمَاذَا فَعَلْتَ؟!!
- مَا السَّرُّ فِي دَمِ الْحُسَيْنِ وَبَنِيهِ؟! إِذَا مَا أُلْقِيَ إِلَى السَّمَاءِ لَمْ يَنْزِلْ لِلْأَرْضِ مِنْهُ
قَطْرَةٌ؟!!
١. حَيْثُ تَلَقَّى الْإِمَامَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ دَمَ طِفْلِهِ الرَّضِيعِ بِكَفِّهِ وَرَمَى بِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ،
فَلَمْ تَسْقُطْ مِنْهُ قَطْرَةٌ! (٥).
٢. وَحَيْثُ يَرْفَعُ دَمَ الْأَكْبَرِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ لَا يَرْجِعُ مِنْهُ قَطْرَةٌ! (٦).

(١) كامل الزيارات ص ٨١.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١١٥.

(٣) المزار الكبير لابن المشهدي ص ١٠٧.

(٤) الأمل للمفيد ص ١٣٠.

(٥) مثير الأحران ص ٧٠.

(٦) كامل الزيارات ص ٢٣٩.

٣. وحيث وضع يده تحت جرحه فلما امتلأت رمى به نحو السماء فلم يسقط من ذلك الدم قطرة الى الأرض!^(١).

لقد امتزج دمهم الطاهر بالأرض، لكن لماذا لم يسقط إليها بعدما رماه للسماء!؟

لعل بين دمهم المبارك وبين الدم الطاهر لحبيب الله محمد ﷺ وحدة حال واشتقاق، كما اشتق نورهم من نور الله تعالى.

فإنَّ الثائر لدمهم، الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام يخرج كما في الرواية بقميص رسول الله ﷺ، وعلى كُمَّه الأيسر دمه ﷺ، كان القميص عليه يوم أحدٍ حينما ضربت ربايعته.. فسأل دمه على لحيته ووجهه: وكان يتلقى الدم بيده ويرمي به نحو السماء والملائكة تختطفه وتترك به!^(٢).

لم يسقط حينها دم الرسول ﷺ إلى الأرض لما رمى به إلى السماء! وكذا دماء الحسين وبنيه عليه السلام!

وقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: إن دمي إذا وقع على الأرض يغضب الله سبحانه وتعالى على أهل الأرض ويهلكهم بالعذاب، وقد بعثني ربي رحمةً للأمة فلا أكون نقمةً عليها!^(٣).

كما روي عن الباقر عليه السلام قوله في دماء الرضيع: لو وقعت منه إلى الأرض

(١) تسلية المجالس ج ٢ ص ٣٢١.

(٢) تسلية المجالس ج ٢ ص ٣٢١.

(٣) رياض الأبرار ج ٣ ص ١٩٨.

قطرةٌ لنزل العذاب! (١).

وكانَّ الرحمة استمرت فلم ينزل من دم الحسين وبنيه قطرةٌ لئلا يُهلك الله تعالى أهل الأرض بالعذاب بعد الغضب!
إنها رحمةٌ رسول الإنسانية محمد بن عبد الله ﷺ، وكأَنَّها تجلَّت في بنيه في
الطف من بعده رغم المأساة!

إلى أن يأذن الله للمتقم صاحب شعار: (يا لثارات الحسين) بالظهور،
فيكون الطالب بالأوتار، قاصم كل جبار، الذي لو قتل أهل الأرض بالحسين
ﷺ ما كان مسرفاً! (٢).

ولعلَّ الرحمة تنزل على المؤمنين المواسين لسيد الشهداء بدمهم في هذا العام
كما في كل عام.

ولعلَّ الله بمواساتهم وسائر المعزّين يرحمنا بتعجيل فرج ولينا، ويجعلنا من
أنصاره وأعوانه، والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه (٣).

(١) تسمية من قتل مع الحسين ﷺ ص ١٥٠، والأمل الخميصة ج ١ ص ٢٢٥.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ص ٢٧٤.

(٣) الرابع من محرم الحرام ١٤٣٩ للهجرة.

٩. اجتماع الشيعة بعد الشتات: إنها عاشوراء!

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْحُبَّ الَّذِي نُحِبُّونَا لَيْسَ بِشَيْءٍ صَنَعْتُمُوهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ صَنَعَهُ.

هذه كلمةٌ حول محبة آل البيت عليهم السلام، قالها باقر العلم يوماً^(١)، كشفت أن بذرة الحب في قلوب الشيعة قد زرعها يدُ الغيب الإلهية، ورعتها حتى نمت وأثمرت حباً في قلوب المؤمنين للعترة الطاهرة.

ولقد كانت الثلثة من الشيعة المؤمنين صنيعة عاشوراء! فكلما هلَّ هلال المحرم، ذابت قلوبهم وانفطرت على مُصاب المظلوم.

تجلت في ذلك عليهم نِعْمُ السماء بأن عرفهم الله سادة الخلق وعظيم مصابهم، فحُبلوا على إحياء عاشورائهم ليلهم ونهارهم.

الحزن يغمر قلوبهم، والأسى يلف وجوههم.. يعيشون الإنكسار والألم في باطنهم وظاهرهم.

يجمعهم في أقاصي الشرق والغرب إحياء ذكرى الحسين عليه السلام، على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وقومياتهم وجنسياتهم وطبائعهم وعاداتهم، فيثمر ذلك اختلافاً في صور إحياء الذكرى والعزاء.

وللوهلة الأولى.. قد يُتصوَّرُ أنَّ كلَّ اختلافٍ مذموم، لأنَّه يعني الاختلاف

(١) المحاسن ج ١ ص ١٤٩.

بين الحق والباطل.. بين العدل والظلم.. بين الظالم والمظلوم.. وهو ما تشكو منه البشرية ليلها ونهارها، فتأخذ ذكرى الحسين عليه السلام بيدها إلى رمز الفداء الذي يأتي الخلاص يوماً على يد حفيده المهدي المنتظر آخذاً بثاره من ظالميه والراضين بأفعالهم.

وقد يؤيد هذا التصور بعض آيات الكتاب الكريم التي ذمت الاختلاف، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، أو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾^(٢).

لكن التأمل في هذه الآيات وغيرها يكشف أن محور الذم هو الكفر والجحود والإنكار، وليس الاختلاف بنفسه، إذ إن هناك صورةً أخرى تكشف عن اختلافٍ ممدوحٍ لا غبار عليه ولا بأس فيه.

بل إن الكون الأصلح قائمٌ على الاختلاف في مخلوقات الله تعالى، وهو اختلافٌ تراعى فيه العدالة الإلهية، وتكون منح السماء فيه بحسب الحكمة الربانية، كالتنوع في الخلق والعقل والمنظر والهيكل، وهو اختلافٌ جعله الله تعالى سبيلاً إلى تكوين الأمة المتنوعة في خيارها الأكمل والأصلح، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ السِّتِّكُمْ وَالْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

(١) آل عمران ١٠٥.

(٢) البقرة ٢٥٣.

لِلْعَالَمِينَ ﴿١﴾، فصار اختلاف اللسان وتعدد اللغات وسواها الكثير من ظاهر الاختلاف آية من الله تعالى للعالمين.

فإِذَا تَحَيَّلَ بعضُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَعَدَّدَ صورُ إحياءِ العزاءِ هو مصداقٌ لما ذمته الشريعة المقدسة، وأنه يثير الشقاق بين المؤمنين والفرقة!

أجبنه بأنه يمثل أبلغ أنواع الوحدة تحت اسم الحسين عليه السلام، حيث إن أفعال الشيعة في عاشوراء تجمع أمرين اثنين:

الأول: اتفاق كلمتهم على لزوم إحياء ذكرى سيد الشهداء عليه السلام، وهو باب وحدة الشيعة واتحادها وجمع كلمتها للبكاء على من بكاه الأنبياء وسيدهم صلى الله عليه وآله.

الثاني: التنوع الصحي في صور الإحياء ضمن البيت الواحد، فيحيي كلُّ منهم ذكرى عاشوراء بحسب ما ينسجم مع طبيعته ورغبته ومكانه و..

فالبكاء مثلاً حالة عامة لا يختلف عليها اثنان من الشيعة، لأنها الأسلوب الأول للإنسان في التعبير عن الحزن والتألم والتفجع، وكذا ذكر مصاب الأطهار عليهم السلام، فهو مما لا يتوقف في رجحانه أحد من الشيعة.

لكنَّ بعض المصاديق التي يختلف فيها الشيعة، فتأتي بها فئة وتأتي بغيرها فئات أخرى، يسوغ لنا أن ندخلها في التنوع المباح.

وكلما قلَّبتنا الطرف وجدنا أن سُنَّة الاختلاف والتنوع المباح جارية في كثير من مفاصل حياتنا، ومن نماذج ذلك:

١. تجتمع الأسرة الواحدة على مائدة الطعام، يختار الأب طعاماً يراعي فيه

حالته الصحية، وتختار الأم آخر يناسب ذوقها، ولكل من الأولاد رغبته في صنف خاص، فيجتمع الجميع على مائدة واحدة وتنوع الأطباق التي يتناولها كل واحد، ثم لا يذم أحدهم الآخر لهذا الاختلاف، على أنهم قد تناولوا جميعاً صنفاً واحداً هو الماء أو الخبز أو الملح إلى جانب أصنافهم الخاصة.

٢. يبني كل منهم بيتاً يراعي فيه حاجته وذوقه وقدرته..

٣. يركب كل منهم سيارة تناسب وضعه وظرفه..

٤. لباسهم لم يكن في يومٍ موحداً، ولا غيره مما ساغ للبشرية فيه الاختيار ضمن دائرةٍ يجتمع عليها العقلاء، وهي الدائرة التي تُوحِّدُهُمْ وتضمن لهم مساحةً يختلفون فيها، ويحافظ كل منهم فيها على رأيه وخصوصيته.

هذه بعض نماذجها في حياتنا..

أما بعض نماذجها في شريعتنا..

١. ليالي القدر المباركة.. حيث يتناول المؤمن فيها كتب الدعاء، يتأمل بعد أن يرى أنَّ الوقت لا يسمح للإتيان بكل المستحبات في هذه الليلة المباركة، فيختار أهمها وأفضلها، أو أقربها إلى ذوقه، فلا يذم قارئ القرآن في هذه الليلة قارئ الدعاء، ولا المصلي يقدر بطالب العلم فيها، ولا المتصدق على الفقراء ينتقص من ذاكر العترة الطاهرة في ليلة القدر، ولا قارئ دعاء الجوشن يطعن بتالي أدعية السحر.. وهكذا يجتمع الجميع تحت خيمة الإحياء مع الاختلاف في صورها.

٢. وهكذا في سائر المستحبات، فإنك عندما تدخل المساجد والمراد

المقدسة ترى المؤمنين مجتمعين حول خيمة الإمام التي تُظللهم، لكنهم بين قائم وقاعدٍ وراكعٍ وساجدٍ وتالٍ للقرآن.. وهي صورةٌ تحاكي ملائكة السماء الذين تعددت عباداتهم وكلهم في محل القرب منه تعالى، كما وصف النبي ﷺ حالهم في ليلة النصف من شعبان:

وَمَا فِي السَّمَاءِ مَلَكٌ إِلَّا وَقَدَّ صَفَّ قَدَمَيْهِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ: فَهُمْ بَيْنَ رَاكِعٍ وَقَائِمٍ وَسَاجِدٍ وَدَاعٍ وَمُكَبِّرٍ وَمُسْتَغْفِرٍ وَمُسَبِّحٍ^(١).

إن حقيقة إحياء الشيعة لعاشوراء هي من هذا القبيل تماماً.

ولئن كان يُخَيَّلُ إلى بعض من ينظر إليهم من خارج مدرستهم أن قلوبهم شتى، وأن عاشوراء فرقتهم بدلاً من أن توحدهم.. فإنَّ هذه النظرة قاصرة..

قد أورثته فهماً خاطئاً، وجهلاً بحقيقة الشيعة، وبقوة الرابطة التي في قلوبهم، وجعلته ممن: يَنْظُرُ بَعَيْنٍ غَيْرِ صَاحِبَةٍ وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ..

إن سرَّ الله عاشوراء، هي الباب الأكبر والأعظم لاجتماع الشيعة لإحياء ذكرى الحسين عليه السلام بكل صورها وأشكالها، وهي تجمع العامل المؤمن الطيب البسيط، مع العالم المحقق المدقق الخبير.

تجمع الكبير والصغير.. السقيم والسليم.. ويشترك فيها الرجل والمرأة والطفل.. وينضوي كل الشيعة تحت خيمتها، فيحيي كل منهم الذكرى بما يشاء، مراعيًا حدود الله تعالى.

(١) إقبال الأعمال ج ٢ ص ٦٩٩.

إن الشيعة هم أكثر من تَذَوَّقَ حرارة الكَبْتِ والظُّلْمِ والقَهْرِ، حينما مُنِعُوا من زيارة سيد الشهداء عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودفَعُوا لذلك أعظم الأثْمَانِ.. رِقَاباً تُقَطَّعُ! وأيدي تُبْتَرُ! وما بدَّلُوا يوماً.. وهم يدركون تماماً صعوبة أن يُمنع إنسانٌ من التأثر على فراق أحب الناس إليه.. فكيف لو كان التأثر على أحب الكائنات عند الله تعالى وعند المؤمنين جميعاً؟!!

لذا أدرك الشيعة قبل غيرهم أن هذه الخيمة والراية الحسينية عَصِيَّةٌ على الجبر والإكراه! فمهما تدخلت الأيدي الأثيمة لتمنع الشيعة من إبراز حبهم بشتى صورته انكفأت خاسئةً تجرُّ أذيال الخيبة في الدنيا والآخرة.
لكن قائلاً قد يقول:

ما هذه الصورة المثالية التي تعرضها عن أيام العزاء في عاشوراء؟!
أليست من وحي الخيال؟! هرباً من واقع أليم نعاني منه، يتمثل باختلاف الشيعة وطعنهم ببعضهم كلما هلَّ هلال عاشور بل قبله؟!
فهل تعيش أيها الكاتب في مدينةٍ فاضلةٍ غير مدننا هذه؟! أليست بين ظهرانينا تقرأ التنازع بين الشيعة والتراشق كلما جاءتنا أيام هذه الذكرى الأليمة؟!
فأين كل هذه المفاهيم؟! وأين هي الخيمة والراية التي تجمع الشيعة؟!
إنَّ هذه التساؤلات قد تكون محققة.. وجوابها في جهات:

أولاً: إن توصيفنا لحال الشيعة في عاشوراء لم يخطئ الواقع أبداً، فهو يصفُ حال أغلب الشيعة الذين لا يهتمُّهم سوى العزاء في هذه الأيام، ولا يخطر طون في محاور الطَّعْنِ والهمز واللمز بين المؤمنين، لأنهم يعرفون أن: حُرْمَةُ النَّبِيِّ وَالْمُؤْمِنِ

أَعْظَمُ مِنْ حُرْمَةِ الْبَيْتِ^(١).

وهم يعلمون أن هتك حرمة المؤمن معصية كبيرة عظيمة، فيخشون الله في إخوانهم المؤمنين، وينزهون لسانهم عن هتك حرمتهم، لئلا يكونوا محاربين لله تعالى، كما علمهم الصادق عليه السلام لما قال: نَزَلَ جَبْرَائِيلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: مَنْ أَهَانَ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ فَقَدْ اسْتَقْبَلَنِي بِالْمُحَارَبَةِ^(٢).

ولعل هذا هو حال أغلب من يحيي ذكرى عاشوراء من الشيعة.

ثانياً: أن هذه الفئة التي تمثل عموم الشيعة قد لا يُسمع لها صوت في عاشوراء لانشغالها بالعزاء، لكن أصوات النشاز تعلو غالباً، كما يعلو صوت المدفع على أصوات العلم والفهم والتدبر والتعقل على كثرتها..

فرجل واحد يطلق قذيفةً يتردد صداها بين آلاف يهمسون همساً، فيظن ظاناً أن القوم كلهم أصحاب مدافع وبنادق، والحال أنهم أصحاب همهمة خرج منهم مدفعيٌّ واحدٌ جعلهم في خانة المقاتلين كما يظن من لا يعرف حقيقتهم.

ثالثاً: إن الشيعة لما لم يكونوا معصومين كسائر الناس، ولما لم يكونوا على مرتبة واحدة في الإيمان والإدراك والعلم والفهم، ولما كانت النفس الأمارة بالسوء قد تتمكن من جملة منهم، ولما كان إبليس أكثر عناء بهم لارتباطهم بالحق المطلق، بالعترة الطاهرة..

لكل ذلك كانوا عرضةً للفتنة..

(١) كما يروى عن الإمام الهادي عليه السلام في الكافي ج ٤ ص ٥٦٨.

(٢) المؤمن ص ٣٢.

لقد حرص الأئمة على بيان الحق لئلا يُدخَلَ الجهلُ الحيرةَ على ضعفاء الشيعة، كما قال إمامنا الكاظم عليه السلام عندما أجاب على أسئلة السائل: رَأَيْتُ أَنَّ أُفْسِرَ لَكَ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ مَخَافَةً أَنْ يَدْخُلَ الْحَيْرَةُ عَلَى ضُعَفَاءِ شِيعَتِنَا مِنْ قِبَلِ جَهَالَتِهِمْ^(١).

فَالْجَهَالَةُ أَثِيمًا الْأَحْبَةُ تَجْعَلُ ضِعْفَاءِ الشَّيْعَةِ فِي خَطَرٍ.

وعليهم حينها الاستعانة بالعلماء المرابطين الذين يمنعون إبليس من التسلط على المؤمنين.

فتكليف الشيعة عند الجهالة والحيرة هو الرجوع للعلماء العالمين بالشرعية، الذين قال عنهم الصادق عليه السلام: عُلَمَاءُ شِيعَتِنَا مُرَابِطُونَ فِي الثَّغْرِ الَّذِي يَلِي إِبْلِيسَ وَعَفَارِيَتَهُ، يَمْنَعُوهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ عَلَى ضُعَفَاءِ شِيعَتِنَا، وَعَنْ أَنْ يَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ وَشِيعَتُهُ وَالنَّوَاصِبُ^(٢).

وقال في وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام: مَنْ كَانَ مِنْ شِيعَتِنَا عَالِمًا بِشَرِيعَتِنَا فَأَخْرَجَ ضِعْفَاءَ شِيعَتِنَا مِنْ ظُلْمَةِ جَهْلِهِمْ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ الَّذِي حَبَوْنَاهُ بِهِ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مِنْ نُورٍ^(٣).

فلئن أخطأ شيعيُّ دربه يوماً لحيرته أو جهالته، وجب عليه أن يستعين بإخوانه المؤمنين العالمين بالشرعية، ليرفعوا له الحيرة ويحافظوا على ولائه للعترة.

وستبقى عاشوراء.. باب وحدة الشيعة قديماً وحديثاً.. فقد حفظتهم جميعاً

(١) الكافي ج ٨ ص ١٢٤.

(٢) الاحتجاج ج ١ ص ١٧.

(٣) الاحتجاج ج ١ ص ١٦.

حتى اليوم، وسيبقى الأمر كذلك إلى آخر الطريق.

ولئن كانت تصرفات بعضنا تسيء إمامنا حتى يتأسف عليها فيقول: وَوَا
أَسْفَى مِنْ فَعَلَاتِ شِيعَتِي مِنْ بَعْدِ قُرْبِ مَوَدَّتِهَا الْيَوْمَ، كَيْفَ يَسْتَنْدِلُ بَعْدِي بَعْضُهَا
بَعْضًا وَكَيْفَ يَقْتُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا..

فإن وعده عليه السلام بعودة الاجتماع مجددًا مما تقرّ به العيون..

فيقول عليه السلام بعد ذلك: مَعَ أَنَّ اللَّهَ وَلَهُ الْحَمْدُ سَيَجْمَعُ هَؤُلَاءِ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي
أُمِّيَّةٍ كَمَا يَجْمَعُ قَزَعِ الْخَرِيفِ، يُؤَلَّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ.. وَلَعَلَّ اللَّهَ يَجْمَعُ شِيعَتِي بَعْدَ التَّشْتِ
لِشَرِّ يَوْمٍ هَؤُلَاءِ^(١).

بعد كل اختلافٍ للشيعة إذاً لو كان.. ستعود عاشوراء لتجمع الشيعة
لانتقام من بني أمية وأذنانهم، تحت راية الحجة المنتظر عليه السلام، الأخذ بثار شهيد
كربلاء، وبطل عاشوراء، سيد الشهداء عليه السلام.

ونحن على أبواب أيامه، أيام عاشوراء.. لا ننسى كلمة الإمام: وَوَا أَسْفَى
مِنْ فَعَلَاتِ شِيعَتِي..

ونعلم أن عاقبتنا الاجتماع: أَنَّ اللَّهَ وَلَهُ الْحَمْدُ سَيَجْمَعُ هَؤُلَاءِ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي
أُمِّيَّةٍ..

فكلنا في خندقٍ واحد، وسيجمعنا الله بعد الفرقة والتشتت.

لذا.. وجب الحذر على كلٍّ عاملٍ منّا.. لتلا يكون من أصحاب الفعال التي
تسوء إمامنا! فلا يستدل بعضنا بعضاً.

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٤-٦٦.

وليتق مؤمنٌ ربه في إخوانه، في هذه الأيام وسواها.
ولنبتهل إلى الله تعالى أن يفرِّجَ عنا بتعجيل فرج ولينا، وأن نكون معه من
الآخذين بالشار.

جمع الله الشيعة على الحق والخير، وأظهر كلمته وجعلها العليا.
وعظم الله أجورنا وأجوركم^(١).

(١) الجمعة ٢٨ ذي الحجة ١٤٤٠ للهجرة.

١٠. نُجُومُ السَّمَاءِ.. هَوَتْ فِي كَرِبَاءٍ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَحْمَلُ الزَّهْرَاءُ سَيِّدَةَ النِّسَاءِ حُسَيْنًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَأْخُذُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَدِهَا،
ثُمَّ يَدْعُو عَلَى قَاتِلِيهِ وَمَنْ أَعَانَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهَا:
يَا بِنْتَاهُ، ذَكَرْتُ مَا يُصِيبُهُ بَعْدِي وَبَعْدَكَ مِنَ الْأَذَى وَالظُّلْمِ وَالغَدْرِ وَالْبَغْيِ،
وَهُوَ يَوْمٌ مَيِّدٌ فِي عُصْبَةِ كَأَنَّهُمْ نُجُومُ السَّمَاءِ، يَتَهَادُونَ إِلَى الْقَتْلِ^(١).
يُرِيدُ النَّبِيُّ ﷺ الثَّناءَ عَلَى أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَشَبِّهُهُمْ بِنُجُومِ
السَّمَاءِ.

فَمَا وَجْهُ الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ فِي ذَلِكَ؟

وَهَلْ لَنَا مِنْ ثَمَرَةٍ تَنْفَعُنَا لَوْ كَانُوا كَنُجُومِ السَّمَاءِ؟

أَمْ أَنَّ هَذَا يَكْشِفُ عَنْ مَنْزِلَةٍ خَاصَةٍ بِهِمْ لَا شَأْنَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهَا؟

نُجُومُ الْهِدَايَةِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ
قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

لَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ الْهِدَايَةَ لِعِبَادِهِ، وَسَخَّرَ لَهُمْ سُبُلَهَا، وَنَصَبَ لَهُمْ أَنْوَارًا يُهْتَدَى بِهَا،

(١) كامل الزيارات ص ٦٩.

(٢) الأنعام ٩٧.

ثم قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾^(١)، وكان أنبياءُ الله ورسله وأولياؤه من أهل العصمة أنواراً لله تعالى تُنيرُ كلَّ ظلمةٍ، وترفعُ كلَّ غشاوةٍ، على تقلُّبِ الأحوال وتبدُّلها، في برِّ كان ذلك أم في بحر.

ثم أعطى الله تعالى بعضَ خلقه المخلصين الصادقين كرامةً رفيعةً، ومنزلةً ساميةً.

هي لا تُداني منزلة المعصومين، لكنَّها عظيمةٌ عند الله تعالى، نالها بعضُ أصحابهم عليهم السلام، كأصحاب الحسين عليه السلام، فصاروا نجوماً يُهتدى بها في الظلمات. ولكن.. الى أيِّ شيءٍ يهدي هؤلاء؟ وبماذا صاروا نجوماً للهداية؟ وما هي مرتبتهم عند الله تعالى؟

لقد اتَّصَفَ خَيْرُ أَصْحَابِ بَأْتَمِهِمْ:

١. الذابون عن توحيد الله

فقد ورد في زيارة الشهداء عبارةٌ عجيبة: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الذَّابُونَ عَنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ^(٢).

فما معنى ذلك؟! وكيف يصيرُ الشهداء في مقام الذَّبِّ عن التوحيد؟ وأعداؤهم من أهل التوحيد والإسلام!
إنَّ لهذه العبارة تفسيران:

(١) الأعراف ١٧٨.

(٢) المزار الكبير ص ٤٢٥.

التفسير الأوّل: أنّ أعداءهم وإن كانوا على ظاهر الإسلام، إلا أنّهم سلكوا سبيل نقض عرى الإسلام والوحدانية، لولا أن افتضح أمرهم بفعل الإمام الشهيد وأصحابه عليهم السلام، وهو العالم بمآل الأمور حين قال: وَعَلَى الْإِسْلَامِ السَّلَامُ إِذْ قَدْ بُلِيَتْ الْأُمَّةُ بِرَاعٍ مِثْلِ يَزِيدَ^(١).

وقد صدّق يزيد قول الإمام بعد قتله سلام الله عليه، فقال لعنه الله:

لَعِبْتُ هَاشِمًا بِالْمَلِكِ فَلَا *** * خَبْرٌ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ^(٢)

فصار الشهداء بهذا المعنى من المنافحين عن توحيد الله تعالى، قبل أن تُنقَضَ عُرَاهُ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ.

التفسير الثاني: أنّ الدّفاع عن التوحيد هو الدّفاع عن الإمام، فإنّ معرفة الله تعالى لا تتم وتكتمل إلا بمعرفة الإمام، كما ورد عنهم عليهم السلام: إِنَّمَا يَعْرِفُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَعْبُدُهُ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَعَرَفَ إِمَامَهُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ^(٣).

ولما كان الأئمة هم أبواب الله التي منها يؤتى، وكانوا الأدلاء عليه، فهّمنا لماذا: لَوْلَاهُمْ مَا عَرِفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٤).

وصار جلياً كيف صار هؤلاء الشهداء ذابّون عن توحيد الله، فهم الموالون لأولياء الله، المعادون لأعداء الله تعالى، استكملوا بذلك حقيقة الإيثار، ودافعوا عن الله تعالى ودينه بدفاعهم عن إمامهم المعصوم.

(١) اللّهُوف ص ٢٤.

(٢) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٠٧.

(٣) الكافي ج ١ ص ١٨١.

(٤) الكافي ج ١ ص ١٩٣.

٢. العارفون بحجة الله

ولما صارت معرفة الإمام معياراً لمعرفة الله تعالى، كشفَ عظيمُ شأنِ الأصحاب عن عظيمِ معرفةٍ بالإمام عليه السلام، وقد ظهر ذلك في كلماتهم قبل أن يظهر في توضيحاتهم.

ومن بليغ كلماتهم في ذلك قول مسلم بن عوسجة للحسين عليه السلام: أُنْخَلِي عَنْكَ وَلَمَّا نُعْذِرُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي آدَاءِ حَقِّكَ.. وَاللَّهُ لَا نُخَلِّيكَ حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّ قَدْ حَفِظْنَا غَيْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيكَ^(١).

هذه كلمة رجل يعلم أن للحسين حقاً في رقة كل مؤمن، لا يُعْذَرُ بالتقصير في أدائه، ويعلم أن حقه من حق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن رسول الله يُحْفَظُ في آله الأَطْهَارِ.

وكَلِمًا تَأَمَّلْ مَتَأَمَّلْ فِي كَلِمَاتِ هَلَالِ بْنِ نَافِعٍ لِلْحُسَيْنِ عليه السلام أَزْدَادٌ تَعَجَّبُوا بِقَدْرِ مَعْرِفَتِهِ وَصَحْبِهِ بِهِ عليه السلام، حِينَ قَالَ لَهُ عليه السلام:

فَسِرْ بِنَا رَاشِدًا مُعَافِي، مُشْرِقًا إِنْ شِئْتَ وَإِنْ شِئْتَ مُغْرَبًا، فَوَ اللَّهُ مَا أَشْفَقْنَا مِنْ قَدْرِ اللَّهِ، وَلَا كَرِهْنَا لِقَاءَ رَبِّنَا، وَإِنَّا عَلَى نِيَّاتِنَا وَبَصَائِرِنَا، نُؤَالِي مَنْ وَالَاكَ وَنُعَادِي مَنْ عَادَاكَ^(٢).

فقد كشفت عن عظيم إدراكٍ لمكانة الإمامة والإمام، فهو كسائر الأصحاب يعلم أن الهدى والرَّشَادَ منحصراً في أتباع الحسين عليه السلام، وأنَّ الْحَقَّ يدور معه كيفما

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٩٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٨٣.

دار كآبيه عليّ عليه السلام، وأنه إمامٌ قام أو قعد، وأنَّ المؤمن مكلفٌ باتباعه مهما فعل، سواءً عَلِمَ وجه الحكمة في فعّاله أم لم يعلم، لأنَّه الإمام المعصوم المطهَّر عن العيوب.

وهذا القَدْرُ من التسليم لا يكون الا للمعصوم عليه السلام، فَمَنْ نَزَلَ غيرَ المعصوم منزلة المعصوم في ذلك كان جاهلاً بمقام الإمامة، وهذا بابٌ آخر من أبواب الابتلاء والامتحان لنا في أيامنا هذه وفي كلِّ يوم.

ثم إنَّ كلامه يكشفُ عن تسليمٍ عظيمٍ لأمر الله تعالى، ومعرفةٍ عميقةٍ بمعاني القضاء والقدر، وإيمانٍ رفيعٍ تُنيرُ دربه البصيرةُ، حينما يصيرُ المعصومُ معيارَ الحقِّ المطلق، فيستكملُ الإيثار بموالاته ومعاداة أعدائه.

هكذا يظهر لنا شيءٌ يسيرٌ من عظمة هؤلاء الأصحاب.

٣. الناصرون لكلمة الله

لقد أخذت المعرفة العظيمةُ بالإمام أصحابه إلى أسمى المراتب، فما ضعفوا وما استكانوا في نصرة إمامهم.

ههنا يصفُ الصادق عليه السلام هؤلاء الأصحاب بأوصافٍ عجيبة، يقول فيها:
وَمَا ضَعُفْتُمْ، وَمَا اسْتَكْتَمْتُمْ، حَتَّى لَقَيْتُمْ اللَّهَ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ، وَنُصْرَةَ كَلِمَةِ
اللَّهِ التَّامَّةِ.. أَشْهَدُ أَنَّكُمْ قَدْ جَاهَدْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقُتِلْتُمْ عَلَى مِنْهَاجِ رَسُولِ اللَّهِ
صلى الله عليه وآله وَأَبْنِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله (١).

(١) الكافي ج ٤ ص ٥٧٤.

هذه أوصافٌ شريفةٌ تكشفُ كلَّ واحدةٍ منها عن منزلةٍ عظيمة، لكنَّ أغرب ما فيها هي أنهم استشهدوا وقد نصرُوا (كَلِمَةَ اللَّهِ التَّامَّةَ)!
لقد عَلِمَ هؤلاءُ عظمةَ الحسينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فنصروه تلكَ النَّصْرَةَ.

ولئن كان الله تعالى قد ألقى (كلمته) في مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ الْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾^(١)، فصارَ لعيسى عظيم المنزلة عند الله، فإنه تعالى قد جعل (كلمته التامة) مع الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأين مقامُ (الكلمة) من (الكلمة التامة)؟!

ففي حديث اللوح عن الباري عزَّ وجل:

وَجَعَلْتُ حُسَيْنًا خَازِنًا وَحَيِي.. جَعَلْتُ كَلِمَتِي التَّامَّةَ مَعَهُ، وَحُجَّتِي الْبَالِغَةَ عِنْدَهُ^(٢).

استشهد إذاً أصحاب الإمام على سبيل الحق، ونصرة كلمة الله التامة، فأبى مديحٍ يستحقُّ هؤلاء؟!!

لقد ذكر الله تعالى الحواريين لما نصرُوا (كلمته) عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وضرَبَ بهم مثلاً حين قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾^(٣).

لكنَّ نصرة الحواريين لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم تكن أعظم من نصرة أصحاب الحسين

(١) النساء ١٧١.

(٢) الكافي ج ١ ص ٥٢٨.

(٣) الصف ١٤.

له ﷺ، فقد كانوا أطوعَ للحسين ﷺ من الحواريين لعيسى ﷺ، وقدّموا أعظم مما قدّموا، فهم من أعلى مراتب الشيعة الذين قارن الإمام بينهم وبين الحواريين فقال:

وَمَا كَانَ حَوَارِيَّ عِيسَى بِأَطْوَعَ لَهُ مِنْ حَوَارِيَّتِنَا لَنَا.. فَلَا وَاللَّهِ مَا نَصَرُوهُ مِنْ الْيَهُودِ، وَلَا قَاتَلُوهُمْ دُونَهُ، وَشِيعَتُنَا وَاللَّهِ لَمْ يَزَالُوا مُنْذُ قَبَضَ اللَّهُ عَزَّ ذِكْرَهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَنْصُرُونَنَا، وَيُقَاتِلُونَ دُونَنَا، وَيُحْرَقُونَ وَيُعَذَّبُونَ وَيُسَرَّدُونَ فِي الْبُلْدَانِ (١).

فصار أصحاب الحسين أرفعَ نموذجٍ لمن ينصر الله ورسوله، ويقاتل دون الطيبين من آل محمد ﷺ.

أما نقل الإمام السجاد ﷺ قولهم جميعاً ليلة عاشوراء، حينما أحلّهم الإمام الحسين ﷺ وأخبرهم أنهم إن بقوا سيقتلون، فقالوا: لَا نَخْذُلُكَ وَلَا نَخْتَارُ الْعَيْشَ بَعْدَكَ، فَقَالَ ﷺ: إِنَّكُمْ تُقْتَلُونَ كُلُّكُمْ حَتَّى لَا يُفْلِتَ مِنْكُمْ وَاحِدٌ، فَكَانَ كَمَا قَالَ ﷺ (٢).

أما رفضوا تركه وقالوا: لِمَ نَفْعَلُ ذَلِكَ؟ لِنَبْقَى بَعْدَكَ؟ لَا أَرَأَاكَ اللَّهُ ذَلِكَ أَبَدًا (٣).

أما كان فعلهم مُصَدِّقًا لقولهم لما قالوا: تفديك [نَفْدِيكَ] أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا.. فَفَبَحَّ اللَّهُ الْعَيْشَ بَعْدَكَ (٤).

(١) الكافي ج ٨ ص ٢٦٨.

(٢) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٢٥٤.

(٣) الإرشاد ج ٢ ص ٩١.

(٤) الإرشاد ج ٢ ص ٩٢.

لقد فتح هؤلاء الأصحاب باباً لم يعهده الخلق، حينَ تمّنوا صادقين أن يكون لديهم ما هو أعزّ عليهم من أنفسهم ليدفعوا به القتل عن إمامهم. ولكن.. هيهات هيهات.. جرى القضاء، وما وجد أحدهم شيئاً أعزّ من نفسه وأمواله وأهله يدفع بهم عن ابن بنت رسول الله ﷺ.

لقد قال قائلهم: لو قدرتُ على أن أدفع عنك الضّيم أو القتل بشيءٍ أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلت، السلام عليك يا أبا عبد الله، أشهد أنّي على هُداك وهدى أبيك^(١).

هؤلاء هم نُجومُ السماء، نجومٌ في الهداية، اقتبسوها من هدى عليٍّ والحسين والآل الأطهار، وكانوا خيرَ أنموذجٍ لأوفى أصحاب.

ولا يزال هؤلاء الأنصار قدوةً للمؤمنين على مرّ الأيام، ونجوماً تُنير الدرب مهما أظلم.

٤. من سادة الشهداء

لهذا ولغيره، صار أصحاب الحسين ﷺ من سادة الشهداء يوم الحساب، فعن النبي ﷺ لما تذكّر ما يصنع بالحسين ﷺ وهو في مسجده في المدينة قال: فَيْرْتَجِلُ عَنْهَا إِلَى أَرْضِ مَقْتَلِهِ، وَمَوْضِعِ مَصْرَعِهِ، أَرْضِ كَرْبٍ وَبَلَاءٍ وَقَتْلِ وَفَنَاءٍ، تَنْصُرُهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أُولَئِكَ مِنْ سَادَةِ شُهَدَاءِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٢).

وفي زيارتهم عن الصادق ﷺ: أَشْهَدُ أَنَّكُمْ أَنْصَارُ اللَّهِ، وَسَادَةُ الشُّهَدَاءِ فِي

(١) تسليمة المجالس ج ٢ ص ٢٩٨.

(٢) الأمايلي للصدوق ص ١١٥.

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ^(١).

لقد جمع هؤلاء شهادات العظمة والمجد التي صدرت من المعصومين الأَطهار، من لسان وحي الله، وهذا الإمام الهادي عليه السلام يقول فيهم:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا خَيْرَ أَنْصَارٍ.. أَشْهَدُ لَقَدْ كُشِفَ لَكُمْ الْغِطَاءُ، وَمُهَّدَ لَكُمْ الْوِطَاءُ، وَأُجْزِلَ لَكُمْ الْعَطَاءُ، وَكُنْتُمْ عَنِ الْحَقِّ غَيْرَ بَطَاءٍ^(٢).

هكذا أيضاً يُفهم قول الرسول صلى الله عليه وآله بحقهم (يَتَهَادُونَ إِلَى الْقَتْلِ)، أي يتسابقون عليه، كيف لا وقد كشف لهم الغطاء، فرأوا ما لا يرى الناس.

٥. وعمت مصيبتهم كل مؤمن

لقد عرف الشهداء حجة الله تعالى، وناصروه بلسانهم وسيفهم وأنفسهم ودمائهم، فامتزجت دماؤهم بدمائه، ورفع الله شأنهم، وحفظ ذكركم، وعظم أمرهم، وجعل مصيبتهم مصيبة لكل مؤمن موالٍ محبٍ لآل محمد صلى الله عليه وآله.

وهذه منزلة جليلة عظيمة لا يؤتاها الا الأوحدي من الخلق، فإن المؤمن إذا مات كانت مصيبتة مخصوصة بأهله وأقربائه وأحبائه، لكن الشهداء في يوم عاشوراء قد عمّت مصيبتهم عالم الإيمان، فصارت مصيبة لكل مؤمن يبكي على الحسين عليه السلام الى قيام الساعة!

وهذا نص من الصادق عليه السلام يشير فيه الى هذا المعنى الجليل حين يقول:

(١) الكافي ج ٤ ص ٥٧٤.

(٢) المزار الكبير ص ٤٩٥.

لَهْفِي عَلَيْكُمْ، أَيُّ مُصِيبَةٍ أَصَابَتْ كُلَّ مَوْلَى لِحَمَدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، لَقَدْ عَظُمَتْ
وَحُصَّتْ وَجَلَّتْ وَعَمَّتْ مُصِيبَتُكُمْ، أَنَا بِكُمْ لَجَزَعٌ، وَأَنَا بِكُمْ لُمُوجَعٌ مَحْزُونٌ، وَأَنَا
بِكُمْ لِمَصَابٍ مَلْهُوفٌ!..

لَقَدْ بَكَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَحَقَّتْكُمْ، وَسَكَنَتْ مُعْسَكَرَكُمْ، وَحَلَّتْ مَصَارِعَكُمْ،
وَقَدَّسَتْ وَصَفَّتْ بِأَجْنَحَتِهَا عَلَيْكُمْ، لَيْسَ لَهَا عَنْكُمْ فِرَاقٌ إِلَى يَوْمِ التَّلَاقِ، وَيَوْمِ
الْمَحْشَرِ، وَيَوْمِ الْمَنْشَرِ^(١).

أمام هذه الكلمات ينكسر القلم!

فأبي مكانة ومنزلة بلغها هؤلاء؟! وأي إخلاص كان عندهم حتى وُصِفُوا
بذلك؟! وماذا قدموا حتى نالوا ما لا تُدرِكُ عظمته؟!!

نسأل الله تعالى أن يوفِّقنا لنعرف مكانتهم عنده، ونسلِّط الضوء على بعض
ذلك، وأن يرحمنا لجزعنا عليهم، كما رَحِمَنَا لجزعنا على سيد الشهداء، الحسين
المظلوم عليه السلام.. وإنا لله وإنا إليه راجعون^(٢).

(١) كامل الزيارات ص ٢٤٣.

(٢) الأحد ١٣ محرم ١٤٤٣ هـ الموافق ٢٢ - ٨ - ٢٠٢١ م.

١١. عاشوراء.. يوم كُشِفَ الغطاء!

بسم الله الرحمن الرحيم
يَتَعَجَّبُ النَّاسُ مِنْ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
مِنْ قُوَّةِ الْعِزَائِمِ فِيهِمْ.. مِنْ شِدَّتِهِمْ وَأَسْهَمِ، وَرِبَاطَةِ جَأْشِهِمْ، وَتَفَانِيهِمْ فِي
الدَّفَاعِ عَنْ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ، مَعَ عِلْمِهِمْ بِمَقْتَلِهِمْ.
يَبْحَثُ الْمُؤْمِنُ عَنْ بَعْضِ أَسْرَارِهِمْ.. فَيَرَى أَنَّهُمْ قَوْمٌ كُشِفَ لَهُمُ الْغَطَاءُ!
لَقَدْ رَأَوْا مِنَ الْأُمُورِ مَا لَا نَرَى..

لَقَدْ أَخْلَصُوا لِلَّهِ تَعَالَى، وَصَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، وَعَرَفُوا إِمَامَهُمْ
الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَطَاعُوهُ، فَكُشِفَ اللَّهُ عَنْ بَصَائِرِهِمْ.. فَرَأَوْا مَا لَا يَرَى النَّاسُ!
لَقَدْ وَرَدَ فِي زِيَارَةِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

أَشْهَدُ لَقَدْ كُشِفَ لَكُمْ الْغَطَاءُ، وَمُهِّدَ لَكُمْ الْوِطَاءُ، وَأُجْزِلَ لَكُمْ الْعَطَاءُ،
وَكُنْتُمْ عَنِ الْحَقِّ غَيْرَ بَطَاءٍ، وَأَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ، وَنَحْنُ لَكُمْ خُلَطَاءُ فِي دَارِ الْبَقَاءِ^(١).
المؤمن يُحِبُّ هَؤُلَاءِ الشُّهَدَاءِ، وَيَتَمَنَّى لَوْ كَانَ مَعَهُمْ وَمِنْهُمْ وَبَيْنَهُمْ، وَيَسْأَلُ
اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَحْشِرَهُ مَعَهُمْ وَمَعَ سَيِّدِهِمُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِيَخَالِطَهُمْ فِي يَوْمِ الْجِزَاءِ.
ولكن..

ما معنى كُشِفَ الغطاء لهؤلاء الشُّهَدَاءِ؟ وكيف ظَهَرَ أثرُ ذلك؟

(١) المزار الكبير ص ٤٩٥.

أولاً: كيف يُكشَفُ الغِطاء؟!

لقد تحدّث القرآن عن يوم الوعيد، يوم يُنفَخُ في الصُّور، فتأتي كلُّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيد، ثمَّ يُقالُ: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(١).

قال الشيخ الصدوق رحمه الله: إذا كان يوم القيامة كُشِفَ للعباد من آيات الله وأموره، في ثوابه وعقابه، ما يزول به الشكوك، ويعلم حقيقة قدرة الله عز وجل^(٢).

إنَّ النَّاسَ يَخْتَلِفُونَ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالْإِدْرَاكِ، وَالْيَقِينِ وَالشَّكِّ:

فعوالمهم ينتظرون يوم القيامة حتى يُكشَفَ لهم.. وإن انكشف لهم في هذه الدُّنيا من عظمة الله، وقدرته وجبروته، ومجده وحكمته، ما يوجب عليهم طاعته، ويهديهم لجنّته، إلا أنَّ الكشف الكامل عندهم لا يحصل في هذه الدُّنيا.

أما أكملُ الخلق.. وهم النبيُّ والأئمة الأطهار عليهم السلام، فإنَّهم كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا أزدَدْتُ يَقِيناً^(٣).

لقد رأى الأطهار ما لا يرى الناس في هذه الدُّنيا، كرامةً من الله تعالى لهم، مُدَّ خَلَقَهُمْ، لشدة معرفتهم به تعالى، وانقيادهم له عزَّ وجلَّ.

كذلك يُكشَفُ الغِطاءُ للمؤمن ساعة موته، حين يأتي النبيُّ صلى الله عليه وآله مع الأئمة

(١) ق ٢٢.

(٢) التوحيد ص ١٢٠.

(٣) عيون الحكم ص ٤١٥.

الأطهار إلى الميِّت المؤمن ساعة الوفاة، ويوصي النبيُّ ملكَ الموت به خيراً، ثمَّ يرتفع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الجنان: وَقَدْ كُشِفَ عَنِ الْغِطَاءِ وَالْحِجَابِ لِعَيْنِ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِ الْعَلِيلِ، فَيَرَاهُمْ الْمُؤْمِنُ هُنَاكَ بَعْدَ مَا كَانُوا حَوْلَ فِرَاشِهِ.

فَيَقُولُ: يَا مَلَكَ الْمَوْتِ، الْوَحَا الْوَحَا، تَنَاوَلْ رُوحِي وَلَا تُبَشِّئِي هَاهُنَا، فَلَا صَبْرَ لِي عَنْ مُحَمَّدٍ وَعِزَّتِهِ، وَالْحَقْنِي بِهِمْ^(١).

في تلك الساعة التي يُكشَفُ فيها الغطاء عن المؤمن، وهي ساعة الموت: يَرَى مَنَازِلَهُ فِي الْجَنَّةِ، فَيُخْرِجُ رُوحَهُ مِنْ الْبَيْنِ مَا يَكُونُ^(٢).

هذا حالُ المؤمن..

لكنَّ أصحابَ الحسين عليه السلام، ما كُشِفَ لهم الغطاء ساعة الوفاة كسائر المؤمنين، بل كُشِفَ لهم قبل ذلك!

لقد أكرمهم الله تعالى، ورفَعَ درجاتهم، وقَرَّبَهُمْ مِنْهُ، فَكُشِفَ لَهُمُ الْغِطَاءُ قَبْلَ أَنْ تَحِينُ سَاعَةُ الْمَوْتِ، فَصَارَ مَا رَأَوْهُ مُعِيناً لَهُمْ عَلَى بَذْلِ النُّفُوسِ فِي سَبِيلِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ أَصْحَابِ التَّضْحِيَةِ وَلَوْ لَمْ يُكشَفِ الْغِطَاءُ.

لقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عنهم، وعن إقدامهم على الموت، فهو إقدامٌ عجيبٌ ما رأى الناسُ له نظيراً، فقال عليه السلام: إِنَّهُمْ كُشِفَ لَهُمُ الْغِطَاءُ حَتَّى رَأَوْا مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ^(٣).

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٢١٣.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٦٢٦.

(٣) علل الشرائع ج ١ ص ٢٢٩.

لقد ظهر أثرُ كشفِ الغطاءِ في تضحيةِ حَيَّرَتِ العالمَ، وجعلتِ هؤلاءِ الثلثةَ من سادةِ الشُّهداءِ.

ثانياً: كيف ظهر أثر كشف الغطاء؟!

يرى الناظرُ في أصحابِ سيدِ الشهداءِ عليه السلام تضحيةً عزَّ نظيرُها.

لقد كان من أصحابه عابس بن أبي شبيب الشاكري، وكان معه مولى له، يُدعى شوذب، سأله عابس عما يُريد أن يفعل.. فقال شوذب: مَا أَصْنَعُ! أَقَاتِلُ مَعَكَ دُونَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّم حَتَّى أُقْتَلَ!

عابسُ هذا كان ممن حَمَلَ الكُتْبَ إلى الحسين عليه السلام، وكان صادقاً في نصرته للإمام، فطلب من شوذب أن يتقدم قبله، حتى يحتسبه الإمام مع الشهداء، وحتى يحتسبه هو أيضاً!

فقال له: إِنَّهُ لَوْ كَانَ مَعِيَ السَّاعَةَ أَحَدٌ أَنَا أَوْلَى بِهِ مِنِّي بِكَ، لَسَرَّيْنِي أَنْ يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيَّ حَتَّى أَحْتَسِبَهُ، فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَطْلُبَ الْأَجْرَ بِكُلِّ مَا قَدَرْنَا عَلَيْهِ^(١).

ليس مع عابس أحدٌ يكون أولى به سوى مولاه.. ليس عنده أخ، أو ولد، أو عزيزٌ آخر كي يقدمه أمامه لينال بذلك ثواباً أعظم! فطلب من مولاه أن يتقدم أمامه.. طلباً للثواب!

قال عابس لسيد الشهداء كلمةً خالدة، قبل أن يضحِّي بنفسه وبكلِّ ما

(١) وقعة الطف ص ٢٣٦.

يملك، قال: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! أَمَا وَاللَّهِ مَا أَمْسَى عَلَيَّ وَجْهِ الْأَرْضِ قَرِيبٌ وَلَا بَعِيدٌ
أَعَزَّ عَلَيَّ وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ، وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَيَّ أَنْ أَدْفَعَ عَنْكَ الضَّيْمَ وَالْقَتْلَ بِشَيْءٍ
أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَدَمِي لَعَمِلْتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَشْهَدُ اللَّهُ أَنِّي عَلَيَّ
هَدِيكَ وَهَدَيْتَنِي أَبِيكَ^(١).

الميزانُ عند عابس وأمثاله هو الهداية، والهداية منحصرةٌ بآل محمدٍ عليهم السلام،
الذين يهون لأجلهم بذل النفوس والدماء.

عباسٌ هذا كان نموذجاً، وله نظائر..

منهم رجلٌ قد أُسِرَ وَلَدُهُ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ، فَأَحَلَّهُ الْحُسَيْنُ عليه السلام مِنْ بَيْعَتِهِ
لِيَذْهَبَ لِاسْتِنْقَازِ ابْنِهِ، فَقَالَ: أَكَلْتَنِي السَّبَاعُ حَيًّا إِنْ فَارَقْتِكَ!^(٢).

فورد الثناء عليه في زيارةٍ واردةٍ عن المعصوم عليه السلام:

السَّلَامُ عَلَيَّ بِشِيرِ بْنِ عُمَرَ الْحَضْرَمِيِّ، شَكَرَ اللَّهُ لَكَ قَوْلَكَ لِلْحُسَيْنِ وَقَدْ أَدِنَ
لَكَ فِي الْإِنْصِرَافِ: أَكَلْتَنِي إِذَا السَّبَاعُ حَيًّا إِذَا فَارَقْتِكَ، وَأَسْأَلُ عَنْكَ الرَّكْبَانَ،
وَأَخَذْتُكَ مَعَ قِلَّةِ الْأَعْوَانِ، لَا يَكُونُ هَذَا أَبَدًا!^(٣).

وذاك ثالثٌ يقول له: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَدِدْتُ أَنِّي قُتِلْتُ ثُمَّ نُشِرْتُ، ثُمَّ قُتِلْتُ
ثُمَّ نُشِرْتُ، ثُمَّ قُتِلْتُ ثُمَّ نُشِرْتُ فِيكَ وَفِي الَّذِينَ مَعَكَ مِائَةَ قَتْلَةٍ، وَإِنَّ اللَّهَ دَفَعَ بِي
عَنْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ!^(٤).

(١) وقعة الطف ص ٢٣٦٧.

(٢) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٦٨.

(٣) المزار الكبير ص ٤٩٣.

(٤) الأمايلي للصدوق ص ١٥٦.

لقد كان هذا زهير بن القين، وقد ذكر قوله الإمام السجاد عليه السلام!
 لم يكن زهير ممن كتب إلى الحسين عليه السلام، ولا ممن أرسل إليه الرُّسل، لكنَّه
 اجتمع معه في الطريق، وهو القائل: فلما رأيتَه ذكرت به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
 (وآله) وسلَّم، وعرفت ما تقدَّم عليه من غدركم ونكثكم وميلكم إلى الدنيا،
 فرأيت أن أنصره وأكون في حزبه، حفظاً لما ضيعتم من حق رسول الله ^(١).
 هذا كان حال أصحابه عليهم السلام، لا يتخلون عنه حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، حتى
 لو قتلوا ثم أحرقوا مراتٍ ومراتٍ.. حتى لو قتلوا قتلةً تلو الأخرى، ولو بلغ ذلك
 (كَذَا الْفَقْتَلَةَ)!

لقد كانوا على رأيٍ واحد: أَنْفُسَنَا لَكَ الْفِدَاءُ، نَقِيكَ بِنُحُورِنَا وَجِبَاهِنَا
 وَأَيْدِينَا، فَإِذَا نَحْنُ قُتِلْنَا كُنَّا وَفِينَا وَقَضَيْنَا مَا عَلَيْنَا!
 إنَّهم رموز الفداء وسادته، وأنموذجه الأكمل، يَقُونَ الإمام بمواضع
 السُّجُود.. والسيوف! بالجِبَاهِ.. والنُّحُور!
 وإذا كان هذا حال أصحابه، أَيْتَنظَرُ أن يقول أخوته وأبناؤه وبنو أخيه
 وسائر قرابته شيئاً سوى ذلك؟!

هذا العباس عليه السلام يتحدث، ثم يكرِّرُ الآخرون قوله، لما أحلَّهم الإمام ليلاً
 من بيعته، وسَوَّغَ لهم الإنطلاق بعيداً، فأجابه العباس ومن معه:
 لِمَ نَفْعَلُ [ذَلِكَ]؟ لِنَبْقَى بَعْدَكَ؟! لَا أَرَأَاكَ اللهُ ذَلِكَ أَبَدًا! ^(٢).

(١) جمل من أنساب الأشراف ج ٣ ص ٣٩٢.

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٩١.

لا يريدُ العباسُ وتلك الثلثة أن يروا يوماً يُقتلُ فيه الحسين، فليكن القتلُ مرّةً ثم أخرى ثم أخرى.. مراراً وتكراراً، فداءً للحسين عليه السلام.

هكذا أيضاً كان بنو عقيل، فقالوا له:

تفديك [نَفْدِيكَ] أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا [أَهْلِينَا]، وَنُقَاتِلُ مَعَكَ حَتَّى نَرِدَ مَوْرِدَكَ، فَجَبَّحَ اللهُ الْعَيْشَ بَعْدَكَ! ^(١).

جَبَّحَ اللهُ الْعَيْشَ بَعْدَكَ يَا حَسِينَ.. كلمةٌ تُقَطِّعُ نِيَاطَ الْقُلُوبِ، مِنْ ثَلَاثَةِ مَفْجُوعَةٍ بِمُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ.

لقد فجعوا بمسلم، فيما فجع العباسُ بأخوته، فأراد أن يترخَّصَ للقتال، حينها بكى الإمام الحسينُ بكاءً شديداً، وقال عليه السلام: يَا أَخِي أَنْتَ صَاحِبُ لَوَائِي، وَإِذَا مَضَيْتَ تَفَرَّقَ عَسْكَرِي!

لقد كان العباسُ كتيبةً بنفسه، بل كان جيشاً.

لكنَّ العباسُ قد ضاق صدره في ذلك اليوم.. لقد رأى من تكالب القوم على سيد الشهداء ما آذاه.

لقد رأى أخوته يقتلون أمامه! وقراباته وأصحاب أخيه الحسين عليه السلام قد سبقوه واحداً تلو الآخر.

فقال للحسين عليه السلام: قَدْ ضَاقَ صَدْرِي! وَسَمِئْتُ مِنَ الْحَيَاةِ! وَأُرِيدُ أَنْ أَطْلُبَ ثَأْرِي مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ! ^(٢).

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٩٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٤٢.

سَيِّمَ الْعَبَّاسُ مِنَ الْحَيَاةِ، بَعْدَمَا رَأَى مَا رَأَى يَوْمَ الطَّفُوفِ..
 لَكِنَّهُ مَا رَأَى الْحُسَيْنَ يُقْتَلُ! بَلْ رَأَهُ الْحُسَيْنُ يُقْتَلُ!
 فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عِنْدَمَا قُتِلَ الْعَبَّاسُ: الْآنَ انْكَسَرَ ظَهْرِي! وَقَلَّتْ حِيلَتِي!
 لَقَدْ رَأَى الْعَبَّاسُ أُخُوْتَهُ مَقْتُولِينَ كَالْأَضَاحِي، فَسَمَّ الْحَيَاةَ وَضَاقَ صَدْرُهُ،
 لَكِنَّهُ غَادَرَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يَرَى الْحُسَيْنَ قَتِيلًا! ضَاقَ صَدْرُهُ وَالْحُسَيْنُ لَمْ يُقْتَلْ بَعْدُ.
 فَمَا حَالُ السَّجَّادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟! مَا حَالُ زَيْنِ الْعُبَّادِ يَرَى وَالِدَهُ وَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ كُلُّ
 تِلْكَ الْمَصَائِبِ: فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَعِيَالِهِ وَصَحْبِهِ؟!

ثُمَّ مَا حَالُهُ عِنْدَمَا حَلَّتْ الْمَصِيبَةُ الْعَظْمَى وَقُتِلَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟!
 مَا حَالُهُ وَهُوَ يَرَى عِمَاتِهِ وَنِسَاءَ الْعَتْرَةِ الطَّاهِرَةَ سَبَايَا مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ؟!
 مَا حَالُ النِّسَاءِ الْمَسِيَّاتِ، اللَّوَاتِي رَأَيْنَ مَا يَعَجُزُ الْأَشَاوُسُ عَنْ حَمَلِهِ، وَتَنَوَّءَ
 الْجِبَالُ مِنْ ثِقَلِهِ.

لَقَدْ رَأَيْنَ مَا جَعَلَ الْعَبَّاسَ يَسَامُ الْحَيَاةَ، ثُمَّ رَأَيْنَ الْفَاجِعَةَ الْعَظْمَى!
 فَكَيْفَ تَحَمَّلْتَ وَرِثَةَ الزَّهْرَاءِ ذَلِكَ؟! كَيْفَ احْتَمَلْتَ زَيْنُبُ كُلَّ تِلْكَ
 الْمَصَائِبِ؟!

لَعَلَّ ذَلِكَ مِنْ آثَارِ كَشْفِ الْغَطَاءِ، وَرَحْمَةِ رَبِّ السَّمَاءِ.
 اللَّهُمَّ أَحْسِنْ لَنَا الْعِزَّاءَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ خُلَطَاءِ الشُّهَدَاءِ فِي يَوْمِ الْجِزَاءِ.
 وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(١).

(١) ليلة الثلاثاء، الليلة السادسة من محرم ١٤٤٥ هـ الموافق ٢٤ - ٧ - ٢٠٢٣ م.

الفصل الرابع: عاشوراء.. ومصائب الحسين

١٢. تاسوعاء.. يوم استضعاف الحسين!

بسم الله الرحمن الرحيم

عن الصادق عليه السلام: تأسوعاء يوم حُوصِرَ فِيهِ الْحُسَيْنُ عليه السلام وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِكَرْبَلَاءَ^(١)..

لقد أحاط القوم بالحسين في هذا اليوم، التاسع من المحرم، وضيّقوا عليه فيه، ومنعوه المسير، وحبسوه في بقعته التي استشهد فيها، وهو يقول لهم: إِنَّ أَيْتِمَّ الْا كْرَاهِيَةَ لَنَا وَالْجَهْلَ بِحَقِّنَا، وَكَانَ رَأْيُكُمْ الْآنَ غَيْرَ مَا أَتَّيَّنِي بِهِ كُتُبُكُمْ، وَقَدِمْتُ بِهِ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ، أَنْصَرَفْتُ عَنْكُمْ^(٢).

القوم يطلبون منه مبايعة يزيد، والإمام يأبى ذلك، فهو يريد الإنصراف دون البيعة، وقد قال عليه السلام: وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَلْجَأٌ وَلَا مَأْوَى لَمَا بَايَعْتُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ^(٣).

ثم يقول الصادق عليه السلام عن تاسوعاء: وَاسْتَضَعُّوا فِيهِ الْحُسَيْنَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. بِأَبِي الْمُسْتَضَعْفُ الْغَرِيبُ^(٤).

(١) الكافي ج ٤ ص ١٤٧.

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٧٩.

(٣) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٢٩.

(٤) الكافي ج ٤ ص ١٤٧.

كَيْفَ يُسْتَضَعَفُ الْإِمَامُ؟!

تفتحُ هذه الفقرة بابَ السؤال:

هل يُعقل أن يُسْتَضَعَفَ الْإِمَامُ ﷺ؟! أليس استضعافُه يعني صيرورته
ضعيفاً؟ أليس الضَّعْفُ نقصاً؟! والضعيفُ مذمومٌ؟!
فكيف يكون هذا حال الإمام في تاسوعاء؟!
يُجيبُ المؤمن من جهات:

١. الاستضعافُ ليس ضعفاً

إنَّ هناكَ فرقاً بين الضَّعْفِ والاستضعافِ، فالأول هو ما يُقابلُ القوَّةَ،
ولكنَّ من معاني الثاني أن يرى أحدٌ أحداً ضعيفاً، أو أن يُعدَّهُ ضعيفاً، أي يعتبره
ويتعامل معه على أنَّه ضعيف، كما في كتب اللغة^(١).

فقد يُسْتَضَعَفُ القويُّ، بأن يُنظرَ إليه على أنَّه ضعيف، وهذا لا يقدحُ في
قوَّته، ففي هذا اليوم، التاسع من المحرم، استضعَفَ القومُ الحسينَ ﷺ حينَ
اعتبروه ضعيفاً، ففي الحديث أنَّهُم: أَيَقْتَنُوا أَنْ لَا يَأْتِيَ الْحُسَيْنَ ﷺ نَاصِراً، وَلَا يُمَدَّهُ
أَهْلُ الْعِرَاقِ^(٢).

هذا مبلَّغهم من العلم، وهذا هو ميزانُ القوَّةِ والضَّعْفِ عندهم، فصارَ
الحسينُ ﷺ ضعيفاً وفقَّ ميزانهم، حين انقطع عنده المددُ من الناس.

(١) الصحاح ج ٤ ص ١٣٩٠، المصباح المنير ج ٢ ص ٣٦٢.

(٢) الكافي ج ٤ ص ١٤٧.

٢. القوة قوة النوايا

فما يراه النَّاسُ من ضَعْفِ الأنبياءِ والمرسلين ليس عيباً ولا نقصاً، بل هذا مقتضى الحكمة الإلهية كي يؤمن الناس أتباعاً للحجة والدليل لا خوفاً من الأنبياء والرُّسل والأئمة، لذا قال أمير المؤمنين عليه السلام:

وَلَكِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ جَعَلَ رُسُلَهُ:

١. أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِ نِيَّاتِهِمْ

٢. وَضَعْفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ^(١).

فلم يقدح ما تراه الأعيُنُ من ضَعْفِ ظاهرٍ في الكَمَل، كما كان حال هارون عليه السلام لما: ﴿قال ابنُ أمِّ إنَّ القومَ استضعفوني﴾^(٢).

وهذا واحدٌ من أصحاب الحسين عليه السلام يقول له: لَوَدِدْتُ أَنِّي قُتِلْتُ ثُمَّ نَشِرْتُ ثُمَّ قُتِلْتُ حَتَّى أُقْتَلَ هَكَذَا الفَ مَرَّةً، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْفَعُ بِذَلِكَ القَتْلَ عَن نَفْسِكَ وَعَن أَنْفُسِ هَؤُلَاءِ الفِتْيَانِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ^(٣).

مثل هذه المواقف التي صدرت عن أصحابه عليه السلام تكشف عن عظيم قوَّة عندهم لا يمكن إدراك حدودها، فما بالك بما يملكه سلام الله عليه في نفسه من قوَّة إلهية.

(١) الكافي ج ٤ ص ١٩٨.

(٢) الأعراف ١٥٠.

(٣) الإرشاد ج ٢ ص ٩٢.

٣. الضعيف ضعيف الدين

صحيحُ أنّ الله تعالى يبغضُ المؤمنَ الضَّعيفَ، لكنَّ للضعفِ معانٍ، والله تعالى لا يُبغِضُ إلا مَنْ كان ضعيفَ الدين.

ففي الحديث عن النبي ﷺ:

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيُبْغِضُ الْمُؤْمِنَ الضَّعِيفَ الَّذِي لَا دِينَ لَهُ!

فَقِيلَ لَهُ: وَمَا الْمُؤْمِنُ الَّذِي لَا دِينَ لَهُ؟

قَالَ: الَّذِي لَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ! (١).

لقد صارَ مِيعَارُ الضَّعْفِ هو ضعفُ الدين، وعلامته تَرْكُ النهي عن المنكر، والإمام عَلِيُّ بْنُ أَبِي تَالِبٍ قد خرج للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حينما قال: وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلْبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي ﷺ، أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ (٢).

فالإمام أقوى الأقوياء، وان استضعفه القومُ في تاسوعاء.

ولا يعني هذا أنّه ابتداءً القوم بالقتال نهيًا عن المنكر، فقد قال الإمام الحجة في زيارة سيد الشهداء عَلِيِّ بْنِ أَبِي تَالِبٍ واصفًا حاله:

وَأَنْتَ فِي حَرَمِ جَدِّكَ قَاطِنٌ، وَلِلظَّالِمِينَ مُبَايِنٌ، جَلِيسُ الْبَيْتِ وَالْمِحْرَابِ (٣).

فلم يكن الجلوسُ في البيت والمحراب عيباً في الإمام، بل هو الكمال بعينه حينما تقتضي مصلحة الدين ذلك، فَيُبَايِنُ الإمامُ الظالمَ ثم لا يضرُّه أن يكون

(١) الكافي ج ٥ ص ٥٩.

(٢) تسليمة المجالس ج ٢ ص ١٦٠.

(٣) المزار الكبير ص ٥٠٣.

جلس بيته ومحراه، ولا يُعابُ ذلك عليه.

لكنَّ بعضَ الجَهْلَةِ اليومَ يعيِّبونَ على شيعةِ الحسينِ عليه السلام إن كانوا أحلاسَ بيوتهم، ويجهلون أنَّ هذا كان حال الإمام عليه السلام، قبل أن يُلجؤوه للخروج من مكة ثم يقتلوه شهيداً.

ثم قال الحجة عليه السلام:

تُنْكِرُ الْمُنْكَرَ بِقَلْبِكَ وَلِسَانِكَ، عَلَى قَدْرِ طَاقَتِكَ وَإِمْكَانِكَ:

وهذه مسألة عظيمة يغفل عنها المتحمسون اليوم، فيتوهمون أن إنكار المنكر لا يكون الا بحمل السلاح ابتداءً، وإسقاط الأنظمة وسفك الدماء والقتل والقتال، ولا يتنبهون الى أن إنكار المنكر بالقلب لا يسقط بحال، وأن إنكاره باللسان له حالات وظروف، وما زاد عن ذلك فله أحكامه الخاصة.

وقد أنكر الإمام بقلبه ولسانه، يقول عليه السلام:

ثُمَّ اقْتَضَاكَ الْعِلْمُ لِلْإِنْكَارِ، وَلَزِمَكَ أَنْ تُجَاهِدَ الْفُجَّارَ:

فالإنكار بالقلب واللسان هو ما عمله الإمام، وأما الجهاد فسواء أريد به الجهاد بالكلمة، أو الجهاد بالسيف لما بدؤوه بالقتال دون أن يبدأهم، فإنه يكشف خطأهم في استضعاف الإمام أي عدّه ضعيفاً، فمن كان قوياً الدين لا يكون ضعيفاً أبداً، فكيف بإمام الأقوياء.

يقول الإمام عليه السلام:

فَسِرْتِ فِي أَوْلَادِكَ وَأَهَالِيكَ، وَشِيعَتِكَ وَمَوَالِيكَ، وَصَدَعْتَ بِالْحَقِّ وَالْبَيِّنَةِ، وَدَعَوْتَ إِلَى اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.. وَوَجَّهْتُكَ بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ..

وَأَسْخَطُوا رَبَّكَ وَجَدَّكَ، وَبَدَّءُوكَ بِالْحَرْبِ^(١):

وهذا شاهدٌ على عَظَمَةِ الإِمَامِ، فما بدأ القوم بالحرب، ولا استنزل المددَ الغيبيَّ حينها: أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى النَّصْرَ حَتَّى رَفَرَفَ عَلَى رَأْسِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ خَيْرَ بَيْنَ النَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَبَيْنَ لِقَاءِ اللهِ فَاخْتَارَ لِقَاءَ اللهِ^(٢).

٤. الحسين كأنه عليُّ المختار

مع استضعاف القوم للإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ يصفه الحجة عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله:

فَثَبَّتْ لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ:

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالثبات فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣).

وأما شجاعته فتلك شجاعة حيدرٍ وبأسه:

فَثَبَّتْ لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ، وَطَحْنَتْ جُنُودَ الْفُجَّارِ، وَاقْتَحَمَتْ قَسَطَلَ الْغُبَارِ،
مُجَالِدًا بِبِذِي الْفَقَارِ، كَأَنَّكَ عَلِيُّ الْمُخْتَارِ!^(٤).

٥. الحسين الوارث

نعم لقد استضعفوا الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو قويٌّ في ذات الله، دينه أكمل دين،

(١) المزار الكبير ص ٥٠٣.

(٢) اللهوف ص ١٠٢.

(٣) الأنفال ٤٥.

(٤) المزار الكبير ص ٥٠٣.

وقوّته كأبيه عليّ المختار لا نظير لها، والمدد الغيبي لا قبّل لأحد به، ولكنه لم يختره.. وقد استضعفه رغم ذلك، فجعله الله من (الوارثين) حين قال: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١).

ففي تفسير القمي أنّ الله تعالى أخبر رسوله ﷺ بأن الحسين عليه السلام: يُقْتَلُ، ثُمَّ يَرُدُّهُ إِلَى الدُّنْيَا، وَيَنْصُرُهُ حَتَّى يَقْتُلَ أَعْدَاءَهُ، وَيَمْلِكُهُ الْأَرْضَ^(٢).

في يوم تاسوعاء، استضعف الحسين عليه السلام، وفي الرجعة ينتقم من أعدائه ويملك الأرض.

ما كان الحسين ضعيفاً كما لم يكن النبي ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام. فسلام الله عليه يوم استضعف ويوم استشهد ويوم يردُّ حياً. وإنا لله وإنا إليه راجعون^(٣).

(١) القصص ٥.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ٢٩٧.

(٣) الثلاثاء ٨ محرم ١٤٤٣ هـ الموافق ١٧ - ٨ - ٢٠٢١ م.

١٣. يَوْمٌ عَلَى صَدْرِ الْمَصْطَفَى.. وَيَوْمٌ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال رسول الله ﷺ: الْوَلَدُ الصَّالِحُ رِيحَانَةٌ مِنْ اللَّهِ قَسَمَهَا بَيْنَ عِبَادِهِ، وَإِنَّ رِيحَانَتِي مِنَ الدُّنْيَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ^(١).

والريحان يكون بمعنى الرزق، حتى روي عنه ﷺ أنه قال لهما: إِنَّكُمْ مِنْ رِيحَانِ اللَّهِ^(٢).

يَعْتَقِدُ الْمُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ﴿فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾^(٣)، فَآتَى خَيْرَ رِزْقٍ لِحَيْرِ خَلْقٍ، وَكَانَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رِزْقًا سَاقَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ، وَفَضَّلَهُ بِذَلِكَ عَنْ كُلِّ مَنْ دُونَهُ.

حَفِظَ الرَّسُولُ الرَّيْحَانَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْصَى بِهِمَا أَبَاهُمَا، فَقَالَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِأَيَّامٍ: سَلَامٌ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الرَّيْحَانَتَيْنِ! أَوْصِيكَ بِرِيحَانَتِي مِنَ الدُّنْيَا! فَعَنْ قَلِيلٍ يَنْهَدُ رُكْنَاكَ!^(٤)

مَا لَبِثَ الرُّكْنُ الْأَوَّلُ أَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا خِلَالَ أَيَّامٍ، ثُمَّ انْهَدَّ الثَّانِي حِينَمَا التَّحَقَّتْ الْبُضْعَةُ الزَّهْرَاءُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَبِيهَا ﷺ.

ظَلَّ الرَّيْحَانَتَانِ فِي رِعَايَةِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا كَانَا فِي رِعَايَةِ جَدِّهِمَا الرَّسُولِ ﷺ.

(١) الكافي ج ٦ ص ٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب عليه السلام ج ٣ ص ٣٨٣.

(٣) النحل ٧١.

(٤) الأمالي للصدوق ص ١٣٥.

ولكن، جرى بعد ذلك ما جرى..

وكان بين النبي الذي أوصى بهما، والحسين عليه السلام مواقفٌ عجيبة، تستحقُّ التأمل.. ثمَّ التعجب!

وكان لصدر النبي صلى الله عليه وآله مع الحسين وقائعٌ عجيبة!
ولصدر الحسين عليه السلام ما هو أعجبُ من ذلك!

١. يومُ صدر المصطفى! ويومُ وجه الثرى!

لقد اعتاد النبي صلى الله عليه وآله أن يضمَّ الحسين عليه السلام الى صدره، فكان صلى الله عليه وآله: إِذَا رَأَى الْحُسَيْنَ مُقْبِلًا قَبْلَهُ وَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ^(١).

وقد طلبَ النبي صلى الله عليه وآله من أمِّ سلمة يوماً أن لا يدخلَ عليه أحد، وكأنه كان يمهِّدُ خلوةً بالحسين عليه السلام، والحسينُ طفلٌ يومها، وطفلهم عليه السلام لا يُقاسُ بسواه.. لما دخلت أمُّ سلمة على النبي: فَإِذَا الْحُسَيْنُ عَلَى صَدْرِهِ، وَإِذَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله يبكي!

لطالما أدخلَ الحسينُ عليه السلام السرور على النبي صلى الله عليه وآله وهو على صدره، ولكنَّ لهذه الجلسة خصوصيتها، كان النبي صلى الله عليه وآله فيها يبكي: وَإِذَا فِي يَدِهِ شَيْءٌ يُقْبَلُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: يَا أُمَّ سَلَمَةَ، إِنَّ هَذَا جَبْرَيْلُ يُخْبِرُنِي أَنَّ هَذَا مَقْتُولٌ، وَهَذِهِ التُّرْبَةُ الَّتِي يُقْتَلُ عَلَيْهَا، فَضَعِيهِ عِنْدَكَ، فَإِذَا صَارَتْ دَمًا فَقَدْ قُتِلَ حَبِيبِي^(٢).

(١) مثير الأحزان ص ٢١.

(٢) الأماي للصدوق ص ١٤٠.

مَشْهَدٌ لَا يُعْقَلُ أَنْ يُفَارِقَ أُمَّ سَلْمَةَ، وَقَدْ رَأَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَبْكِي وَيُعْطِيهَا
تَرْبَةً يُقْتَلُ عَلَيْهَا الْحُسَيْنُ ﷺ!

كَمْ تَكَرَّرَتْ أَمْثَالُ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَنْ حَوْلَهُ؟ هَذَا مَا يَعْلَمُهُ
اللَّهُ تَعَالَى.

لَكِنَّ أُمَّ سَلْمَةَ شَاهَدَتْ مِنْ ذَلِكَ مَوْقِفًا آخَرَ، حِينَمَا كَانَ الْحُسَيْنُ ﷺ عَلَى
صَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَبْكِي حِينَهَا.. كَانَتْ لَا تَزَالُ تَذْكُرُ الْمَوْقِفَ الْأَوَّلَ
وَأَمْثَالَهُ، وَكَانَتْ تَتَعَجَّبُ، فَقَدْ نَظَرَتْ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ مِنْ شَقِّ الْبَابِ وَقَالَتْ:

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!

يَوْمَ صَدَرَ الْمُصْطَفَى! وَيَوْمَ وَجِهَ الثَّرَى! إِنَّ هَذَا لَعَجَبٌ!^(١)

وَهُنَا يَنْكَسِرُ الْقَلَمُ! وَيَتْرُكُ لِلخِيَالِ حَظَّهُ.. وَلِلْعَبْرَةِ نَصِيبَهَا!

٢. زَيْنَب.. وَالْحُسَيْنِ عَلَى الثَّرَى!

تَعَجَّبَتْ أُمَّ سَلْمَةَ مِمَّا سَمِعَتْ، وَمَا كَانَتْ فِي عَاشُورَاءَ.. فَمَا حَالُ زَيْنَبِ
ﷺ؟! وَقَدْ رَأَتْ مَا رَأَتْ.

يُنْقَلُ الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ فَضْلُ عَلِيِّ الْقَزْوِينِيِّ أَنَّ السَّيِّدَةَ زَيْنَبَ لَمَّا وَقَفَتْ عَلَى
مَصْرَعِ الْحُسَيْنِ ﷺ بِالطَّفِّ أَوَّلَ مَا قَالَتْ:

يَوْمَ عَلَى صَدْرِ الْمُصْطَفَى، وَيَوْمَ عَلَى وَجِهِ الثَّرَى!^(٢)

(١) مدينة معاجز الأئمة ج ٤ ص ١٩٢.

(٢) الإمام الحسين ﷺ وأصحابه ج ٣ ص ١١٨.

أليست هي التي نادى لما سقط الإمام عن فرسه:

وَإِخَاهُ، وَوَالِدَهُ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ!

لَيْتَ السَّمَاءَ أَطْبَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَيْتَ الْجِبَالَ تَدَكَّدَتْ عَلَى السَّهْلِ^(١).

سلام الله على قلب زينب الكسير.. وما أعجب حالها، وكلامها.. فإننا لله

وإننا اليه راجعون.

٣. القاسم.. وصدور الحسين

القاسم بقیة الحسن عليه السلام، يخاطبه الحسين عليه السلام بخطاب يُقَطِّعُ القلوب

فيقول: عَزَّ وَاللَّهِ عَلَى عَمِّكَ أَنْ تَدْعُوهُ فَلَا يُجِيبُكَ! أَوْ يُجِيبُكَ فَلَا يَنْفَعُكَ!..

ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَى صَدْرِهِ.. فَجَاءَ بِهِ حَتَّى أَلْقَاهُ مَعَ ابْنِهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَالْقَتْلِ مِنْ

أَهْلِ بَيْتِهِ^(٢).

ماذا احتَمَلَ هذا الصَّدرُ الشريف ذاك اليوم؟! يومَ وَضَعَ الحسينُ عليه السلام

صدره على صدر القاسم.. صدرٌ كان يضمُّه النبيُّ صلى الله عليه وآله إليه، وصار يُضَمُّهُ هو

القاسم قتيلاً قد ضُربَ على رأسه بالسيف! فإننا لله وإننا اليه راجعون.

٤. السهم.. وشمر.. وصدور الحسين!

لعاشوراء مع صدر الحسين فجائع.. فتارةً:

(١) اللهوف ص ١٢٥.

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ١٠٨.

أَتَاهُ سَهْمٌ مَحْدَدٌ مَسْمُومٌ، لَهُ ثَلَاثُ شُعَبٍ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صَدْرِهِ^(١).
وَتَارَةً أَتَاهُ سِنَانٌ بِنِ اُنْسِ:

ثُمَّ انْتَزَعَ الرُّمْحَ فَطَعَنَهُ فِي بَوَائِي صَدْرِهِ^(٢)، وَهِيَ أَضْلَاعُ صَدْرِهِ.
وِثَالِثَةٌ قَالَ لَهُ شِمْرٌ:

يَا ابْنَ أَبِي تَرَابٍ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ أَبَاكَ عَلَى حَوْضِ النَّبِيِّ يَسْقِي مَنْ أَحَبَّهُ؟
فَاصْبِرْ حَتَّى تَأْخُذَ الْمَاءَ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَى صَدْرِهِ^(٣)..

وَجَرَى مَا مَضَى بِهِ الْقَضَاءُ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

يَوْمَانِ لَمْ أَرِ فِي الْأَيَّامِ مِثْلَهُمَا * قَدْ سَرَّيْنَا ذَا وَهَذَا زَادَنِي أَرْقَا

يَوْمِ الْحُسَيْنِ رَقِيَ صَدْرُ النَّبِيِّ بِهِ * يَوْمَ شَمَرَ عَلَى صَدْرِ الْحُسَيْنِ رَقَا

٥. الخيل.. وصدور الحسين!

وَمِنْ عَجَائِبِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنْ: نَادَى عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ فِي أَصْحَابِهِ مَنْ يَنْتَدِبُ
لِلْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيُؤَاطِي الْخَيْلَ ظَهْرَهُ وَصَدْرَهُ!

فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ.. فَدَاسُوا الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِحَوَافِرِ خَيْلِهِمْ، حَتَّى رَضُوا
صَدْرَهُ وَظَهْرَهُ!^(٤).

(١) تسلية المجالس ج ٢ ص ٣٢٠.

(٢) اللهوف ص ١٢٥.

(٣) تسلية المجالس ج ٢ ص ٣٢٣.

(٤) اللهوف ١٣٥.

صدرُ تربي فوق صدر المصطفى * ترضُّهُ الخيل على الدنيا العفا
 على الدنيا العفا بعدك يا أبا عبد الله.. خيرُ الخلق يضمُّكَ الى صدره، ويجلسُ
 شمرٌ على صدرك! وترضُّهُ حوافرُ الخيول في كربلاء!
 عزأؤنا أنّ الله تعالى سيشفي صدرك يا مولاي، وهذا دعاؤنا كما دعا
 المعصوم، تلهجُ به ألسنتنا، وتتمناه قلوبنا، وتشوقُ له أفئدتنا:
 اللهم رَبَّ الحُسَيْنِ، اشْفِ صَدْرَ الحُسَيْنِ.
 اللهم رَبَّ الحُسَيْنِ، اطلُبْ بدمِ الحُسَيْنِ.
 اللهم رَبَّ الحُسَيْنِ، انْتَقِمْ مِمَّنْ رَضِيَ بِقَتْلِ الحُسَيْنِ^(١).
 وإنا لله وإنا اليه راجعون^(٢).

(١) كامل الزيارات ص ٢٣٨.

(٢) السبت ٥ محرم ١٤٤٣ هـ الموافق ١٤ - ٨ - ٢٠٢١ م.

١٤. يوم يقطر رأس الحسين دماً!

بسم الله الرحمن الرحيم

تَحَيَّرَتِ الْعُقُولُ فِي دِمَاءِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

وكان من أعجب ما جرى تقاطرها مرتان: الأولى يوم عاشوراء، والثانية يوم القيامة، وبين هذا وذاك، تقاطرت دماءُ شيعته من رؤوسهم جيلاً بعد جيل!

١. شيبته الحسين تقطر دماً!

السَّلَامُ عَلَى الشَّيْبِ الخَضِيبِ!

هذه فقرة من سلام الإمام الحجّة المهديّ أرواحنا له الفداء، على جدّه الحسين الشهيد، فأَيُّ شَيْبٍ يُسَلَّمُ عَلَيْهِ الإمام الحجّة؟!!

وبماذا اخْتَضَبَ الإمام الشهيد قبل كربلاء وفيها؟!!

إنّ للإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ خَضَابان:

الخَضَابُ الأوَّل: بِالْوَسْمَةِ

وهو نَبْتُ يُصَبَّغُ بِهِ، فقد ورد في الحديث: قُتِلَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ مُخْتَضِبٌ

بِالْوَسْمَةِ^(١).

ولما سال رجل الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل وصوله الى كربلاء:

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، هَذَا الَّذِي أَرَى خَضَابٌ أَوْ شَعْرُكَ؟

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٨٣.

فَقَالَ: خِضَابٌ، وَالشَّيْبُ الْيَنَابُيُ هَاشِمٍ يُعَجَّلُ! (١).
 لَقَدْ تَعَجَّلَ الشَّيْبُ إِلَى سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ، وَلَمَّا كَانَ الْخِضَابُ مُسْتَحَبًّا، صَبَغَ
 الْإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِحَيْتِهِ، فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: إِنَّ فِي الْخِضَابِ أَجْرًا (٢).
 وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَما نَظَرَ إِلَى شَيْبَةِ رَجُلٍ: نُورٌ.. مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي
 الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
 فَخَضَبَ الرَّجُلُ بِالسَّوَادِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: نُورٌ وَإِسْلَامٌ وَإِيمَانٌ، وَمَحَبَّةٌ إِلَى
 نِسَائِكُمْ، وَرَهْبَةٌ فِي قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ (٣).
 وَالْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُتَّجِهٌ إِلَى حَيْثُ أَعْدَى أَعْدَاءَ اللَّهِ، إِلَى قَتْلَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَبْنَاءِ
 الْأَنْبِيَاءِ، فَاخْتَضَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ كَانَ الْخِضَابُ أَدْعَى لِلرَّهْبَةِ، حِينَما كَانَ سَالِمًا مُعَافًى
 بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي حَتَّى اخْتَفَى الشَّيْبُ.

الخضاب الثاني: بالدماء!

وَكَانَ لِلْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءِ خِضَابٌ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ غَيْرِ مَعْهُودٍ، لَمْ
 يُكُنْ (بِالْوَسْمَةِ) وَلَا (بِالْحَنَاءِ)، وَلَا بِشَيْءٍ آخَرَ مِمَّا اعْتَادَ النَّاسُ الْخِضَابَ بِهِ، لَقَدْ
 كَانَ خِضَابًا بِالْدَّمَاءِ، فَإِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَرَدَ فِي زِيَارَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ شَيْبَتُهُ بِدَمِهِ خَضِيبٌ (٤).

(١) ثواب الأعمال ص ٢٥٩.

(٢) الكافي ج ٦ ص ٤٨٠.

(٣) الكافي ج ٦ ص ٤٨٠.

(٤) زاد المعاد ص ٥١١.

تَغَيَّرَتْ تلك الشبيبة المباركة لسيد الشهداء في عاشوراء، بخضاب دموي هذه المرة! لكنّ الدّم كان غزيراً.. كان مشهداً مؤلماً لا يحتمل المؤمن رؤيته، ويتقطّع قلبه لسماعه.

كانت الدماء تتقاطر من شيبته المباركة! فإنّا لله وإنا اليه راجعون.

تتقطّع قلوب المؤمنين لسماع ذلك وما رأوه، فما حال من عاش أحداث الطف وراها! تقول الحوراء زينب عليها السلام: **بِأبي من شيبته تقطر بالدماء**^(١).
وتفديه بنفسها قائلة: **أنا الفداء لمن شيبته تقطر بالدماء**^(٢).

سلام الله على صاحبة القلب الوجيع، التي رأت شبيبة أخيها مخضبة بدمه الشريف، وهو يتقاطر منها.. فإنّا لله وإنا اليه راجعون.

كم كان الدّم غزيراً متقاطراً منهمراً حتى ورد في زيارته عليه السلام: **السّلام عليك يا من جسّمه غريق بالدماء.. السّلام عليك يا من دمه غسله**^(٣).

الله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله.

ماذا جرى حتى غرق جسم الحسين بالدماء!؟

كم سال من دم حتى صار دمه غسله!؟

كان النهر بجانب الإمام، لكنّه عليه السلام كان يغتسل بدمائه ويغرق بها!

ثمّ كيف تحمّلت الأرض ومن عليها تقاطر دمه الشريف، ولم تحتمل الدّم

(١) اللهوف ص ١٣٤.

(٢) مناقب ال أبي طالب ج ٤ ص ١١٣.

(٣) زاد المعاد ص ٥١١.

الذي رمى به نحو السماء فما سقطت منه قطرة؟!
 لقد ظلَّ الحسين عليه السلام رحمةً، فلم يُنزلِ اللهُ العذابَ على الأمة المنكوسة رغمَ
 عَظَمِ الفاجعة، وسيمهلهم اللهُ إلى يومٍ يتقاطر الدَّمُ الحسينيَّ فيه ثانية!

٢. رأس الحسين يقطر دماً!

يقول الصادق عليه السلام عن دم الحسين عليه السلام: ذَاكَ دَمٌ يَطْلُبُ اللهُ (تعالى) بِهِ ^(١).
 إِنَّ لِكُلِّ مَيِّتٍ وَلِيًّا يَطْلُبُ بَدْمِهِ، وَكُلَّمَا عَظَمَ شَأْنُ أَوْلِيَاءِ الْمَيِّتِ عَظُمَ الطَّلَبُ
 بَدْمِهِ.

لكنَّ مَنْ يَطْلُبُ بدم الحسين هو أعظمُ العظماء، إلهُ السماوات والأرض،
 الجبار القدير المنتقم، ويطلبُ جدُّه النبيَّ صلى الله عليه وآله وأمه الزهراء عليها السلام بدمه، فإنَّ
 مصيبتَه على آل الله تعالى أعظمُ من كلِّ مصيبة، ف: مَا أُصِيبَ وَوُلِدَ فَاطِمَةَ وَلَا
 يُصَابُونَ بِمِثْلِ الْحُسَيْنِ عليه السلام ^(٢).

لقد تلطَّخ الإمام بالدماء التي سالت، حتى يلقي اللهُ تعالى على هذا الحال،
 فتأخذ الزهراء عليها السلام قميصه يوم القيامة بيدها مضمخاً بدمه.

وَقُطِعَ رَأْسُ الْحُسَيْنِ، فَتَرَاهُ الزَّهْرَاءُ قَطِيعَ الرَّأْسِ عَلَى بَابِ دَارِهَا!
 وَكَأَنَّ مَا يَجْرِي هُنَاكَ مِنْ آثَارٍ وَتَبَعَاتٍ مَا جَرَى فِي عَاشُورَاءَ، حِينَ تَتَكَرَّرُ
 هَاتَانِ الصُّورَتَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام.

(١) الأماي للطوسي ص ١٦٢.

(٢) الأماي للطوسي ص ١٦٢.

لكنَّ صورةً ثالثةً تتكرَّرُ مع النبي ﷺ يوم القيامة.. ففي الدنيا كانت شبيبةً الحسين ﷺ تقطرُ دماً، وكان الإمام غريقاً بدمائه، مُغسلاً بها.

وفي يوم الجزاء، يكون لتقاطرِ الدماء لَوْنٌ آخر، فعن الصادق ﷺ في الخبر الصحيح: إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ الْحُسَيْنُ ﷺ وَيَدُهُ عَلَى رَأْسِهِ يَقْطُرُ دَمًا!

اللهُ أكبر.. دمٌ يتقاطرُ من شيبته في الدنيا، وآخرُ يتقاطرُ من رأسه في الآخرة! وهو مع رسول الله ﷺ.

يَوْمٌ فِي الدُّنْيَا، أَمِهَلَ بَعْدَهُ النَّاسَ، وَآخَرَ فِي الآخِرَةِ لَا مُهْلَةَ بَعْدَهُ أَبَدًا.

فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ أُمَّتِي فِيمَ قَتَلُوا وَلَدِي! (١).

فلنسأل هذا السؤال اليوم قبل القيامة: هل جهل القوم حسيناً فقتلوه؟!

أبدًا.. أما قال لهم: أَنَشِدْكُمْ اللهُ، هَلْ نَعْرِفُونِي؟

قالوا: نَعَمْ أَنْتَ ابْنُ رَسُولِ اللهِ وَسِبْطُهُ.

قال: أَنَشِدْكُمْ اللهُ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَدِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ؟

قالوا: اللهُمَّ نَعَمْ!

أما قالوا له بعد أن عرفهم عن نفسه وأمه وأبيه وبعض مناقبه: قَدْ عَلِمْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ، وَنَحْنُ غَيْرُ تَارِكِيكَ حَتَّى تَدُوقَ الْمَوْتَ عَطْشًا! (٢).

ليست مشكلة القوم مع الحسين ﷺ إذاً مشكلة جهلٍ، بل مشكلة كُفْرٍ

(١) الأماي للطوسي ص ١٦٢.

(٢) الأماي للصدوق ص ١٥٩.

وعصبية ونفاقٍ وبُغضٍ لمحمدٍ وآله عليهم السلام!

والقومُ في أيّامنا أبناء القوم، ليست مشكلةُ أعداء الشيعة معهم هي جهلهم بطهارة الشيعة وطيب معدنهم، ولا باعداء الشيعة عليهم، فإنّ الشيعة كفوا يداً عمّن سواهم، وأحسنوا إلى من أساء إليهم، واقتدوا بسيد الشهداء عليه السلام، وما بدؤوا أحداً بقتال، ولا اعتدوا ولا ظلموا.

رغم ذلك يُقال لهم: لسنا تارككم! فالقومُ أبناء القوم!

ولئن كان الله تعالى قد أمهل هؤلاء وهؤلاء، يوم ظلم الحسين عليه السلام وتقاطر الدّم على شيبته المباركة في عاشوراء، ويوم ظلم شيعته، فإنّ المهلة تنتهي يوم الجزاء.. ولن يظلّ سؤال النبي صلى الله عليه وآله بلا جواب.. وسينتقم الله تعالى من قاتلي سيد الشهداء والراضين بفعالهم.

٣. رؤوس الشيعة.. تقطر دماً!

بين هذين الموقفين المذكورين:

١. تقاطر الدّم من الشّيبة المباركة في عاشوراء.
٢. وتقاطر الدّم من الرأس الشريف في يوم الجزاء.

يومٌ ثالث:

٣. حين تتقاطر الدّماء من رؤوس كثيرٍ من الشيعة، على مرّ الأيام والسنين، مواساةً لسيد الشهداء عليه السلام، وتألماً لما أصابه، وتَفَجُّعاً لما جرى عليه، وإحياءً لأمره.

وَكأنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ شَاءَ أَنْ تَظَلَّ صُورَةُ الدَّمِ الْمُتَقَاطِرِ مِنَ الرَّأْسِ الْمُبَارِكِ حَيَّةً
أَمَامَ أَعْيُنِ الشَّيْعَةِ.

وَكأنَّ إِسَالَةَ الشَّيْعَةِ لِلدَّمَاءِ مِنْ رُؤُوسِهِمْ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءِ أَنْمُودَجٍّ وَتَصْوِيرُ
لَمَّا سَيرَاهُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. لَمَّا يَقْطُرُ الدَّمُ مِنْ رَأْسِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ!

فَالصُّورَةُ هِيَ الصُّورَةُ، حِينَ يُقْبَلُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَيَدُّهُ عَلَى رَأْسِهِ يَقْطُرُ دَمًا!
وَهذِهِ أَيْدِي الْمَوَالِينِ الْمُحِبِّينَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، وَهِيَ تَقْطُرُ دَمًا كَدَمِ الْحُسَيْنِ!
وَكأنَّ دَمَاءَ الشَّيْعَةِ نَمُودَجٌّ حَيٌّ بَيْنَ مَرَحَلَتَيْنِ: مَرَحَلَةُ الظُّلَامَةِ فِي عَاشُورَاءِ،
وَمَرَحَلَةُ النِّقْمَةِ فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ: نَمُودَجٌّ يُذَكَّرُ بِالْأُولَى، وَيَجْذُرُ مِنَ الْآخِرَةِ.

وَلئنَ قِيلَ يَوْمًا: إِنَّ الْعَقْلَ يَنْهَى عَنِ مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاسَاةِ، فَفِيهَا هَدْرٌ لِلدَّمَاءِ،
وَتَوْهِينٌ لِلْمَذْهَبِ.

أَجَابَ الْمُؤْمِنُ: هَذَا وَهْمٌ وَخِيَالٌ..

وَكَمَا لَمْ يَكُنْ هَدْرًا تَقَاطُرُ دَمِ الْحُسَيْنِ ذَاكَ الْيَوْمِ، وَلَا تَوْهِينًا لِشَرِيعَةِ اللهِ، فَكَذَا
دَمَاءُ شَيْعَتِهِ، حَتَّى يَلْقُونَ رَبَّهُمْ مَوَاسِينِ إِمَامَتِهِمْ بِدَمَائِهِمْ.

لَطَالَمَا أَزْدَادَ ارْتِبَاطُ الشَّيْعَةِ بِإِمَامَتِهِمْ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، بِتَقَاطُرِ دِمَائِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ
عَلَى الرُّؤُوسِ، وَبِإِحْيَائِهِمْ لَذِكْرِهِ بِكُلِّ صُورَةٍ رَاجِحَةٍ، وَهُمْ يَتَمَثَّلُونَ قَوْلَ زَيْنَبِ
عَلَيْهَا السَّلَامُ: أَنَا الْفِدَاءُ لِمَنْ شَيْبَتُهُ تَقْطُرُ بِالْدَّمَا!

فإنَّا لله وإنا إليه راجعون^(١).

(١) الإثنين ٧ محرم ١٤٤٣ هـ الموافق ١٦ - ٨ - ٢٠٢١ م.

١٥. عاشوراء.. يوم الذبيح!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آه من يوم الحسين!

أَيُّ عِبْرَةٍ تُسَكَّنُ نَفُوسَ الْمُؤْمِنِينَ؟! وَأَيُّ زَفْرَةٍ تَشْفِي غَلِيلَهُمْ؟! وَقَدْ اقْتَرَبَ
أَعْظَمُ الْأَيَّامِ مَصِيبَةً! يَوْمَ الْحُسَيْنِ الشَّهِيدِ.. الذَّبِيحِ! فَلَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.
يَتَأَمَّلُ الْمُؤْمِنُ فِي كَلِمَاتِ الْمَعْصُومِينَ فَيَقْشَعُرُ بَدَنُهُ، وَتَضْطَرِبُ أَرْكَانُهُ، وَلَا
يُبْقِي رُوحَهُ فِي بَدَنِهِ سِوَى إِرَادَةِ الرَّبِّ تَعَالَى.

فَإِنَّ فِي كَلِمَاتِهِمْ حَوْلَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَوْمِهِ جُروحاً لَا تَنْدَمَلُ، فَيَوْمَ الْحُسَيْنِ:
أَعْظَمُ الْأَيَّامِ مَصِيبَةً!

عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ يَوْمَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْظَمُ مُصِيبَةٍ مِنْ جَمِيعِ سَائِرِ
الْأَيَّامِ ^(١).

وهُوَ يَوْمٌ لَيْسَ مِثْلَهُ يَوْمٌ آخَرَ! فَعَنِ الْحَسَنِ الْمَجْتَبَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَوْمَ كَيَوْمِكَ يَا
أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ^(٢).

فَكُلُّ مَا جَرَى وَمَا يَجْرِي عَلَى طَوْلِ حَيَاةِ الْبَشَرِ لَيْسَ كَيَوْمِ الْحُسَيْنِ! فَأَيُّ يَوْمٍ
هُوَ هَذَا؟!!

إِنَّ مَا جَرَى عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُنْغِصُ الْعَيْشَ!

(١) علل الشرائع ج ١ ص ٢٢٦.

(٢) الأمايلي للصدوق ص ١١٦.

فَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا دَاوُدُ لَعَنَ اللَّهُ قَاتِلَ الْحُسَيْنِ، فَمَا أَنْغَصَ ذِكْرَ الْحُسَيْنِ
لِلْعَيْشِ^(١).

لا حول ولا قوّة الا بالله.. كَمْ تَحُزُّ فِي النَفْسِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْعَجِيبَةُ!

لَقَدْ عَجِنَتْ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى حُبِّ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَصَارَ ذِكْرُهُ وَذِكْرُ مَا
جَرَى عَلَيْهِ مُنْغَصًّا لِلْعَيْشِ، وَلَيْسَ تَنْغِيصَ الْعَيْشِ سِوَى الْأَذِيَّةِ عَلَيْهِ، وَالْإِصَابَةِ
بِالْمَكْرُوهِ لِمَا حَلَّ بِهِ، يَقُولُونَ: نَغِصَ الرَّجُلُ نَغِصًا إِذَا لَمْ تَتَمَّ لَهُ هِنَاءَتُهُ^(٢).

فَكَيْفَ يَتَهَنَأُ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ ذَلِكَ بِحَيَاةٍ قُتِلَ فِيهَا سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ!؟

لَقَدْ سَمِعَ الْإِمَامَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْتِهَالِ الْمَلَائِكَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَلَى قَتْلِ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَسَمِعَ نُوحَ الْجَنِّ وَبَكَاءَ الْمَلَائِكَةِ وَجَزَعَهُمْ عَلَى الْحُسَيْنِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ: (كَيْبًا حَزِينًا مُنْكَسِرًا)، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَمَنْ يَتَهَنَأُ مَعَ هَذَا بِطَعَامٍ أَوْ
بِشَرَابٍ أَوْ نَوْمٍ^(٣).

هَكَذَا يَقْبَحُ الْعَيْشُ بَعْدَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أَمَا قَالَهَا آلُ عَقِيلٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نُقَاتِلُ مَعَكَ حَتَّى نَرِدَ مَوْرِدَكَ، فَقَبَّحَ اللَّهُ الْعَيْشَ
بَعْدَكَ^(٤).

أَمَا قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: لَا نَخْذُلُكَ وَلَا نَخْتَارُ الْعَيْشَ بَعْدَكَ^(٥).

(١) الأُمَالِي لِلصَّدُوقِ ص ١٤٢.

(٢) الْعَيْنُ ج ٤ ص ٣٧٣.

(٣) كَامِلُ الزِّيَارَاتِ ص ٩٢.

(٤) الْإِرْشَادُ ج ٢ ص ٩٢.

(٥) الْخُرَائِجُ وَالْجُرَائِحُ ج ١ ص ٢٥٤.

فماذا جرى في عاشوراء حتى تفرَّدَ عن كلِّ يومٍ سواه؟!
 ماذا حلَّ بالحسين عليه السلام حتى غيَّرت فاجعته وجهَ الكون؟!
 يُخبرُ النبي صلى الله عليه وآله بضعته الزهراء عليها السلام بما يهدُّ رُكنها، يُخبرُها عن الأذى
 والظلم والبغي الذي يقع على حبيبها الحسين عليه السلام! يُخبرُها عن الكربِ والبلاء
 الذي يقع عليه وعلى من معه! ثم يقول لها عن الحسين عليه السلام:
 يَا بِنْتَاهُ.. وَمَا قُتِلَ قِتْلَتَهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ! (١).
 فلا حول ولا قوة الا بالله.

ذبح الحسين كما يُذبح الكبش!

الله هو العالمُ بما جرى على الحسين عليه السلام، وكيف قُتل.. ولقد رويت عن
 النبي صلى الله عليه وآله كلمات تُقطعُ القلوب، حين قال:
 كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَقَدْ رُمِيَ بِسَهْمٍ فَخَرَّ عَنْ فَرَسِهِ صَرِيحاً!
 ثُمَّ يُذْبَحُ كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ مَظْلُوماً!! (٢).
 اللهُ أكبر يا حسين.. يا أبا عبد الله..
 سيِّدُ شبابِ أهلِ الجنة: يُذْبَحُ كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ مَظْلُوماً!
 تقشعرُّ الأبدان.. وتختار الأنامل.. أتُكْمَلُ تَسْطِيرَ كَلِمَاتِ الْعِزَاءِ لآلِ اللَّهِ
 وشيعتهم؟!!

(١) تفسير فرات ص ١٧١.

(٢) الأمايلي للصدوق ص ١١٥.

دموعُ المؤمنين تنهمرُ كالمطر، وقلوبهم كسيرةً مفعوجة.. إِنَّهُ يَوْمَ الْحُسَيْنِ..
الذَّبِيح.. كما يذبح الكبش!

لكنَّ بين ذبح الحسين وذبح الكبش مفارقاتٌ أليمة!
فأَيُّ مشابَهةٍ بين ذبح الإمام الحسين المطهَّر وبين ذبح الكبش؟!
لعلَّها مشابَهةٌ في الذَّبْحِ نفسه لا في آدابه وشروطه!
فإنَّ هناك آداباً لذبح الكبش لم تراعى في سيِّد الشهداء! وهو الذي تحرَّم أذيتُه
قولاً وفعلاً، فكيف بذبحه!
يتأملُ المنصف بكيفية الذَّبْحِ فيرى أموراً عجيبة!

١. الإِراحةُ في القتل!

لقد حثَّت الشريعة على الإحسان في الذَّبْحِ، بإِراحةِ الذبيحة، وعدم تعنيفها
قبل الذَّبْحِ وبعده، فعن النبي ﷺ: مَنْ ذَبَحَ ذَبِيحَةً فَلْيُحِدِّ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِخْ
ذَبِيحَتَهُ^(١).

وعن الباقر عليه السلام: يُرْفَقُ بِالذَّبِيحَةِ وَلَا يُعْنَفُ بِهَا قَبْلَ الذَّبْحِ وَلَا بَعْدَهُ^(٢).
حتى أنَّ العامة رَووا عن النبي ﷺ قوله: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ الْإِحْسَانَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ^(٣).

(١) دعائم الإسلام ج ٢ ص ١٧٤.

(٢) دعائم الإسلام ج ٢ ص ١٧٩.

(٣) السنن الكبرى للنسائي ج ٣ ص ٦٥.

لكن ماذا فعل القوم بالحسين عليه السلام؟!

عن الإمام زين العابدين عليه السلام: فَنَزَلَ سِنَانُ بْنُ أَنَسٍ الْإِيَادِيُّ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَأَخَذَ بِلِحْيَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَجَعَلَ يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ فِي حَلْقِهِ! ^(١).

فلا حول ولا قوة الا بالله.

٢. ذكرُ الله عند الذبح!

أمرت الشريعة بذكر الله عند الذبح، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: إِذَا ذَبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ^(٢).

لكن المنافقين ذكروا الله على نحوٍ خاصٍ عند قتل الحسين عليه السلام، فعن الإمام زين العابدين عليه السلام أَنَّ قَائِلَهُمْ قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَجْتَرُّ رَأْسَكَ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وَخَيْرِ النَّاسِ أُمَّاً وَأَباً! ^(٣).

ذكروا الله فاستحقوا بذلك العذاب، فبئساً لهم، لَعَنَهُمُ اللَّهُ بكفرهم.

٣. المثلى والقتل صبراً!

روي عن النبي صلوات الله عليه أنه: نَهَى عَنِ الْمَثَلَةِ بِالْحَيَوَانِ، وَعَنْ صَبْرِ الْبَهَائِمِ ^(٤).

(١) الأماي للصدوق ص ١٦٣.

(٢) بحار الأنوار ج ٦٢ ص ٣٢٨.

(٣) الأماي للصدوق ص ١٦٣.

(٤) دعائم الإسلام ج ٢ ص ١٧٥.

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِيَّاكُمْ وَالْمِثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ^(١).

تنهى الشريعة عن المثلّة حتى بالكلب، ويُمثّل الأرجاسُ بسيدِّ شبابِ أهلِ الجنة فيقطعون إصبعه! فإنّه: لَمَّا قُتِلَ مَالُ النَّاسِ إِلَى سَلْبِهِ يَنْهَبُونَهُ.. وَأَخَذَ خَاتَمَهُ بَجَدَلِ بْنِ سُلَيْمِ الْكَلْبِيِّ وَقَطَعَ إِصْبَعَهُ^(٢).

وأما القتل صبراً، الذي نهى عنه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فله تفاسير أو مصاديق عدّة منها:

١. الحبس حتى الموت.

٢. الربط والشدّ والرمي حتى الموت.

٣. أن يمسكه رجلٌ آخر حتى يضرب عنقه.

٤. ذبح أحدٍ وآخرٍ ينظر اليه.

وقد حُبِسَ الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، منذ التاسع، فالحصارُ حَبَسَ، و: تَأْسُوعَاءُ يَوْمٌ حُوصِرَ فِيهِ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٣).

وقد رُمِيَ الحسين حتى أثنخ بالجراح.

وجلس شمرٌ على صدره واحتزّ رأسه، بعد أن ذبحوا ابنه على يديه صبراً وهو ينظر اليه، فإنّا لله وإنا اليه راجعون.

ما أعظّمها من مُصِيبَةٍ امتحنَ الله تعالى بها سيّدَ الكائنات، فإنّه: لَمَّا أُسِرِيَ

(١) نهج البلاغة ص ٤٢٢.

(٢) مشير الأحران ص ٧٦.

(٣) الكافي ج ٤ ص ١٤٧.

بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاءِ قِيلَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجْتَبِرُكَ فِي ثَلَاثٍ لِيَنْظُرَ كَيْفَ صَبْرُكَ.

قَالَ: أَسْلَمْتُ لِأَمْرِكَ يَا رَبِّ، وَلَا قُوَّةَ لِي عَلَى الصَّبْرِ إِلَّا بِكَ..

وكان ثالث الإمتحانات:

مَا يَلْقَى أَهْلُ بَيْتِكَ مِنْ بَعْدِكَ مِنَ الْقَتْلِ!

وكان للحسين عليه السلام نصيبٌ من ذلك: تَدْعُوهُ أُمَّتُكَ لِلْجِهَادِ ثُمَّ يَقْتُلُونَهُ صَبْرًا، وَيَقْتُلُونَ وُلْدَهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ.

ثُمَّ يَعُوْضُهُ اللَّهُ تَعَالَى مَعَ الْحَسَنِ عليه السلام أَنْ يَزَيِّنَ بِهِمَا عَرْشَهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَمَّا ابْنُكَ الْمَخْدُومُ الْمَقْتُولُ، وَابْنُكَ الْمَغْدُورُ الْمَقْتُولُ صَبْرًا، فَإِنَّهُمَا مِمَّا أُزَيِّنُ بِهِمَا عَرْشِي، وَهُمَا مِنَ الْكِرَامَةِ سِوَى ذَلِكَ مِمَّا لَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ^(١).

لهذا الصبر وهذه المنزلة حَقٌّ للإمام السَّجَّادِ عليه السلام أَنْ يَفْتَخِرَ فَيَقُولَ: أَنَا ابْنُ مَنْ قُتِلَ صَبْرًا وَكَفَى بِذَلِكَ فُخْرًا^(٢).

٤. النهي عن قطع الرأس وقت الذبح!

عن الصادق عليه السلام: لَا تَنْخَعِ الذَّبِيحَةَ حَتَّى تَمُوتَ، فَإِذَا مَاتَتْ فَانْخَعْهَا^(٣).
أَي لَا يُفْصَلُ وَيُقَطَّعُ رَأْسُ الذَّبِيحَةِ، وَلَا يُقَطَّعُ النِّخَاعُ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ، وَعَنْ

(١) كامل الزيارات ص ٣٣٤.

(٢) مناقب ال أبي طالب عليه السلام ج ٤ ص ١١٥.

(٣) الكافي ج ٦ ص ٢٢٩.

النبي ﷺ: أَنَّهُ نَهَى عَنْ قَطْعِ رَأْسِ الذَّبِيحَةِ فِي وَقْتِ الذَّبْحِ (١).
 شريعة السماء تنهى عن ذلك في الذبيحة، وسيد الشهداء يُقطع رأسه حيًّا
 وهو يُكلمهم!

فلا حول ولا قوة الا بالله، وإنا لله وإنا اليه راجعون.
 قال لهم ﷺ: أَرِدُ عَلَى جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَسْكُنُ مَعَهُ فِي دَارِهِ فِي
 مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ.. وَأَشْكُو إِلَيْهِ مَا ارْتَكَبْتُمْ مِنِّي وَفَعَلْتُمْ بِي.
 وبدلاً من أن يتوبوا الى الله تعالى مما فعلوا، ارتكبوا أعظم جريمة حين:
 غَضِبُوا بِأَجْمَعِهِمْ حَتَّى كَانَّ اللَّهُ لَمْ يَجْعَلْ فِي قَلْبِ أَحَدٍ مِنْهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ شَيْئاً،
 فَاجْتَرَوْا رَأْسَهُ وَإِنَّهُ لَيُكَلِّمُهُمْ! (٢). فلا حول ولا قوة الا بالله.

٥. الذبح من القضا

لَا حَظَّتْ الشَّرِيعَةُ حَالَ الذَّبِيحَةِ، فَنَهَتْ عَنِ الذَّبْحِ مِنَ الْقَفَا (٣).
 أما أعداء الحسين ﷺ.. فإنهم فعلوا به ما لا يفعل بالشاة!
 فهذه زينب ناعية الحسين ﷺ تندبه وتقول: يَا مُحَمَّدَاهُ، صَلَّى عَلَيْكَ مَلَائِكَةُ
 السَّمَاءِ، هَذَا الْحُسَيْنُ مَرْمَلٌ بِالدَّمَاءِ، مُقَطَّعُ الْأَعْضَاءِ.. هَذَا حُسَيْنٌ مَجْزُوزُ الرَّأْسِ
 مِنَ الْقَفَا (٤).

(١) دعائم الإسلام ج ٢ ص ١٧٦.

(٢) اللهوف ص ١٢٨.

(٣) الفقيه ج ٣ ص ٣٣٣، ودعائم الإسلام ج ٢ ص ١٨٠.

(٤) اللهوف ص ١٣٣.

وهذا علي بن الحسين عليه السلام يقول: أَنَا ابْنُ الْمَقْتُولِ ظَلَمًا، أَنَا ابْنُ الْمَجْرُوزِ الرَّأْسِ مِنَ الْقَفَا^(١).

وفي زيارته: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَسِيرَ الْكُرْبَاءِ، وَمَسْلُوبَ الرِّدَاءِ، وَالْمَذْبُوحَ مِنَ الْقَفَاءِ^(٢).

فلا حول ولا قوة الا بالله.

النبي والحسين!

عن الباقر عليه السلام: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْحُسَيْنُ عليه السلام جَذَبَهُ إِلَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَمْسِكْهُ، ثُمَّ يَقَعُ عَلَيْهِ فَيَقْبَلُهُ وَيَبْكِي.

يَقُولُ: يَا أَبَتِ لِمَ تَبْكِي؟

فَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ أَقْبَلُ مَوْضِعَ السُّيُوفِ مِنْكَ!^(٣)

لا حول ولا قوة الا بالله.. أي مواضع كان يقبلها رسول الله؟! وقد قال الصادق عليه السلام: وَجَدَ بِالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا) نَيْفٌ وَسَبْعُونَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ!^(٤)

فلا حول ولا قوة الا بالله.

(١) مناقب ال أبي طالب عليه السلام ج ٤ ص ١٦٨.

(٢) زاد المعاد ص ٥١٠.

(٣) كامل الزيارات ص ٧٠.

(٤) الأماي للطوسي ص ٦٧٧.

المصيبة العظمى

قال الباقر عليه السلام عن جدّه الحسين عليه السلام:

وَلَقَدْ قَتَلُوهُ قِتْلَةً مَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُقْتَلَ بِهَا الْكِلَابُ، لَقَدْ قُتِلَ:

١. بِالسَّيْفِ

٢. وَالسِّنَانِ

٣. وَبِالْحِجَارَةِ

٤. وَبِالْخَشَبِ

٥. وَبِالْعَصَا

وَلَقَدْ أَوْطِئُوهُ الْخَيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ^(١).

فواعجباه.. وامصيبته.. فماذا جرى؟! وكيف ذلك؟!

سلام الله عليك يا صاحب الزمان حين تخاطبه قائلاً: وَالشُّمْرُ جَالِسٌ عَلَى
صَدْرِكَ، مُوَلِّغٌ سَيْفَهُ عَلَى نَحْرِكَ، قَابِضٌ عَلَى شَيْبَتِكَ بِيَدِهِ، ذَابِحٌ لَكَ بِمُهَنْدِهِ، قَدْ
سَكَنَتْ حَوَاسُكَ، وَخَفِيَتْ أَنْفَاسُكَ، وَرُفِعَ عَلَى الْقَنَا رَأْسُكَ^(٢).

فإننا لله وإنا إليه راجعون.

أُصِبْنَا بِكَ يَا حَبِيبَ قُلُوبِنَا.. فَلَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ^(٣).

(١) الأصول الستة عشر ص ٣٣٩.

(٢) المزار الكبير ص ٥٠٥.

(٣) الأربعاء ٩ محرم ١٤٤٣ هـ الموافق ١٨ - ٨ - ٢٠٢١ م.

١٦. الحسين بن علي.. وحمَامُ الحَرَمِ!

بسم الله الرحمن الرحيم

الحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِمَامٌ مَعصُومٌ، مُحَدَّثٌ، لَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَلَى مَا فِيهِ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، رَغْمَ ذَلِكَ تَعَدَّدَ النَّاصِحُونَ لَهُ بِعَدَمِ الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ، إِمَّا شَفَقَةً عَلَيْهِ وَرَحْمَةً بِهِ وَحُبًّا لَهُ، وَإِمَّا لِأَغْرَاضٍ وَغَايَاتٍ وَمَأْرَبٍ.

وَلَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَاحِدًا مِنْهُمْ، حَيْثُ خَلَا بِالْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ خُرُوجِهِ مِنْ مَكَّةَ وَنَاجَاهُ طَوِيلًا، ثُمَّ مَا لَبِثَ الْإِمَامُ أَنْ نَقَلَ قَوْلَ ابْنِ الزُّبَيْرِ لَهُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ هَذَا يَقُولُ لِي: كُنْ حَمَامًا مِنْ حَمَامِ الْحَرَمِ!»^(١).

لَمْ يَقْبَلِ الْإِمَامُ كَلَامَهُ بِالْبَقَاءِ، لِثَلَا يُقْتَلُ فِي الْحَرَمِ الشَّرِيفِ، فَالْقَوْمُ قَدْ عَزَمُوا عَلَى قَتْلِهِ أَيْنَمَا وَجَدُوهُ، وَلَوْ مُتَعَلِّقًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَأَنْ أُقْتَلَ بِالطَّفِّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقْتَلَ بِالْحَرَمِ»^(٢).

ثُمَّ عَرَّضَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِابْنِ الزُّبَيْرِ حِينَ قَالَ لَهُ: «إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي: «أَنَّ بَهَا كَبْشًا يَسْتَحِلُّ حُرْمَتَهَا!» فَمَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْكَبْشُ!»^(٣).

وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مَنْ اسْتَحَلَّ حُرْمَةَ الْحَرَمِ فَعَلًّا، ثُمَّ قُتِلَ فِيهِ، حَتَّى قِيلَ أَنَّهُ قُتِلَ مُتَعَلِّقًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ!

وَلَكِنْ.. يَقِفُ الْبَاحِثُ قَلِيلًا مَعَ قَوْلِهِ لِلْإِمَامِ (كُنْ حَمَامًا مِنْ حَمَامِ الْحَرَمِ!).

(١) كامل الزيارات ص ٧٢.

(٢) كامل الزيارات ص ٧٢.

(٣) وقعة الطف ص ١٥٢.

فَمَا قِصَّةُ حَمَامِ الْحَرَمِ هَذَا؟!
ههنا محطاتٌ غريبةٌ مع هذا الحمام منها:

أولاً: حمام الحرم.. حمام الأنبياء!

لقد حثت الشريعة على اتِّخاذ الطيور في المنزل، ويظهر مما رُوي في تراث آل محمد ﷺ أن الحمام من الطيور التي كان الأنبياء يسكنونها في بيوتهم، وقد ورد عن الصادق عليه السلام: الْحَمَامُ طَيْرٌ مِنْ طُيُورِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١).

ولقد كان أوَّل عهد الحرم بالحمام أيام إسماعيل عليه السلام، فكان أوَّل حمام بمكة حمامه عليه السلام، ثم من بقيته كان حمام الحرم، ففي الحديث عن الصادق عليه السلام: إِنَّ أَصْلَ حَمَامِ الْحَرَمِ بَقِيَّةُ حَمَامِ كَانَ لِإِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اتَّخَذَهَا (٢).
فصار حمام الحرم: مِنْ نَسْلِ حَمَامِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثانياً: أحكام حمام الحرم

لقد حرَّمت الشريعة بعض أصناف الصيد في الحرم، بل حرَّمت مطلق الأذية لأصناف من الحيوانات، وكان منها حمام الحرم، فورد في الروايات جملة من أحكامه منها:

١. حُرْمَةُ تَنْفِيرِهِ!

ففي الحديث: وَإِنْ نَفَّرْتَ حَمَامَ الْحَرَمِ فَرَجَعْتُ فَعَلَيْكَ فِي كُلِّهَا شَاةٌ، وَإِنْ لَمْ

(١) الكافي ج ٦ ص ٥٤٧.

(٢) الكافي ج ٦ ص ٥٤٦.

تَرَهَا رَجَعَتْ فَعَلَيْكَ لِكُلِّ طَيْرٍ دَمٌ شَاءَ^(١).

٢. وجوب ردّه بعد الإخراج!

ففي الحديث عن رجلٍ أخرج حمامةً من حمام الحرم قال: عَلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهَا فَإِنْ مَاتَتْ فَعَلَيْهِ ثَمْنُهَا يَتَصَدَّقُ بِهِ^(٢).

٣. المنع من نتفه!

ولزوم التصدّق بصدقة على المسكين باليد التي نتفها بها^(٣).

٤. منع كسر بيضه!

ولزوم التصدّق لو كُسِر ولو خطأ^(٤).

٥. حرمة صيده!

سواء كان ذلك في الحرم أو الحِلِّ، ففي الحديث: لَا يُصَادُ حَمَامُ الْحَرَمِ حَيْثُ كَانَ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ مِنْ حَمَامِ الْحَرَمِ^(٥).

٦. حرمة ذبحه وأكله!

فَمَنْ ذَبَحَهُ عَلَيْهِ الْفِدَاءُ، وَمَنْ أَكَلَهُ عَلَيْهِ فِدَاءٌ آخَرَ^(٦).

(١) الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام ص ٢٢٩.

(٢) مسائل علي بن جعفر ومستدركاتهما ص ٢٧١.

(٣) الكافي ج ٤ ص ٢٣٦.

(٤) الكافي ج ٤ ص ٢٣٦.

(٥) مسائل علي بن جعفر ومستدركاتهما ص ٢٧١.

(٦) الأصول الستة عشر ص ٣١٣.

٧. لزوم دفنه!

كما في الرواية: فَمَا يَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: يَدْفِنُهُ^(١).

بهذا يتبين أن الشريعة قد نزلت حمام الحرم منزلةً محرّم معها أي نوع من أنواع الإيذاء له، بل سوّغت قتل السبع الذي يقتل حمام الحرم، ففي الحديث أن سبعاً من الطير صار يضرب ما يمرُّ به من حمام الحرم، فقال الصادق عليه السلام: انصبوا له وافتلوه فإنه قد أُلْحِدَ^(٢).

هذا إن كان سبعاً، أما إن كان إنساناً مؤمناً، فإن الله تعالى قد أكرم المؤمن بأن الصاعقة لا تصيبه، إلا إن كان: يرمي حمام الحرم!^(٣).

ثالثاً: الحسين وحمام الحرم

لقد أراد ابن الزبير من الحسين عليه السلام أن يكون كحمام الحرم! ومهما كانت أغراضه وغاياته، فإن لحمام الحرم حرمة عند الله تعالى! فهل صارت حرمة هذا الحمام أعظم من حرمة الحسين عليه السلام؟! وهو سيّد شباب أهل الجنة.

وهل صار حفظ الحسين موقوفاً على تشبيه حرمة بحرمة الحمام؟! لا والله.. لقد أرادوا قتله وهو في الحرم، فبلغت الأمة من التسافل أن سلّبت

(١) الكافي ج ٤ ص ٢٣٤.

(٢) الكافي ج ٤ ص ٢٢٧.

(٣) علل الشرائع ج ٢ ص ٤٦٢.

إمامها وعينَ حياتها وسبيل هدايتها ما أعطاه الله لطيرٍ من الطيور!
 ثمَّ كان الحمامُ نفسه أفضلَ من أكثرِ مَنْ في هذه الأُمَّة! فالأُمَّة قتلتَ حُسَيْنها،
 بينما صارت بعضُ أصنافِ الحمامِ تدعو على قتلته!
 ففي الحديث أنَّ الحمامِ الراعيَّ: يَدْعُو عَلَى قَتْلَةِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاتَّخِذُوا فِي
 مَنَازِلِكُمْ.

وفي خبرٍ آخر: إِنَّهَا تَلْعَنُ قَتْلَةَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَعَنَ اللَّهُ قَاتِلَهُ^(١).
 بهذا ظهرت مفارقات عجيبة:

١. لقد حرَّم الله تعالى تنفيرِ حمامِ الحَرَمِ.
- فنَفَرَت الأُمَّةُ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ المَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، ثمَّ من مَكَّةَ إِلَى خَارِجِهَا!
٢. وأوجب الله تعالى إرجاعِ الحمامِ سالمًا إن أُخْرِجَ مِنَ الحَرَمِ.
- لكنَّ الأُمَّةَ لم تُرْجِعْ حُسَيْنًا! ولم تسمَح له بأن يسير إلى أي بقعةٍ من بقاعِ
 الأَرْضِ يكون فيها آمنًا!
٣. ومنَعَت الشريعة كسرَ بيضِ حمامِ الحَرَمِ!
- لكنَّ الأُمَّةَ قَتَلَت فِرَاحَ الحُسَيْنِ! مَنْ كَانَ رَضِيعًا مِنْهُمْ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ!
٤. وحرَّمت الشريعة صيدِ الحمامِ وذبحه!
- لكنَّ الأُمَّةَ ذَبَحَت إمامها الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ القِفَا! ومعه أهل بيته وأصحابه.
٥. وأوجبَت الشريعة دَفْنَ حَمَامِ الحَرَمِ!

(١) الكافي ج ٦ ص ٥٤٧-٥٤٨.

لَكِنَّ الْأُمَّةَ تَرَكَتْ حُسَيْنًا عَلَى الرَّمْضَاءِ أَيَّامًا!

لَا يَتَحَيَّرُ الْمُؤْمِنُ بَيْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .. وَبَيْنَ حَمَامِ الْحَرَمِ! حَيْثُ أَصَابَتْ
الصَّاعِقَةُ مُؤْمِنًا رَمَى حَمَامَ الْحَرَمِ .. وَلَمْ تُصِبْ قَتَلَةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ!

لَا يَتَحَيَّرُ الْمُؤْمِنُ فِي سِرِّ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ جِبْرَائِيلَ نَزَلَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَصَرَخَ
فِي الْعَسْكَرِ، وَهُوَ خَائِفٌ مِنْ نَزُولِ الْعَذَابِ عَلَى مَنْ فِي الْأَرْضِ وَهَلَكَهْمُ، وَقَدْ
قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَّا إِنَّهُ لَوْ أُذِنَ لَهُ فِيهِمْ لَصَاحَ بِهِمْ صَيْحَةً يَخْطَفُ بِهِ أَرْوَاحَهُمْ
مِنْ أَبْدَانِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَلَكِنْ أُمْهَلَ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(١).

لَقَدْ أَجَلَ اللَّهُ عَذَابَ جَمْعِهِمْ، لَكِنَّ هَذَا لَمْ يَمْنَعْ مِنْ أَنْ يَنَالُوا بَعْضَ مَا
يَسْتَحِقُّونَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ.

فَمِنْهُمْ مَنْ عَمِيَتْ عَيْنَاهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ بِيَسَتْ يَدَاهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَارَتْهَا تَقْطِرَانِ
دَمًا وَقِيحًا، وَمِنْهُمْ مَنْ أَصَابَهُ الْبَرَصُ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَارَ مَعْتَوْهَا وَذَهَبَ عَقْلُهُ،
وَمِنْهُمْ مَنْ صَارَ مُقْعَدًا، وَمِنْهُمْ مَنْ أَحْرَقَتْهُ النَّارُ مَهْمَا عَاجَلَتْهَا بِالْمَاءِ حَتَّى صَارَ
فَحْمًا .. بَلْ مَاتَ كُلُّهُمْ أَوْ جُلُّهُمْ مَيِّتَةً سَوْءًا أَوْ قَتَلَهُ سَوْءًا.

ثُمَّ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا عَلَى يَدِ الْمُنْتَقِمِ الْآخِذِ بِالثَّارِ، وَآخِرُ لَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ
بَشَرٍ يَوْمَ الْحِسَابِ.

وَلَسْتُ أَدْرِي مَا سَيَكُونُ عَذَابٌ مِنْ زَعَمِ أَنَّ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَحْبَهُ كَانُوا
يَفْرُونَ فِرَارَ الْحَمَامِ مِنَ الصَّقْرِ!

لَقَدْ قَتَلُوا الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الطَّفِّ، ثُمَّ أَرَادُوا قَتْلَ شَخْصِيَّتِهِ، وَإِسْقَاطَ

هيبتة، فهذا شمراً يقول كاذباً ليزيد لعنهما الله:

فغدونا عليهم عند شروق الشمس، فأحطنا بهم من كل جانب، فلما أخذت
السيوف منهم مأخذها جعلوا يلوذون الى غير وزر (ملجأ)، لَوَذَانَ الحِمَامِ من
الصُّقُورِ، فما كان إلا مقدار جزر جزور^(١)، أو نوم قائلٍ حتى أتينا على آخرهم^(٢).
وقال لعينٌ آخر ليزيد: فجعلوا يُبرِّقُطُون (يهربون) إلى غير وزر ويلوذون
منّا.. لوإذاً كما لا ذ الحمام من صقر!^(٣).

لم يُعامل هؤلاء الأراذل سادة الخلق كحمام الحرم، فأرادوا حربهم وقتالهم،
وقد عرفوا بأسهم وشدتهم، وهذا ابن سعد يقول: لَا يَسْتَسْلِمُ وَاللَّهِ حُسَيْنٌ، إِنَّ
نَفْساً أَبِيَّةً لَيَبْنَ جَنِيَّةً!^(٤).

أو: إِنَّ نَفْسَ أَبِيهِ لَيَبْنَ جَنِيَّةً!^(٥).

وقد قال قائلهم: أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان مصر وأهل
البصائر، وقوماً مستميتين، لا يبرز إليهم أحد منكم إلا قتلوه على قتلهم^(٦).
وهكذا لعنت هذه الأمة العاصية لربها في أحب الخلق إليه بعد رسوله.
وهكذا صار الحسينُ أهونَ عندهم من طيرٍ يعيش في الحرم، وهو الذي

(١) يعني مقدار ذبح ناقة.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري ص ٢٦٠.

(٣) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٨٥.

(٤) وقعة الطف ص ١٨٩.

(٥) الإرشاد ج ٢ ص ٨٩.

(٦) مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ١٨.

عاش في كنف الرسول ﷺ والوصي عليّ عليه السلام والبضعة عاتق! وقد استمرّ الدّجّل والنّفاق في الأمة بعد قتله، فسبّهوه وأصحابه بالحمام التي تفرّ! وهم: لُيُوثُ الْوَعَى وَغُيُوثُ النَّدى وَطَعَانُ الْعِدَى.. ثم أقرّت الأُمَّةُ أعداءه على قتله، حين نسيّت مقتله ووالد أعداءه وقاتليه ومَن أسّس أساس الظُّلم عليهم، بل كان منها من جعل عاشوراء يوم فرحٍ وسرور!

وقد مرّ العاشرُ بالأمس القريب في بلاد المسلمين كأنّ شيئاً لم يكن! كأنّ سبطَ المصطفى لم يقتل فيه، ولم تُفَرَّ أوداجه! ويُرفع على القناراسه! وكأنّ حريم النبوة والرسالة لم يُطَفَ بهنّ سبايا من بلدٍ إلى بلد! فيا لها من ظلامٍ لم ينته أمدها.. وإنا لله وإنا إليه راجعون^(١).

(١) الخميس ١٢ محرّم الحرام ١٤٤٤ هـ الموافق ١١ - ٨ - ٢٠٢٢ م.

١٧. عجباً لصبرك.. يا حسين!

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما أخبر الله تعالى ملائكته أنه سيجعل في الأرض خليفة، قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(١).

لقد سبق أن رأى الملائكة سفكاً للدماء قبل آدم ﷺ، وإفساداً في الأرض، فقدرُوا أو علموا أن المخلوقات الجديدة ستعيدُ الكرَّةَ.

لقد روي عن الصادق ﷺ قوله: وما علم الملائكة.. لو لا أنهم قد كانوا رأوا من يُفسدُ فيها ويسفكُ الدماء^(٢).

فالملائكة قد رأوا من سفك الدماء ما لا نعلمه.

ولكن.. رغم أنهم شاهدوا الكثير مما لا نعرفُ مقداره وصورته قبل نشأة آدم ﷺ، إلا أن موقفاً في هذه الدنيا أثار في الملائكة التَّعَجُّب!

وهو صَبْرُ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيِّ ﷺ!

لقد ورد في إحدى زيارات الإمام الحسين ﷺ، المروية عن الإمام الحجة ﷺ لأحد أبوابه: وَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ صَبْرِكَ مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ!^(٣).

للملائكة منزلةٌ عظيمةٌ.. لقد رأوا من عظمة الله شيئاً عجيباً، وعرفوا من هذا الكون الفسيح ما لا نعلم، لكنَّ صبر سيد الشهداء أثار تَعَجُّبَهُمْ!

(١) البقرة ٣٠.

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص ٢٩.

(٣) المزار الكبير لابن المشهدي ص ٥٠٤.

فعلی أيّ شيء صَبَرَ سلامُ الله عليه؟ وما قصّةُ صبرِهِ هذا؟!!

لقد روي عن الباقر عليه السلام أنه قال:

أَصِيبَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام وَوُجِدَ بِهِ ثَلَاثُمِائَةَ وَبَضْعَا [بِضْعٍ] وَعَشْرِينَ
[عِشْرُونَ] طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ ضَرْبَةً بِسَيْفٍ، أَوْ رَمِيَّةً بِسَهْمٍ!
فَرَوِيَ أَنَّهَا كَانَتْ كُلُّهَا فِي مُقَدِّمِهِ لِأَنَّهُ عليه السلام كَانَ لَا يُؤَلِّي^(١).

هذه أرقامٌ تُنقلُ.. تُعدُّ وتُحصى.. تزيد عن الثلاثمائة بين طعنةٍ وضربةٍ ورميةٍ.

لكنَّ كلَّ واحدةٍ منها هي بلاءٌ وامتحانٌ بنفسه، وإصابةٌ بنفسها.

لها قصّةٌ.. وفاعلٌ.. ونتيجةٌ وأثرٌ في جسد الحسين الطاهر.

لم يتغيَّرَ حالُ الإمام، بين أوَّلها وآخرها.. لا فرق عنده في الصبر بين الضربة

الأولى والأخيرة.. فهو الإمام الصابر، الذي عجبت لصبره ملائكة السماء!

إنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَحْتَمِلُ ضَرْبَةً وَضَرْبَتَيْنِ وَثَلَاثَ، ثُمَّ يَبْدَأُ الضَّعْفَ وَالْوَهْنَ

فِي نَفْسِهِ، حَتَّى يَتَرَاوَعُ أَوْ يَسْتَسَلِمَ، أَوْ يَفَارِقَهُ الصَّبْرَ فَيَجْزَعُ.

لكنَّه عليه السلام كان وبعض من معه كلِّما اشتدَّ الأمر: تُشْرِقُ أُلُؤَائِهِمْ! وَتَهْدَأُ

جَوَارِحُهُمْ! وَتَسْكُنُ نَفُوسُهُمْ!^(٢).

فأيُّ عظمةٍ هذه؟!

تشيرُ زيارة الناحية المقدسة تلك إلى بعض ما جرى على الحسين الشهيد

عليه السلام، الذي قاتل قوماً نكثوا بيعته، وبدؤوه بالحرب، فطَحَنَ جنودهم.

(١) الأماي للصدوق ص ١٦٤.

(٢) الأماي للصدوق ص ٢٨٨.

يخاطبه الإمام المنتظر عليه السلام فيقول: فَلَمَّا رَأَوْكَ ثَابِتَ الْجَاشِ، غَيْرَ خَائِفٍ وَلَا خَاشٍ، نَصَبُوا لَكَ عَوَائِلَ مَكْرِهِمْ، وَقَاتَلُوكَ بِكَيْدِهِمْ وَشَرِّهِمْ! رأى القومُ قُوَّةَ كَأْتَمِهَا قُوَّةَ عَلِيِّ الْكَرَّارِ، وخافوا الهزيمة والموت على يديه، فلعجؤوا إلى المكر والخديعة، مع كثرة عددهم، وقلَّة ناصريه!
منعوه الماء، ورشقوه بالسَّهام والنبال.. فتحمل الأذى في جنب الله.

يقول الإمام المنتظر عليه السلام:

وَأَحَدُفُوا بِكَ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ، وَأَثَخُنُوكَ بِالْجِرَاحِ، وَحَالُوا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الرَّوَّاحِ، وَلَمْ يَبْقَ لَكَ نَاصِرٌ، وَأَنْتَ مُحْتَسِبٌ صَابِرٌ، تَذُبُّ عَنْ نِسْوَتِكَ وَأَوْلَادِكَ.
لم يكن قتالاً منصفاً، فما قاتلوه كما يفعل أصحاب الشرف والمروءة.. إنهم قومٌ انعدمت فيهم المثل والأخلاق، فتكالبوا عليه، وعمدوا إلى كلِّ مكرٍ وشرٍّ يقدرون عليه، ولم يتركوا له من ناصر.

إن الساعة التي صار فيها الإمام بلا ناصرٍ هي من أشقِّ الساعات، لكنه كان يحتسب ذلك عند الله تعالى، ويصبر على ما ينال من أذى في جنب الله.. والملائكة يعجبون ويعجبون!

كان يذُبُّ عن نسوته وأولاده ما دام فيه قدرةٌ على ذلك.

حَتَّى نَكْسُوكَ عَنْ جَوَادِكَ، فَهَوَيْتَ إِلَى الْأَرْضِ جَرِيحاً، تَطْوُوكَ الْخَيُْولُ بِحَوَافِرِهَا، وَتَعْلُوكَ الطُّغَاةُ بِبَوَاتِرِهَا، قَدْ رَشَحَ لِلْمَوْتِ جَبِينُكَ، وَاخْتَلَفَتْ بِالْإِنْقِبَاضِ وَالْإِنْبِسَاطِ شِمَالُكَ وَيَمِينُكَ..

فلا حول ولا قوة إلا بالله.

كيف احتَمَلت هذه الأرض التي هوى عليها بدنًا طاهرًا كبدن الحسين

عَلَيْهِ السَّلَامُ!؟

لقد أعدّها الله لذلك.. ليكون ضريحه فيها قبلة الموالين.

ثمّ كيف انقادت الخيول لأصحابها فوطأت صدر الحسين!؟

الله يعلم كيف جرى ذلك، وهو صابرٌ.. والملائكة يعجبون ويعجبون!

لكنّ الذي يكسر قلب الغيور، قولُ الإمام المنتظر لجدّه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

تُدِيرُ طَرْفًا خَفِيًّا إِلَى رَحْلِكَ وَبَيْتِكَ، وَقَدْ شَغِلْتَ بِنَفْسِكَ عَنْ وُلْدِكَ وَأَهْلِكَ،
وَأَسْرَعَ فَرَسُكَ شَارِدًا، وَإِلَى خِيَامِكَ قَاصِدًا، مُحْمَجَمًا بَأَكْبَارًا!

لقد صَبَرَ الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا حين أدار طرفًا خفيًا لنسائه وعياله، وهو لا يقدر على النهوض للذَّبِّ عنهم.

في ساعاته الأخيرة، كانت بواترُ الطغاة تعلو حُسينًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، لكنّ طرفه كان عند رحله وخيامه وعياله! رغم ذلك.. كان صابرًا محتسبًا!
فيا لله وللصَّبْرِ..

لقد روي عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله:

إِنَّ مَنْ صَبَرَ صَبْرًا قَلِيلًا، وَإِنَّ مَنْ جَزَعَ جَزَعًا قَلِيلًا^(١).

فكلُّ من صَبَرَ في الدُّنيا كان صبرُهُ قليلًا في قِبال ما سيناله في الآخرة..

لكنّ صبر الحسين رغم أنه كان في الدُّنيا.. ما كان قليلًا، بل كان عظيمًا إلى

(١) تفسير القمي ج ١ ص ١٩٦.

حَدَّ أَنْ تَعَجَّبَتْ لَهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ!

يَأْمُرُ الْإِمَامَ الصَّادِقَ بِالصَّبْرِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾^(١)، فَصَبَرَ ﷺ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ، وَعَلَىٰ مَا يُنْزِلُونَ بِهِ مِنْ بَلَاءٍ.. فَانْتَهَمَ: قَابَلُوهُ بِالْعِظَائِمِ وَرَمَوْهُ بِهَا، فَضَاقَ صَدْرُهُ.. ثُمَّ كَذَّبُوهُ وَرَمَوْهُ..

فَصَبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، ثُمَّ بُشِّرَ فِي الْأَيَّامِ مِنَ عِثْرَتِهِ، وَوَصَّفُوا بِالصَّبْرِ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾^(٢).

وَإِذَا كَانَ الصَّبْرُ رَأْسَ الْإِيمَانِ، فَكَيْفَ لَا يَكُونُ صَبْرُ الْإِمَامِ الْعَظِيمِ عَظِيمًا؟! لَقَدْ أَمَرَ تَعَالَى بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾^(٣)، وَهُوَ: صَبْرٌ لَيْسَ فِيهِ شَكْوَى إِلَى النَّاسِ^(٤).

فَمَا اشْتَكَى الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَحَدٍ سِوَى رَبِّهِ.

لَقَدْ أَلْقَى الْحِجَّةَ عَلَى الْقَوْمِ، ثُمَّ صَبَرَ، وَهُوَ الْعَالَمُ بِأَنَّ جِزَاءَ الصَّبْرِ نَصْرًا وَمُدَدًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

هُوَ الْعَالَمُ بِسُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾^(٥).

(١) المزمل ١٠.

(٢) السجدة ٢٤، والحديث في تفسير القمي ج ١ ص ١٩٧.

(٣) المعارج ٥.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٩٣.

(٥) الأنعام ٣٤.

كان الإمام يعلم أن النصر آتٍ لا محالة، لكنَّ الحكمة اقتضت تأجيله وتأخيره، إلى يوم ظهور المنتظر.. ويوم الكرَّة.. ويوم القيامة.

لذا خاطب عليه السلام ربه لما رُميَ ابنه عبد الله بسهم فذبح في حجره، قال: رَبِّ
إِنْ تَكُنْ حَبَسْتَ عَنَّا النَّصْرَ مِنَ السَّمَاءِ فَاجْعَلْ ذَلِكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ! وَأَنْتُمْ لَنَا مِنْ
هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^(١).

لأبي صبرٍ يتعجبُ الملائكة وسائر العباد؟!!

لصبره وهو يرى دماء ولده تسيل وهو في حجره؟!!

أم لصبره وهو يرى ولده الآخر يموت على صدره، فيخاطبه قائلاً: عَلِيُّ
الدُّنْيَا بَعْدَكَ الْعَفَا!^(٢).

أم لصبره عندما احترق قلبه على ولده، وهو الذي نقول في زيارته:

بِأبي أَنْتَ وَأُمِّي مِنْ مُقَدَّمِ بَيْنِ يَدَيِ أَبِيكَ، يَحْتَسِبُكَ وَيَبْكِي عَلَيْكَ، مُحْتَرِقًا
عَلَيْكَ قَلْبَهُ، يَرْفَعُ دَمَكَ بِكَفِّهِ إِلَى أَعْنَانِ السَّمَاءِ، لَا يَرْجِعُ مِنْهُ قَطْرَةٌ، وَلَا تَسْكُنُ
عَلَيْكَ مِنْ أَبِيكَ زَفْرَةٌ^(٣).

أم لصبره وهو قائمٌ على رأس القاسم بقية الحسن عليه السلام، يقول له:

عَزَّ وَاللَّهِ عَلَى عَمِّكَ أَنْ تَدْعُوهُ فَلَا يُجِيبُكَ، أَوْ يُجِيبُكَ فَلَا يَنْفَعُكَ، صَوْتُ وَاللَّهِ

(١) الإرشاد ج ٢ ص ١٠٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب عليه السلام ج ٤ ص ١٠٩.

(٣) كامل الزيارات ص ٢٣٩.

كثُرَ وَائِرُهُ وَقَلَّ نَاصِرُهُ!^(١)

أم لصبره وصدْرُ القاسم على صدره! يحمله ليضعه مع ابنه وسائر القتلى؟!
 أم لصبره على عبد الله بن مسلم بن عقيل الذي (اعتوره الناس فقتلوه)!
 أم لصبره على فتىٍّ من آل الحسين، قال عنه قائلهم: رميت فتىً من آل
 الحسين ويده على جبهته فأثبتتها فيها! وجعلت أنضض سهمي حتى نزعته من
 جبهته! وبقي النصل فيها!^(٢)

آهٍ ثمَّ آهٍ لصبرك يا حسين..

لقد روت بعض المصادر أنَّ الحسين لما مُنِعَ الماء، واستسقى، فما أجابوه،
 جاءه رجلٌ بهاءً.. أعطاه قدحاً من الماء.

خالفَ هذا الرَّجُلُ أصحابه وأعطى الحسين قدحاً.

لكن، يقال أنه: لما وضعه في فيه رماه الحُصَيْن بن نمير بسهم، فدخل فَمَه!
 وحال بينه وبين شرب الماء، فوضع القدح من يده^(٣).

ويقال أنه: جعل يتلقى الدم بيده، ويحمد الله!^(٤)

فلا حول ولا قوَّةَ إلا بالله.. أيُّ بلاءٍ هذا؟! وأيُّ صبرٍ عليه.

هذا واحدٌ من بلاءاتٍ كثيرةٍ رأتها ملائكة السماء، وعجبت من صبره

(١) إعلام الوري ص ٢٤٧.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ص ٤٠٦.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري ص ٢٥٨.

(٤) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٧٢.

عليها.. هذه بلاءاتٌ في أهله و عياله عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأخرى في نفسه الشريفة.

يُرَوَى أَنَّ شَمْرًا نَادَى فِي النَّاسِ:

ما بالكم تحيدون عن هذا الرجل؟ ما تنتظرون؟ اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم!
فحملوا عليه من كل جانب، فضربه زرعة بن شريك التيمي على كفه اليسرى،
وَضْرِبَ عَلَى عَاتِقِهِ، ثُمَّ انصرفوا عنه وهو ينوء ويكبو^(١).

فلا حول ولا قوَّة إلا بالله.

كُلُّ هَذَا كَانَ قَبْلَ الْوَاقِعَةِ الْعَظْمَى.

قَبْلَ أَنْ يَطْعَنُوهُ بِالرَّمْحِ وَيُوقِعُوهُ عَنِ جِوَادِهِ!

وَقَبْلَ أَنْ يَحْتَزُّوا الرَّأْسَ الْمُبَارِكَ الطَّاهِرَ!

وَقَبْلَ أَنْ يُحْمَلَ الرَّأْسُ الشَّرِيفَ!

وَقَبْلَ أَنْ يُوطَّوُوا الْخَيْلَ صَدْرَهُ!

فلا حول ولا قوَّة إلا بالله.

نعم.. كيف لا تعجبُ ملائكة السماء وقد رأت ما رأت.

نحنُ نعجبُ من بعض ما نقرأ، ولا نستطيع فهمه ولا إدراك حقيقته.

لقد نُفِلَتْ عَن سِنَانِ اللَّعِينِ كَلِمَاتٌ لَا يَزَالُ الْعَقْلُ فِيهَا حَائِرًا.

عندما سأله الحجاج كيف صنَعَ بالحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) جمل من أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤٠٩.

فقال: دَسْرَتُهُ بِالرَّمْحِ دَسْرًا!! وَهَبْرَتُهُ بِالسَّيْفِ هَبْرًا!!^(١).
الدَّسْرُ هُوَ الطَّعْنُ!

والهَبْرُ هُوَ القَطْعُ فِي اللّٰحْمِ!! الَّذِي يُوغَلُ فِيهِ!
فلا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا بعض ما نقله التاريخ مما يحارُّ العقل فيه.. وسواه مما نُعْرِضُ عن ذكره.
لكننا نعلمُ أنَّ الله تعالى سيجزيه أعظم الجزاء، قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

ها هم المؤمنون يُكْرَرُونَ فِي سَجْدَةِ الشُّكْرِ مَا كَانَ يَدْعُو بِهِ الْإِمَامُ الْكَاسِمُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، بعد ذكر الأئمة الأطهار، فيقولون كما قال عليه السلام:
اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ دَمَ الْمَظْلُومِ! ثلاثاً^(٣).

اللهم إننا نُنْشِدُكَ دَمَ الْمَظْلُومِ الصَّابِرِ، أَنْ تُعَجِّلَ فِي الْأَخْذِ بِهِ، وَأَنْ تَجْعَلَنَا مِمَّنْ
يُكْرَمُ مَعَهُ فِي رَجْعَتِهِ، وَيَنْتَصِرُ لَهُ، وَيَنْتَقِمُ مِنْ قَاتِلِيهِ، وَأَنْ تَجْزِيَهُ أَحْسَنَ جِزَاءِ
الصَّابِرِينَ. وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(٤).

(١) جمل من أنساب الأشراف ص ٤١٨.

(٢) النحل ٩٦.

(٣) الكافي ج ٣ ص ٣٢٥

(٤) ليلة الجمعة، الليلة الثانية من محرم ١٤٤٥ هـ الموافق ٢٠ - ٧ - ٢٠٢٣ م.

١٨. عَجَائِبُ الْحُسَيْنِ.. يَدٌ تَقْبَلُ! وَاصْبِعُ يَقْطَعُ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ تَقْبِيلَ الْيَدِ عَادَةٌ عِنْدَ بَعْضِ الشُّعُوبِ، يُرِيدُونَ بِهَا التَّعْظِيمَ وَالتَّفْخِيمَ.

فبَعْضُهُمْ يَقْبَلُ يَدَ آبَوِيهِ، وَبَعْضُهُمْ يَدَ قَادَتِهِ وَسَادَتِهِ وَأَشْرَافِهِ.

أَمَّا عِنْدَنَا، فَقَدْ رَوَى عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يُقْبَلُ رَأْسُ أَحَدٍ وَلَا يَدُهُ إِلَّا يَدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مَنْ أُرِيدَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١).

وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى جَوَازِ أَوْ اسْتِحْبَابِ تَقْبِيلِ يَدِ الْهَاشِمِيِّ أَوْ الْعَالِمِ إِذَا أُرِيدَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَضَافَ بَعْضُهُمْ يَدَ الْوَالِدِينَ.

لَكِنَّ أَبْرَزَ مِصْدَاقٍ مِمَّنْ يُرَادُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُمْ أَوْصِيَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَعَنِ صَاحِبِ السَّابِرِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَنَاوَلْتُ يَدَهُ فَقَبَّلْتُهَا، فَقَالَ: أَمَّا إِنَّهَا لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلنَّبِيِّ أَوْ وَصِيِّ نَبِيٍّ ^(٢).

وَفِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، كَانَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ وَصِيُّ النَّبِيِّ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ ^(٣).

فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، لَوْ أَرَادَ أَحَدٌ تَعْظِيمَ الرَّسُولِ بِتَقْبِيلِ يَدِهِ، لَمَا عَدَا الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَسَارَعَ إِلَى تَقْبِيلِ يَدِهِ الشَّرِيفَةِ الطَّاهِرَةِ.

لَقَدْ أَدْرَكَ الْكَمَلَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الْمَعْنَى، حِينَمَا كَانَ جَمْعٌ مِنْ

(١) الكافي ج ٢ ص ١٨٥.

(٢) الكافي ج ٢ ص ١٨٥.

(٣) كامل الزيارات ص ٥٢.

الصحابة عند النبي ﷺ، فدخل الحسن والحسين عليهما، فقبلها رسول الله ﷺ.

إن لتقبيل الأولاد حسنة عند الله تعالى، فعن النبي ﷺ: مَنْ قَبَّلَ وَلَدَهُ كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ حَسَنَةً^(١).

وقد حثت الشريعة على تقبيل الأطفال، بل عدت من لا يقبل الأطفال قط من أهل النار! فالقبلة تكشف عن لين القلب، وعن الرحمة التي فيه، ومن كان مؤمناً كان لين القلب، وكان عطوفاً رؤوفاً.

لكن في تقبيل النبي ﷺ للحسين عليهما ما هو أبعد من ذلك، وهو ما كشفه فعل أبي ذر بعد تقبيل النبي ﷺ لهما.

ذاك حين: قَامَ أَبُو ذَرٍّ فَأَنكَبَّ عَلَيْهِمَا وَقَبَّلَ أَيْدِيَهُمَا!^(٢)

أبو ذر شخصية عظيمة الشأن في تاريخ الإسلام، فهو من الصحابة العظماء الذين مدحهم الصادق الأمين بما لم يمدح به غيرهم، يقوم ويقبل أيدي الحسن والحسين!

فأي موقف هو هذا؟! ومن ذا الذي يفهمه؟! ويعرف أبعاده؟!!

لقد استنكر سائر الصحابة الحاضرين على أبي ذر فعله! لكنهم أسرؤا له ذلك ولم يجهروا بقولهم أمام النبي ﷺ.

قالوا لأبي ذر سراً: أَنْتَ رَجُلٌ شَيْخٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، تَقُومُ إِلَيَّ

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٩.

(٢) كفاية الأثر ص ٧٠.

صَبِيَّيْنِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَتَنَكَّبَ عَلَيْهِمَا وَتَقَبَّلُ أَيْدِيَهُمَا؟! (١).

كان جوابه غريباً، قال لهم: لَوْ سَمِعْتُمْ مَا سَمِعْتُمْ فِيهِمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَفَعَلْتُمْ بِهِمَا أَكْثَرَ مِمَّا فَعَلْتُمْ!

هذا شيخٌ يُقْبَلُ يَدَ صَبِيَّيْنِ تَعْظِيماً لهما! ثُمَّ يَقُولُ أُمَّهُمَا يَسْتَحِقُّانِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ!

فما الذي قاله فيهما النبي ﷺ؟!؟

سألوه عن ذلك.. فأجابهم قائلاً:

سَمِعْتُهُ يَقُولُ لِعَلِيٍّ وَهَمًّا:

- يَا عَلِيُّ، وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ رَجُلًا صَلَّى وَصَامَ حَتَّى يَصِيرَ كَالشَّنِّ الْبَالِي إِذَا مَا نَفَعَ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ إِلَّا بِحُبِّكُمْ!

- يَا عَلِيُّ مَنْ تَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ بِحُبِّكُمْ فَحَقُّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرُدَّهُ!

- يَا عَلِيُّ مَنْ أَحَبَّكُمْ وَتَمَسَّكَ بِكُمْ فَقَدْ تَمَسَّكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى!

قال أبو ذر هذا ثُمَّ خَرَجَ، فَقَامَ الْقَوْمُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَسَأَلُوهُ عَمَّا سَمِعُوهُ مِنْ أَبِي ذَرٍّ، فَقَالَ ﷺ: صَدَقَ أَبُو ذَرٍّ، صَدَقَ!

وَاللَّهِ مَا أَظَلَّتِ الْخَضِرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الْغُبْرَاءُ عَلَى ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ!

ثُمَّ بَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُهُمْ بِالْمَزِيدِ مِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالْحُسَيْنِ مِنْهُمْ، فَهَمُّ الَّذِينَ خَلَقَهُمُ اللَّهُ نُورًا قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ بِأَلْفِ السَّنِينَ..

ظَلَّ النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ فَضَائِلِهِمْ، حَتَّى تَعَجَّبَ الْحَاضِرُونَ، وَقَالُوا: يَا

رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ قُلْتَ عَجَبًا!

فقال ﷺ: وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنْ قَوْمًا يَسْمَعُونَ مِنِّي هَذَا ثُمَّ يَرْجِعُونَ عَلَيَّ
أَعْقَابِهِمْ بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمُ اللَّهُ! وَيُؤْذُونَنِي فِيهِمْ! لَا أَنَاهُمُ اللَّهُ شَفَاعَتِي^(١).
ههنا يتوقف المؤمن ليقارن بين فئتين من الناس:

الفئة الأولى: أعداء الحسين عليه السلام

هم قومٌ سمعوا النبيَّ يحثُّ على تعظيم الحسين ﷺ، ويُحذِّرُ من أذيته،
ويدعو على من آذاه بالحرمان من الشفاعة.

سمعوه من لسانه ﷺ، لكنهم ما فعلوا كما فعل أبو ذر.

ما قبلوا يدَّ الحسين وما عظموه! بل غدوا عليه فقاتلوه!

ثمَّ امتدَّت أيديهم الخبيثة إلى يد سيد الشهداء.. لا لتمسكها وتقبَّلها! بل
لتقطع إصبعاً شريفاً منها!

فإنا لله وإنا إليه راجعون.

لقد روي أنه: أَخَذَ خَاتَمَهُ بَجَدَلِ بْنِ سُلَيْمِ الْكَلْبِيِّ، وَقَطَعَ إِصْبَعَهُ ﷺ مَعَ
الْخَاتَمِ!!^(٢).

فلا حول ولا قوة إلا بالله.

هي فئة تقطع إصبع الحسين من يده بدلاً من تعظيم اليد المباركة وتقبيلها

(١) كفاية الأثر ص ٧٣.

(٢) اللهوف ص ١٣٠.

وتجليلها..

هي فئَةٌ تَذْبَحُ الْحُسَيْنَ كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ مَظْلُومًا! بدلًا من الذَّبِّ والدَّفَاعِ
عنه!

هي فئَةٌ تَطَأُ صَدْرَ الْحُسَيْنِ الطَّاهِرِ بِخِيُولِهَا! وهو الصِّدْرُ الَّذِي لَطَمًا ضَمَّهُ
الرَّسُولُ ﷺ.

هي فئَةٌ تَسْتَحِقُّ أَنْ يَدْعُوَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَأَنْ يَنْتَقِمَ مِنْهَا الْإِمَامُ الْمُنْتَظَرُ
ﷺ، وَالْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كَرَّتِهِ.. وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.. قَبْلَ أَنْ تَصِلِيَ نَارًا سَجَّرَهَا
الْجَبَّارُ لِعُضْبِهِ.

الفئة الثانية: أحباب الحسين عليه السلام

هُم قَوْمٌ فَقَهُوا قَوْلَ أَبِي ذَرٍّ فِي الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لَوْ سَمِعْتُمْ مَا سَمِعْتُمْ فِيهِمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَفَعَلْتُمْ بِهِمَا أَكْثَرَ مِمَّا فَعَلْتُمْ!
وَفَقَهُوا مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَبَّلُوا كُلَّ شِبْرٍ فِي ضَرْبِ الْحُسَيْنِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا عَجَزُوا عَنْ تَقْبِيلِ يَدِهِ الْمُبَارَكَةِ..

وَقَبَّلُوا كُلَّ بَابٍ وَجِدَارٍ وَأَرْضٍ وَفِرَاشٍ جَاوَرَ ضَرْبَهُ الْمُبَارَكِ.

هُم قَوْمٌ تَبَرَّكُوا بِكُلِّ طَعَامٍ يُبَدَّلُ فِي مَجَالِسِهِ، لَمَّا اعْتَقَدُوا مِنْ عَظِيمِ فَضْلِهِ عِنْدَ
اللَّهِ تَعَالَى.

هُم قَوْمٌ تَوَجَّهُوا إِلَى اللَّهِ بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِأَنَّهُمْ صَدَّقُوا قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

له ولأبيه وأخيه: يَا عَلِيُّ مَنْ تَوَسَّلَ إِلَيَّ اللَّهُ بِحُبِّكُمْ فَحَقُّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرُدَّهُ! (١).
 هم القوم الذين سألت الدماء من رؤوسهم في عاشورائه مواساةً له،
 وتعظيماً لشأنه، وتأكيذاً على الوقوف إلى جانبه لو وفَّقهم الله ليكرّوا معه في
 رجعتة.

اللهم اجعلنا من هؤلاء، وثبتنا على ولايته ما أحييتنا.
 اللهم إنك تعلم أننا نحبُّ تعظيم وليِّك، وتجليله والذَّب عنه.. بأنفسنا
 وأرواحنا وكلِّ ما نملك.
 اللهم اجعلنا ممن توفَّقهم لذلك.. وإنا لله وإنا إليه راجعون (٢).

(١) كفاية الأثر ص ٧١.

(٢) ليلة الأحد، الحادي عشر من شهر محرم الحرام ١٤٤٥ هـ الموافق ٢٩-٧-٢٠٢٣ م.

١٩. اختبار النبي.. بقتل الحسين.. وأهل بيته!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَعْفَى نَبِيِّكُمْ أَنْ يَلْقَى مِنْ أُمَّتِهِ مَا لَقِيَتِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ أُمَّهَاتِهِمْ،
وَجَعَلَ ذَلِكَ عَلَيْنَا!

هذه كلمة عظيمة خطيرة رواها ثقة الإسلام الكليني رحمه الله بسند صحيح
عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام (١).

وعند التأمل في هذا الحديث تنقدح تساؤلات جمّة منها:

- هل هذه العبارة من عالم الحقيقة أم المجاز؟!

- هل ينفي هذا كلّ ما وقع على النبي صلى الله عليه وآله من ابتلاءات ومحن؟!

- كيف بلغ النبي صلى الله عليه وآله ما بلغ إذا كان قد أعفي من الامتحانات التي

امتحن بها غيره من الأنبياء؟!

- ما الفضل له صلى الله عليه وآله إن كان الامتحان قد وقع على غيره؟!

يتّضح الجواب عند بيان أمور:

أولها: النبي أشدّ الناس بلاءً

لقد ورد عنه صلى الله عليه وآله عندما سئل عن أشدّ الناس بلاءً قوله: النَّبِيُّونَ، ثُمَّ

الْأَمْتَلُ فَالْأَمْتَلُ، وَيُبْتَلَى الْمُؤْمِنُ بَعْدَ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِهِ^(١).

وهو صلوات ربي وسلامه عليه سيدّ النبيين وأمثلهم وأفضلهم وخيرهم وأكثرهم إيماناً، فلا ريب في أنّه أشدّهم بلاءً.

فَرَفَعُ شَيْءٌ مِنَ الْبَلَاءِ عَنْهُ لَا يَعْنِي رَفْعُ كُلِّ بَلَاءٍ، وَيَبْقَى مَا وَقَعَ عَلَيْهِ ﷺ أَكْبَرُ مَا وَقَعَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد لهجت آيات الكتاب الكريم ببعض ما أودى به ﷺ، وتواتر نقله في كتب المسلمين جميعاً، فكم ناله من قريش وغيرها، بعدما وصّفوه تارةً أنّه شاعرٌ مجنون، وتارةً أنّه ساحرٌ كذاب، وسخروا منه واستهزؤوا به واتّهموه وهدّدوه، وآذوه وأرادوا قتله مراراً، حتى قال ﷺ: مَا أُودِيَ نَبِيٌّ مِثْلَ مَا أُودِيَ^(٢).

وقد وصف أمير السّائبة ما تجرّعه النبي ﷺ من غُصَصٍ بقوله:

وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاصٌّ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلِّ غَمْرَةٍ وَتَجْرَعٍ فِيهِ كُلُّ غُصَّةٍ، وَقَدْ تَلَوْنَ لَهُ الْأَدْنُونَ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصُونَ، وَخَلَعَتْ [عَلَيْهِ] إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعْتَتَهَا، وَصَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بَطُونٌ رَوَّاحِلَهَا^(٣).

ثانيها: أنّ البلاء على أنواع

فليس البلاء والأذى وما يلقاه النبيُّ أو المؤمن على منوالٍ واحد:

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٥٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب عليه السلام ج ٣ ص ٢٤٧.

(٣) نهج البلاغة ص ٣٠٧.

- فَمِنْهُ جَسَدِيُّ وَمِنْهُ نَفْسِيُّ .
 - وَمِنْهُ مَا يَقَعُ عَلَى الشَّخْصِ وَمِنْهُ مَا يَقَعُ عَلَى مَنْ يَلُوذُ بِهِ وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ .
 - وَمِنْهُ مَا يَقَعُ جَهْرًا وَمِنْهُ مَا يَقَعُ سِرًّا .
- وهكذا تتنوع ألوانه وتتغير صورته، وقد وقع على النبي ﷺ من كل هذا وغيره الشيء الكثير .

ومفاد الحديث الشريف عن الصادق عليه السلام :

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَعْفَى نَبِيِّكُمْ أَنْ يَلْقَى مِنْ أُمَّتِهِ مَا لَقِيَتِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ أُمَّهَاتِهِمْ،
وَجَعَلَ ذَلِكَ عَلَيْنَا :

أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفَعَ بَعْضَ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ أَنْ تَقَعَ عَلَى (شَخْصِ النَّبِيِّ ﷺ) وَجَعَلَهَا (عَلَيْهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ) .

فإذا ضُمَّ إلى هذه المقدمة أن علياً عليه السلام (نفس النبي ﷺ) كما دلت عليه آية المباهلة، ثبت أن الله تعالى لم يرفع بعض هذه البلاءات عن النبي مطلقاً، إنما رفع مَصَبَّهَا من أن تقع على شخصه الشريف وجعلها على شخصهم عليه السلام .

ثالثها: أن ما وقع هو أشد أنواع البلاء

فهذا اللون من البلاء أعظم من البلاء الذي يقع على الشخص نفسه، ولذا ترى أن من لا يقهر مَهْمَا ضُرِبَ وَعُوقِبَ وَحُرِمَ فِي مَرَاكِزِ الْاِعْتِقَالِ قَدْ يَنْكَسِرُ سَرِيعاً إِذَا مَا هُدِدَ بِأَهْلِهِ وَعِيَالِهِ وَخَافَ عَلَيْهِمْ حَقًّا، وَهُوَ مَا يَعْتَمِدُهُ شَيْطَانِ الْعَصْرِ وَكُلَّ عَصْرِ فِي السَّجُونِ، عِنْدَمَا يَخْرُقُونَ مَوَازِينَ الْإِنْسَانِيَةِ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى السَّجِينِ

بأحب الناس إليه.

لقد روينا عن الزهراء عليها السلام قولها للأَنْصار لما ظَلِمَتْ وسُلبَ حقُّها: أَمَا كَانَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَبِي يَقُولُ: الْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ؟^(١).

فإنَّ إكرام المرء وحفظه في ولده أعظم أثراً من إكرامه بنفسه، كما أن أذيتَه في ولده أشدُّ عليه من أذيتَه في نفسه من جهتين:

الأولى: أن أذيتَه في ولده تعني أذيتَه هو، وأذية ولده، وهي أذية مضاعفة.

الثانية: أن أذيتَه في ولده أشدُّ على قلبه، فإنَّ الإنسان يتحمَّل الأذى ليدفعه عمَّن يحبُّ، ولكن لو وقع الأذى على من يحبُّ ولم يتمكن من دفعه لتأذى بها يفوق وقوع الأذى عليه بنفسه.

وقد أوضح صلى الله عليه وآله بلفظٍ جليٍّ صريحٍ لا لبس فيه أن من يؤذيه ليس من يؤذي شخصه حصراً، بل من يؤذي علياً وأهل بيته، فقال صلى الله عليه وآله: أَوَتَظُنُّ يَا بُرَيْدَةُ أَنَّهُ لَا يُؤْذِينِي إِلَّا مَنْ قَصَدَ ذَاتَ نَفْسِي؟

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَأَنَّ مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي [وَمَنْ آذَانِي] فَقَدْ آذَى اللَّهَ^(٢).

ولعلَّ لهذا نَبَهَ النبيَّ صلى الله عليه وآله مراراً على أن أذيتَه عترته الطاهرة هي أذيتَه له على نحو الحقيقة، وذكر ذلك مراراً وتكراراً بصيغٍ شتى، فقال في أهل بيته عموماً وخصوصاً:

(١) الاحتجاج ج ١ ص ١٠٣.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ١٣٧.

- إِيْتَهُمْ أَهْلُ بَيْتِي فَمَنْ آذَاهُمْ آذَانِي وَمَنْ ظَلَمَهُمْ ظَلَمَنِي (١).
- وقال فيهم: يُؤذِينِي مَا يُؤذِيهِمْ (٢).
- وقال في البضعة الطاهرة عَلَيْهَا السَّلَامُ: إِنَّ فَاطِمَةَ شَجَنَةٌ مِنِّي يُؤذِينِي مَا آذَاهَا (٣).
- وقال فيها: فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُؤذِينِي مَا يُؤذِيهَا (٤).
- وغيرها الكثير..

رابعها: أن الله اختبر نبيّه في أهل بيته

إنَّ الله تعالى عالمٌ بكلِّ شيءٍ، لكنه أبقى أن يُجري الأمور إلا بأسبابها، فاختبر تعالى الأنبياء والأولياء مع علمه بنجاحهم وفلاحهم وكمالهم، وكان اختبار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نفسه، وفي أهل بيته، وهو أشدُّ أنواع الاختبار، فنال ونالوا بهذا أعظم الجزاء.

لقد روي أنه لما أسري برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السماء قيل له إن الله تبارك وتعالى (يُخْتَبِرُكَ فِي ثَلَاثٍ لِيَنْظُرَ كَيْفَ صَبْرُكَ)، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَسْلَمْتُ لِأَمْرِكَ يَا رَبِّ، وَلَا قُوَّةَ لِي عَلَى الصَّبْرِ إِلَّا بِكَ.

كان الجوع والأثرة والشدائد والمصاعب والتكذيب والخوف ومحاربة أهل الكفر والصبر على الأذى والألم في الحرب والجراح هي أول وثاني اختبارات الله

(١) الأمايلي للصدوق ص ٦٥.

(٢) كتاب سليم ج ٢ ص ٦٤٦.

(٣) معاني الأخبار ص ٣٠٣.

(٤) كشف اليقين ص ٣٥١.

تعالى لنبية ﷺ، وكلها اختبارات في نفسه الشريفة، ورضي بها النبي ﷺ وسلّم أمره فيها لله.

أما ثالث الاختبارات فكان عجباً..

وَأَمَّا الثَّالِثَةُ: فَمَا يَلْقَى أَهْلُ بَيْتِكَ مِنْ بَعْدِكَ مِنَ الْقَتْلِ!!

لقد تعدّى اختبار الله تعالى لنبية ما يجري على شخصه الشريف، إلى ما يجري على أهل بيته عليه السلام، خير الخلق بعده ﷺ، وأقرب الناس لله تعالى وأحبهم إلى قلبه الشريف.

فكان في ذلك زيادة امتحانٍ وابتلاء على قلب الحبيب المصطفى ﷺ.

لقد ذكر الخبرُ ظلمَ عليٍّ وقتله، وظلم الزهراء وغصبها حقها وضربها وطرحها ما في بطنها وموتها من ذلك الضرب، وطعن الحسن وقتله غدراً، كل هذا والنبي ﷺ يقول: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، قَبِلْتُ يَا رَبِّ وَسَلَّمْتُ!
أما الحسين: فَتَدْعُوهُ أُمَّتُكَ لِلْجِهَادِ ثُمَّ يَقْتُلُونَهُ صَبْرًا، وَيَقْتُلُونَ وُلْدَهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَسْلُبُونَ حَرَمَهُ.. وَيَكُونُ قَتْلُهُ حُجَّةً عَلَى مَنْ بَيْنَ قُطْرَيْهَا، فَيَبْكِيهِ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِينَ جَزَعًا عَلَيْهِ، وَتَبْكِيهِ مَلَائِكَةٌ لَمْ يُدْرِكُوا نُصْرَتَهُ.

النبي ﷺ يقول: قَدْ سَلَّمْتُ وَقَبِلْتُ وَرَضِيْتُ!^(١).

ما أعظم هذه الأسرة الطاهرة المباركة!

يُمْتَحَنُ خَيْرُ الْخَلْقِ فِيهَا بِقَتْلِ أَهْلِ بَيْتِهِ فَيَقُولُ لِرَبِّهِ: وَلَيْسَ شَيْءٌ لَأَعْطَيْتَنِي

(١) كامل الزيارات ص ٣٣٢-٣٣٣.

النَّصْرَ فِيهِمْ عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيْهِمْ، وَقَدْ سَلَّمْتُ وَقَبِلْتُ وَرَضِيْتُ!
 سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أَمْرَهُ لِلَّهِ وَقَبِلَ بِامْتِحَانِ اللَّهِ تَعَالَى، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ مَا أَعْطَاهُ فِي
 نَفْسِهِ وَفِي أَهْلِ بَيْتِهِ، فَصَارَتْ جَنَّةُ الْمَأْوَى لَهُمْ نُزُلًا، وَصَارَ الْحَوْضُ لِأَوْلِيَائِهِمْ،
 وَيُحْرَمُ مِنْهُ أَعْدَاؤُهُمْ، وَصَارَتِ النَّارُ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ
 مِنْ مَوَدَّتِهِمْ!

أما الحسنان: لهما من الكرامةِ سوى ذلكِ مما لا يخطرُ على قلبِ بشرٍ لما أصابهما
 من البلاءِ! (١).

كرامتهما كمنزلتهما، لا تخطر على قلب بشر!
 لا يحيط أحدهما بكنه حقيقتهم، ولا يدرك إلا اليسير من فضائلهم.
 ورغم عظمة مصائبهم كلها، إلا أن: يَوْمَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَكْبَرُ مُصِيبَةٍ مِنْ
 جَمِيعِ سَائِرِ الْأَيَّامِ! (٢).

لقد كان ذهابه كذهاب أهل الكساء جميعاً، فقدت الأرض هؤلاء الخمسة
 بفقد الحسين عليه السلام، حتى قال له الإمام الحسن عليه السلام: لَا يَوْمَ كَيَوْمِكَ يَا أَبَا عَبْدِ
 اللَّهِ (٣).

في ليلة شهادة الرسول ﷺ، يُعزِّي بعضنا بعضاً به ﷺ، وبالمصائب
 العظام التي نزلت عليه ﷺ..

(١) كامل الزيارات ص ٣٣٤.

(٢) علل الشرائع ج ١ ص ٢٢٦.

(٣) الأمايلي للصدوق ص ١١٦.

من ثمّ نقول: لا يوم كيومك يا أبا عبد الله!
 لقد كان في مصيبتك امتحانٌ للنبيِّ ﷺ، ولأملك الزهراء وأبيك أمير
 المؤمنين وأخيك الحسن عليهم السلام جميعاً.
 لقد أوجعت مصيبتك قلوبهم جميعاً فازدادت عظمتها، وما أعظمها من
 مصيبة.

لقد كان امتحانٌ جدك بك عظيماً يا أبا عبد الله، وأعظم ما وقع على قلبه هو
 ما وقع عليكم يا آل الله.
 فصار أشدّ النبيّن بلاء، لما ابتلي في نفسه، ولما ابتلي بكم، فصبرتم كما صبر.
 اللهم اجعلنا من الصابرين على مصابهم، واختم لنا بحبهم وولائتهم
 وشفاعتهم.

اللهم لا تجعلنا من الخلق المتعوس الذين ابتليتهم بقتل حبيبك الحسين
 فسقطوا في امتحانك، واجعلنا ممن يسير في ركبه مع الآخذ بثارته، وليك الحجة
 المنتظر، وعجل فرجه وسهل مخرجه. وإنا لله وإنا إليه راجعون^(١).

(١) ليلة شهادة الرسول ﷺ ٢٨ صفر ١٤٤٢ هـ الموافق ١٥-١٠-٢٠٢٠ م.

الفصل الخامس: عاشوره العزله والأحزان

٢٠. لماذا يبكي الشيعة الحسين؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عبد الله الحسين بن عليّ عليه السلام:

أنا قَتِيلُ العَبْرَةِ، لَا يَذْكُرُنِي مُؤْمِنٌ إِلَّا اسْتَعْبَرَ^(١).

الإمام المعصوم، سيّد شباب أهل الجنة، يُحدّث عن نفسه قبل أن يستشهد. هو مظلومٌ، ولكنّه ما قال أنّه قَتِيلُ الظُّلَامَةِ.

هو شهيدٌ الهدى، ولكنّه ما قال أنّه قَتِيلُ الهدى.. بل قال: أنا قَتِيلُ العَبْرَةِ!
(العَبْرَةُ) هي (الدَّمْعَةُ)، وَعَبْرَةُ الدَّمْعِ: جَرِيه، واسْتَعْبَرَ: جَرَتِ عَبْرَتُهُ.

هُوَ قَتِيلُ الدَّمْعَةِ إِذَا! فَمَنْ ذَا الَّذِي بَكَاهُ حَتَّى صَارَ قَتِيلَ العَبْرَةِ؟!

لقد ورد عنهم عليه السلام أنّه قد: بَكَتَهُ السَّاءُ وَمَنْ فِيهَا! وَالْأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا!
وَمَا يَطَّأُ لَابْتِيهَا!^(٢).

لكنّ الحديثَ حَصَّ الْمُؤْمِنِينَ بالبكاء فقال: لَا يَذْكُرُنِي مُؤْمِنٌ إِلَّا اسْتَعْبَرَ!

فلماذا يبكي المؤمنون الحسين عليه السلام؟ ولماذا تجري عبرتهم عليه؟

هل يكونه لنيل الثواب؟! وغفران الذنوب؟! والنفع وجني الثمار؟!

أم يكونه حبّاً له ورحمةً به وشفقةً عليه؟!

(١) الأماي للصدوق ص ١٣٧.

(٢) مصباح التهجد ج ٢ ص ٨٢٦.

يعلم المؤمنون أنَّ للبكاء آثاراً عجيبة، لكنَّهم لا يبكون لأجلها، فمَن قال
أثمَّ يبكون لِعَرَضٍ يطلبونه؟!
إنَّ البكاء أثرٌ لعاطفةٍ جيَّاشةٍ، بحيث تدمع عينُ المحبِّ بعدما يعتصر قلبه
الماءُ، وقلوبُ المؤمنين تنكسرُ عند ذكر الحسين عليه السلام، والله تعالى عند المنكسرةِ
قلوبهم.

ههنا يقول قائل:

لماذا تبكون وتعصون؟! لماذا تبكون ومجتمعكم متخلف جاهل؟!
فيُجيبُ مؤمنٌ:

نعصي لأننا لا نعرفُ الحسين حقاً، ونجهلُ ولا تستقيمُ أمورنا لأننا لم نعطي
آل محمد حقَّهم كما يستحقونه.

ظننتم أننا نبكي الحسين لتعلّم منه؟!!

لا والله.. إنا وإن كنّا نتعلّمُ منه كل يومٍ وليلةٍ كيف نحيا بعزّةٍ وكرامةٍ..
لكننا نبكيه لأن الله تعالى زرعَ في قلوبنا حبةً وليَّها له.

هل يُفكّرُ العاقلُ بفائدة البكاء عند فقد الأُحبة؟! أم تَسيلُ عيناهُ عطفاً
وشفقةً ورحمةً لهم؟!!

ومَن أحبُّ إلى قلب المؤمن من الحسين عليه السلام وآل الحسين؟!!

هذا الإمام زين العابدين عليه السلام يتحدّثُ عن حال الإمام الحسين عليه السلام لما برز
ابنه عليٌّ للميدان: فلما برز إليهم دَمَعَتْ عَيْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فقال: اللهم كُنْ أَنْتَ

الشَّهِيدَ عَلَيْهِمْ، فَقَدْ بَرَزَ إِلَيْهِمْ ابْنُ رَسُولِكَ، وَأَشْبَهُ النَّاسِ وَجْهًا وَسَمْتًا بِهِ^(١).
فسالت دموع الحسين عليه السلام رحمةً بولده وحبًّا له، وسالت دموع الشيعة حبًّا
للحسين عليه السلام ورحمةً له.

يوم الحسين أقرح جفوننا.. وأسبل دموعنا!

يقول الإمام الرضا عليه السلام: إِنَّ يَوْمَ الْحُسَيْنِ أَقْرَحَ جُفُونَنَا! وَأَسْبَلَ دُمُوعَنَا!^(٢).
ههنا تحاّرُ العقول!
يعودُ الباحثُ الى كُتُبِ اللغة لينظر في هذه الكلمات ومعانيها، فيجد أن
الجفنَ معروفٌ واضحٌ، وهو غطاءُ العين من أعلى وأسفل.
أما القرْحُ، فهو الجُرْحُ من أثر السِّلَاحِ، أو ألمُ الجِراحِ، أو الأثرُ من الجرح أو
من غيره، كما يُقال: ما زلت أكل الورق حتى أقرح شفتيَّ.
وأسبَلَ المطرُ والدمعُ، إذا هطل^(٣).
فما الذي جرى مع آل محمد عليهم السلام؟! والإمام لا يتحدث عن نفسه فقط، بل
(عنهم) عليهم السلام.

لقد هَطَلَتْ دموعهم لأجل الحسين عليه السلام، فتتابعت قطراتها وسالت، لكن
إلى أيِّ حدٍّ؟

(١) الأماي للصدوق ص ١٦٢.

(٢) الأماي للصدوق ١٢٧.

(٣) كتاب العين ج ٣ ص ٤٣، والمحيط في اللغة ج ٢ ص ٣٤٤، ومعجم مقاييس اللغة ج ٥ ص ٨٢،
وأساس البلاغة ص ٥٠٠.

إلى حَدِّ أَنْ أَجْفَانَ آلَ مُحَمَّدٍ قَدْ تَفَرَّحَتْ!
 فَهَلْ أَصَابَ أَجْفَانَهُمْ مَا يُشْبِهُ الْجِرَاحَ مِنْ كَثْرَةِ الدَّمْعِ عَلَى الْحُسَيْنِ؟! هَلْ
 تَشَقَّقَتْ مِنَ الدَّمُوعِ كَمَا يَتَشَقَّقُ الْجِلْدُ مِنْ أَثَرِ السِّيفِ؟!
 أَمْ كَانَتْ عَيُونُهُمْ تَتَأَلَّمُ مِنْ أَثَرِ الْبِكَاءِ كَمَا تَتَأَلَّمُ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْحُسَيْنِ؟!
 الْعِبَارَةُ تَحْتَمِلُ كُلَّ ذَلِكَ، وَاللَّهُ الْعَالِمُ بِحَالِ تِلْكَ الْأُسْرَةِ الشَّرِيفَةِ وَعَيُونِهَا
 الطَّاهِرَةِ، وَمَا تَحَمَّلَتْ وَعَانَتْ، مِمَّا جَرَى عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

البكاءُ رحمةً للحسين!

لا يبكي الشيعةُ الحسينَ إِذَا لُتُغْفَرَ ذُنُوبُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ تُغْفَرُ بِذَلِكَ، وَهَلْ بَكَاهُ
 الرَّسُولُ لُتُغْفَرَ ذُنُوبُهُ وَهُوَ الْمَعْصُومُ الْمُطَهَّرُ؟!
 وَلَا يَبْكِيهِ الشِّيْعَةُ لِتَعَلَّمُوا مِنْ مَدْرَسَتِهِ وَيَتَطَوَّرُوا وَإِنْ تَعَلَّمُوا مِنْهَا وَارْتَقُوا،
 وَهَلْ بَكَاهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَانِ لِأَجْلِ ذَلِكَ؟!
 لَقَدْ دَعَا الْإِمَامَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْعَيُونِ الَّتِي جَرَتْ دُمُوعُهَا عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكِنَّ سَبَبَ جِرْيَانِ الدَّمُوعِ فِي دَعَائِهِ مَا كَانَ شَيْئاً سِوَى الرَّحْمَةِ لِأَنَّ مُحَمَّدَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَارْحَمِ تِلْكَ الْأَعْيُنَ الَّتِي جَرَتْ دُمُوعُهَا رَحْمَةً لَنَا! وَارْحَمِ تِلْكَ
 الْقُلُوبَ الَّتِي جَزَعَتْ وَاحْتَرَقَتْ لَنَا!^(١)
 هِيَ قُلُوبٌ عُمِجَتْ عَلَى حَبِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، فَجَزَعَتْ وَاحْتَرَقَتْ لَهُمْ، وَأَخَذَ
 هَذَا الْجَزْعَ بِيَدِ أَصْحَابِهَا إِلَى طَرِيقِ اللَّهِ.

(١) كامل الزيارات ص ١١٧.

كيف لا ونور الإمام في قلوب المؤمنين: **أَنُورُ مِنَ الشَّمْسِ المُضِيئَةِ بِالنَّهَارِ**^(١).
 لقد طلبَ الإمامَ العسكريَّ **عَلَيْهِ السَّلَامُ** من الله تعالى أن يصلي على الباكين على
 الحسين، وما كان بكاؤهم الا (رحمةً وشفقةً) له **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، يقول الإمام: **أَلَا وَصَلَّى اللهُ**
عَلَى البَاكِيْنَ عَلَى الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ **عَلَيْهِ السَّلَامُ رَحْمَةً وَشَفَقَةً**^(٢).

فأبي ثناء استحقَّه هؤلاء لبكائهم رحمةً على الحسين؟! وأي رحمة من الله
 تنزل عليهم بذلك؟!

على أن معنى الرَّحْمَةِ والشَّفَقَةِ يستبطن الحِرصَ على المصلحة، والرِّقَّةَ
 والعطف والمحبة للمُشْفَقِ عليه، والخوف على ما ينزل به^(٣).

فمن شارك في قتل الحسين **عَلَيْهِ السَّلَامُ**، أو رضي بذلك وسكت عنه.. ثم بكاه..
 لم يكن بكاؤه رحمةً وشفقةً.. وقد كان شريكاً في دمه!

دموع الباكين وماء الحياة!

عن الإمام العسكري **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: **إِنَّ اللهَ لِيَأْمُرُ المَلَائِكَةَ المُقَرَّبِينَ أَنْ يَتَلَقَّوْا دُمُوعَهُمْ**
المُضْبُوبَةَ لِقَتْلِ الحُسَيْنِ **عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الخُرَّانِ فِي الجَنَانِ، فَيَمْرُجُونَهَا بِمَاءِ الحَيَوَانِ، فَيَزِيدُ فِي**
عُدُوبَتِهَا وَطِيْبَهَا أَلْفَ ضِعْفِهَا!^(٤).

(١) الكافي ج ١ ص ١٩٤.

(٢) تفسير الإمام العسكري **عَلَيْهِ السَّلَامُ** ص ٣٦٩.

(٣) كتاب العين ج ٥ ص ٤٤، ومعجم مقاييس اللغة ج ٣ ص ١٩٧، ومفردات ألفاظ القرآن
 ص ٤٥٨، والصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية ج ٥ ص ١٩٢٩.

(٤) تفسير الإمام العسكري **عَلَيْهِ السَّلَامُ** ص ٣٦٩.

لقد اختار الله تعالى آل محمدٍ والنبیین والملائكة المقربين وفضلهم على غيرهم لعلمه بأنهم: لَا يُوَاقِعُونَ مَا يَخْرُجُونَ بِهِ عَنْ وِلَايَتِهِ^(١).

وهؤلاء الملائكة هم الصفوة والنخبة، وهم الذين يتلقون دموع الشيعة التي تبكي الحسين عليه السلام!

إِنَّ الدَّمْعَ يَسْقُطُ فِي الظَّاهِرِ عَلَى خُدُودِ الْبَاكِينَ أَوَّلًا ثُمَّ يَتَنَاسَرُ.

لكنَّ الملائكة المقربين يتلقون الدُّمُوعَ ويذهبون بها الى خزان الجنان، فيمزجونها بماء الحياة، والله يعلم ما هو، فتصيرُ دمُوعُ الباكين عذبةً طيبةً بعدما كانت مالحة!

ماذا يفعلُ بها الملائكة بعد ذلك؟! عِلْمُ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، لَكِنَّ مَا نَعْلَمُهُ هُوَ أَنَّ هَذِهِ الدَّمُوعَ هِيَ الَّتِي قَالَ عَنْهَا الْإِمَامُ عليه السلام:

وَمَا بَكَى أَحَدٌ رَحْمَةً لَنَا وَمَا لَقِينَا إِلَّا رَحْمَةَ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ الدَّمْعَةُ مِنْ عَيْنِهِ، فَإِذَا سَالَتْ دُمُوعُهُ عَلَى خَدِّهِ، فَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْ دُمُوعِهِ سَقَطَتْ فِي جَهَنَّمَ لَأَطْفَأَتْ حَرَّهَا حَتَّى لَا يُوجَدَ لَهَا حَرٌّ!^(٢).

أَيُّ مَعَادِلَةٍ هَذِهِ لِقَطْرَاتٍ سَالَتْ عَلَى الْحُسَيْنِ الشَّهِيدِ؟!

وَمَنْ ذَا يُدْرِكُ أَبْعَادَ ذَلِكَ وَعَظَمَتَهُ؟!

لَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عليه السلام: أَيُّهَا مُؤْمِنٍ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى تَسِيلَ عَلَى

(١) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٧٠.

(٢) كامل الزيارات ص ١٠٢.

خَدَّهُ فِينَا لِأَدَى مَسَّنَا مِنْ عَدُوِّنَا فِي الدُّنْيَا بَوَّأَهُ اللهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ مُبَوَّأً صِدْقٍ^(١).
 هكذا صارَ الحُسينُ قَتيلَ العَبْرَةِ! يبكيه المؤمنونَ أَسَى ورحمةً وشفقةً عليه،
 وحبًّا به ﷺ، فيجزئهم ربُّهم ثواباً عظيماً، ويجعل يومهم في القيامة يومَ فرحٍ
 وسرور، ويقرَّ أعينهم بذلك.
 اللهم اجعلنا منهم، وعظَّم أجورنا بمصابنا بسيدِّ الشهداء، واحشرنا معه
 بحق دموع الباكين عليه. وإنا لله وإنا إليه راجعون^(٢).

(١) كامل الزيارات ص ١٠٠.

(٢) الأحد سادس محرم ١٤٤٣ هـ الموافق ١٥ - ٨ - ٢٠٢١ م.

٢١. دُمُوعٌ.. فِي الطُّفُوفِ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عاشوراء.. هو يومٌ أبكى العيون.. قَبْلَ حُلُولِهِ!

لَسْنَا نَتَحَدَّثُ هُنَا عَنْ بَكَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ، وَمَلَائِكَةِ اللَّهِ الْمُقَرَّبِينَ عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ، وَإِنْ بَكَوهُ قَبْلَ وِلَادَتِهِ! بَلْ نَعْنِي سَاعَةَ وِلَادَةِ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامِ.

سَاعَةٌ يَدْخُلُ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَضْعَتِهِ الطَّاهِرَةِ لِيَهْنَتْهَا بِهِ، فَلَا يَكْتَفِي بِالتَّهْنِئَةِ.. بَلْ يَعْقِبُهَا بِالتَّعْزِيَةِ!

تَقُولُ الرَّوَايَةُ: فَبَكَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١).

مُذْ ذَاكَ.. صَارَتْ أَفْرَاحُ آلِ مُحَمَّدٍ مَمْرُوجَةً بِالبُكَاءِ وَالدُّمُوعِ! مَقْرُونَةً بِالحُزْنِ

وَالْأَلْمِ!

مُذْ نَزَلَ جِبْرَائِيلُ يَهْنِئُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ يُعْزِيهِ! وَمَعَهُ الْمَلَائِكَةُ

الرُّوحَانِيُونَ!

مُذْ ذَاكَ.. لَمْ يَعُدْ بِمَقْدُورِنَا أَنْ نَحْصِيَ الْمَرَّاتِ الَّتِي هَطَلَتْ فِيهَا الدُّمُوعُ عَلَى

الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ، قَبْلَ يَوْمِ عَاشُورَاءِ.. وَفِيهِ.. وَبَعْدَهُ!

لَطَالَمَا بَكَاهُ النَّبِيُّ وَأَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ طِيلَةَ حَيَاتِهِ، وَبَكَاهُ الْآلُ الْأَطْهَارُ، ثُمَّ جَاءَ

دَوْرُهُ عَلَيْهِ السَّلَامِ بِالبُكَاءِ! فِي يَوْمِ عَاشُورَاءِ! فَبَكَى أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ!

يَكْفِي بِكَأْوِهِ عَلَى الرُّضِيعِ عِنْدَمَا كَانَ يَتَلَطَّطُ عَطْشًا، فَقَالَ لِلْقَوْمِ: يَا قَوْمِ، إِنْ

(١) كَمَالُ الدِّينِ ج ١ ص ٢٨٤.

لم ترحموني فارحموا هذا الطفل! فرماه رجلٌ منهم بسهمٍ فذبحه، فجعل الحسين يبكي ويقول: «اللهم احكم بيننا وبين قومٍ دعونا لينصرونا فقتلونا»^(١).

لكنَّ بكاءه على الأكبر كان أعجب، فلئن كان بكى الرضيعَ بعد ذبحه، فقد بكى على عليِّ الأكبر قبل شهادته.. مُدْبِرٌ لِلْقَوْمِ!

لَمَّا بَرَزَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ إِلَيْهِمْ أَرْخَى الْحُسَيْنُ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامَهُ عَيْنَيْهِ فَبَكَى، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ كُنْ أَنْتَ الشَّهِيدَ عَلَيْهِمْ، فَقَدْ بَرَزَ إِلَيْهِمْ غَلَامٌ أَشْبَهُ الْخَلْقِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٢).

هل بكى الحسينُ ولده عليًّا لحبه إياه فقط؟! أم لشباهته بالنبيِّ أيضاً؟! أم أن الحسينَ كان يبكي النبيَّ ﷺ؟! وما فعلت أُمَّتُهُ بعترته من بعده.. أم يبكي لكلِّ ذلك وغيره؟! هذا ما يعلمه الله تعالى.

لقد كان الحسينُ يبكي أولاده.. وكان الأولاد يبكون حُسيناً!

فهما الفتیان الجابريَّان قد أتيا حُسيناً وهما يبكيان، ولما سألهما عن بكائهما قالا: جَعَلَنَا اللَّهُ فِدَاكَ! لَا وَاللَّهِ مَا عَلَى أَنْفُسِنَا نَبْكِى، وَلَكِنَّا نَبْكِى عَلَيْكَ!! نَرَاكَ قَدْ أُحِيطَ بِكَ وَلَا نَقْدِرُ عَلَى أَنْ نَمْنَعَكَ!^(٣)

أيُّ فتیانٍ هؤلاء الذين لا يبكون على أنفسهم! بل على إمامهم! فتیانٌ يصيبهم الوجدُ على سيد الشهداء قبل شهادته! ويفدونَه بأنفسهم،

(١) تذكرة الخواص ج ٢ ص ١٦٤.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٧٧.

(٣) وقعة الطف ص ٢٣٤.

فِيَجْزِيهِمْ خَيْرًا. ثُمَّ يَبْكِي الْحُسَيْنَ مَرَارًا وَتَكَرَّرًا..

لَقَدْ بَكَى بَكَاءً شَدِيدًا لَمَّا: اقْتَطَعُوا الْعَبَّاسَ عَنْهُ، وَأَخَاطُوا بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى قَتَلُوهُ قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ، فَبَكَى الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَتْلِهِ بَكَاءً شَدِيدًا^(١).

كانت دموع الحسين أطهر دموع تعرفها أرض كربلاء يوم عاشوراء..

قَابَلَتْهَا دُمُوعٌ خَبِيثَةٌ قَدْرَةٌ.. إِنْ صَحَّ نَزْوُهَا!

تِلْكَ دُمُوعُ أَعْدَائِهِ! وَقَتْلَتِيهِ!

فقد روي أن زينب خاطبت ابن سعد قائلة: يا عمر، أَيْقَتَلُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ

وَأَنْتَ تَنْظُرُ؟! فَبَكَى! وَانصرف بوجهه عنها!^(٢).

كانت هذه الدُّمُوعُ الرُّخِيصَةُ دُمُوعَ مَنْ شَرِكَ فِي قَتْلِ الْحُسَيْنِ! وَقَدْ نَزَلَتْ

قَبْلَ قَتْلِهِ!

كان هذا الباكي اللعين قادراً على الذَّبِّ عن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ! لَكِنَّهُ كَانَ شَرِيكًا

وَمُشَارِكًا فِي قَتْلِهِ!

يا لها من دموع خبيثة قَدْرَةٌ.. لا يدانيها في السُّوء والقبح إلا دموع يزيد عليه

لعائن الله.. إِنْ صَحَّ نَزْوُهَا أَيْضًا.

دموعٌ أراد منها يزيد أن يبرئ نفسه، أو أراد من نسبها له تبرئته، وهو أخبث

خلق الله.

فلقد روي أن قائلهم أخبر يزيد بما فعلوا في كربلاء، قائلاً عن شهداء العترة

(١) اللهوف ص ١١٨.

(٢) جمل من أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤٠٩.

الطاهرة: فأتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مطرحةً مجردة! وخدودهم معفرة! ومناخرهم مرملة! تسفي عليهم الريح ذيولها!..

قال: فدمعت عينا يزيد. وقال: كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين!! وقال: كذلك عاقبة البغي والعقوق!^(١).

لقد أراد هؤلاء الخبثاء تبرئة يزيد، لكنهم نقلوا في النص نفسه أنه نسب للحسين عليه السلام البغي والعقوق! ثم نقلوا بأنفسهم أنه: قال بالخيزرانة بين شفتي الحسين!! وأنشأ يقول:

يفلقن هاماً من رجالٍ أعرّة * * * علينا وهم كانوا أعقّ وأظلمًا!
ما كان يزيدُ بريئاً كما زعموا.. فهو الذي أرسل إلى الوليد بن عتبة: أما بعد،
فخذ الحسين بن علي و... أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصة، فمن أبي عليك منهم
فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه!^(٢).

ثم أرسل إليه كتاباً آخر.. قال فيه: وليكن مع جوابك إليّ رأس الحسين بن علي! فإن فعلت ذلك فقد جعلتُ لك أعنة الخيل، ولك عندي الجائزة والحظّ الأوفر^(٣).

لذلك يُميّزُ المؤمنُ الكيسُّ:

١. بين دموعٍ إن سالت فعلاً كانت دموعاً خبيثةً شيطانيةً قدرةً.

(١) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٨٦.

(٢) الفتوح لابن اعثم ج ٥ ص ١٠.

(٣) الفتوح لابن اعثم ج ٥ ص ١٨.

٢. وبين دموعٍ يُسِيلُهَا اللهُ تَعَالَى مِنْ عَيُونِ أَحْبَابِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
نعم، الله تعالى هو الذي يُسِيلُهَا.

أَلَا يَقُولُ الْمُؤْمِنُ عِنْدَ وَدَاعِ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَبْكَى عَلَيْكَ
عَيْنِي أَنْ يَجْعَلَ سَنَدًا لِي^(١).

فإِبْكَاءُ الْعَيْنِ كَانَ بِتَوْفِيقٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ فَاضِلِ
طِينَةِ الْأَطْهَارِ، لَعَلَّمَهُ بِحُبِّهِمْ لَهُمْ، وَطَاعَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ، وَهُوَ الَّذِي وَفَّقَهُمْ لِهَذِهِ
الدَّمْعَةِ.

فَلَيْسَ بِكَاءِ الْمُؤْمِنِ كِبْكَاءِ الْخُبْنَاءِ، بَلْ هُوَ بِكَاءِ الرَّحْمَةِ وَالْمُودَةِ، الَّذِي يَكْشِفُ
عَنْ عَمِيقِ مَعْرِفَةٍ بِالْإِمَامِ، وَاسْتِعْدَادٍ لَوْ قَايْتَهُ بِالنَّفْسِ.
يَقُولُ الْمُؤْمِنُ فِي زِيَارَةِ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ:

السَّلَامُ عَلَيْكَ، سَلَامَ الْعَارِفِ بِحُرْمَتِكَ، الْمُخْلِصِ فِي وَلَايَتِكَ، الْمُتَقَرِّبِ إِلَى
اللَّهِ بِمَحَبَّتِكَ، الْبَرِيِّ مِنْ أَعْدَائِكَ، سَلَامٌ مِنْ قَلْبِهِ بِمُصَابِكِ مَقْرُوحٍ، وَدَمْعُهُ عِنْدَ
ذِكْرِكَ مَسْفُوحٌ، سَلَامٌ الْمَفْجُوعِ الْمَحْزُونِ، الْوَالِيهِ الْمُسْتَكِينِ.
سَلَامٌ مَنْ لَوْ كَانَ مَعَكَ بِالطُّفُوفِ لَوْ قَاكَ بِنَفْسِهِ حَدَّ السُّيُوفِ، وَبَدَّلَ
حُشَاشَتَهُ دُونَكَ لِلْحُتُوفِ^(٢).

وهكذا يتقرَّح قلبُ المؤمن، وتسيلُ دموعُه في كلِّ عامٍ على الحسين، كما
سالت دموع الأئمة الأطهار دهرًا طويلاً.

(١) كامل الزيارات ص ٢٥٤.

(٢) المزار الكبير لابن المشهدي ص ٥٠٠.

فهذا السجاد عليه السلام: بَكَى عَلَى أَبِيهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، صَائِمًا نَهَارَهُ وَقَائِمًا لَيْلَهُ! فَاذًا
حَضَرَ الْإِفْطَارُ جَاءَ عَلَامُهُ بِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ..

لكنه ما كان يتهنأ بالطعام والشراب، بل كان:

يَبْكِي حَتَّى يَبْتَلَّ طَعَامُهُ مِنْ دُمُوعِهِ! ثُمَّ يُمَزِّجُ شَرَابَهُ بِدُمُوعِهِ! فَلَمْ يَزَلْ
كَذَلِكَ حَتَّى لِحَقِّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ^(١).

ما أعجب حال السجاد وبكاءه العجيب.

بكاء سمعه مواليه مراراً.. وهذا أحدهم.. الذي لطالما رأى: لِحِيَّتَهُ وَوَجْهَهُ

قَدْ غُمِرَا بِالْمَاءِ مِنْ دُمُوعِ عَيْنَيْهِ!

أشفق هذا المولى على إمامه، فخاطبه قائلاً: أَمَا آنَ لِحُزْنِكَ أَنْ يَنْقُضِيَ؟!

وَلِبُكَائِكَ أَنْ يَقِلَّ؟!

قال عليه السلام: وَيُحْكُ، إِنَّ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ كَانَ نَبِيًّا ابْنَ نَبِيٍّ، لَهُ
اثنَا عَشَرَ ابْنًا، فَغَيَّبَ اللَّهُ وَاحِدًا مِنْهُمْ فَشَابَ رَأْسُهُ مِنَ الْحُزْنِ! وَاحْدُودَبَ ظَهْرُهُ
مِنَ الْغَمِّ، وَذَهَبَ بَصَرُهُ مِنَ الْبُكَاءِ! وَابْنُهُ حَيٌّ فِي دَارِ الدُّنْيَا.

وَأَنَا رَأَيْتُ أَبِي وَأَخِي وَسَبْعَةَ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي صَرَعى مَقْتُولِينَ!

فَكَيْفَ يَنْقُضِي حُزْنِي وَيَقِلُّ بُكَائِي؟! ^(٢).

ما انقضى حُزْنُ السَّجَادِ أَبَدًا، وهو الذي عَايَنَ الْوَأَقِعةَ، ورَأَى مَا لَمْ نَرِ.

ما انقضى كذلك حزن الأئمة حتى آخر حياتهم، إذ كان أحدهم كلَّمَا ذَكَرَ

(١) اللهوف ص ٢٠٩.

(٢) اللهوف ص ٢١٠.

الحسين بكى، وكلما شمَّ تربته بكى، وكلما أنشدوه شعراً فيه بكى.
وما انقضى حُزن الشيعة، ولا جفَّت دموعهم على يوم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.
وكيف ينقضي الحُزنُ على يوم مات فيه الحسين، ومات معه فيه أمه! وأبوه
وأخوه وجدُّه! فهو البقية الباقية منهم.

أما قالت زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ للحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ليلة عاشوراء: الْيَوْمَ مَاتَتْ أُمِّي فَاطِمَةُ!
وَأَبِي عَالِيٍّ وَأَخِي الْحَسَنُ! يَا خَلِيفَةَ الْمَاضِي وَثَمَالَ الْبَاقِي ^(١).
إنَّهَا أيام الدموع الغزيرة، والبكاء الطويل، يشترك فيه المؤمنون مع ملائكة
السَّاء.

يقول الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَدْ طَالَ بُكَاءُ النِّسَاءِ، وَبُكَاءُ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ، وَمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ! ^(٢).

لقد كان إمامنا الصادق إذا ذكر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبكاء أمه فاطمة عليه، لا
يقدر على الكلام من البكاء! ^(٣).

ولقد كان الملائكة يشغلون عن التسييح عند بكائهم على الحسين!
فلقد كان بكاء فاطمة يبكي أهل السماوات! كما عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
يَا بُنَيَّةُ قَدْ أَبْكَيْتِ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَشَغَلَتْهُمُ عَنِ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ! ^(٤).

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٩٣.

(٢) كامل الزيارات ص ٨٢.

(٣) كامل الزيارات ص ٨٣.

(٤) كامل الزيارات ص ٨٧.

فلا عجبَ أن يشتغل المؤمنون بالبكاء في عاشوراء!
 لا عجب أن يُحَصِّصُوا وقتاً كلَّ يوم تُسَدَّرُ فيه الدُّموع..
 لا عجب أن تطول أيام البكاء والنَّحيب..
 إنّما العجبُ كلُّ العجب أن لا يُبْكِي الحُسَيْنُ في أيامه، وأن لا تُذكر ظلامته،
 وأن لا يُجَيَّا ذكره!
 العجبُ كلُّ العجب من الإعراض عن ظلامته.. ونهجه.. وهدايته.
 العجبُ كلُّ العجب ممَّن يزعم أن قلبه مع الحسين، ويده ليست معه!
 أجازنا الله منهم، وجعلنا من أهل البكاء والعزاء عليه، وعجل في فرج وليه
 المنتقم له. وإنا لله وإنا إليه راجعون^(١).

(١) ليلة الأحد، الليلة الرابعة من محرم ١٤٤٥ هـ الموافق ٢٢ - ٧ - ٢٠٢٣ م.

٢٢. السَّجَادُ.. إِمَامُ الْأَحْزَانِ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّجَادُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ.. إِمَامٌ عَاشَ أَصْعَبَ الظُّرُوفِ وَالْآلَامِ وَالْمِحْنَ..
لَقَدْ قُدِّرَ لِلْعَبَّاسِ وَأَخُوتهِ، وَعَلِيِّ الْأَكْبَرِ وَسَائِرِ الْأَطْهَارِ فِي يَوْمِ الطُّفُوفِ، أَنْ
يُضْحُوا بِأَنْفُسِهِمْ بَيْنَ يَدَيْ إِمَامِهِمْ وَمَوْلَاهُمْ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَانَ فِي تَضَحِيَّتِهِمْ
سَلْوَةٌ لَهُمْ مِنْ جِهَةٍ، ثُمَّ انْقِضَاءٌ لِلْبَلَاءِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، حَتَّى سَقَاهُمُ الرَّسُولُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرْبَةً لَا يَظْمَؤُونَ بَعْدَهَا أَبَدًا.

لكن..

قُدِّرَ لِلسَّجَادِ أَنْ يَحْيَا وَيَعِيشَ كُلَّ آلَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيًّا، ثُمَّ يُعَايِنُ مَا جَرَى
عَلَيْهِ، دُونَ أَنْ يَفْدِيَهُ بِنَفْسِهِ، وَيَبْذُلُ دُونَهُ مَهْجَتَهُ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الدَّفَاعِ عَنْهُ، حَتَّى
قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَبِي وَأَخِي وَعَمِّي وَسَبْعَةَ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مَقْتُولِينَ حَوْلِي! فَكَيْفَ
يَنْقُضِي حُزْنِي؟! ^(١).

أِهْ لِقَلْبِكَ الْكَسِيرِ يَا زَيْنَ الْعُبَّادِ كَمْ تَحْمَلُ..

نَعَمْ لَقَدْ رَأَاهُمْ مَقْتُولِينَ حَوْلَهُ، لَكِنَّهُ رَأَى كَيْفَ كَانَ الذَّبْحُ أَيْضًا! فَقَالَ:
رَأَيْتُ أَبِي وَجَمَاعَةَ أَهْلِ بَيْتِي يُذْبَحُونَ حَوْلِي! ^(٢).

لَقَدْ رَأَى فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ عَجَبًا، ثُمَّ تَوَالَّتِ الْمَصَائِبُ، وَمِنْهَا مَا يَعْجِزُ الْعَقْلُ

(١) الخصال ج ٢ ص ٥١٩.

(٢) كامل الزيارات ص ١٠٧.

عن إدراك حقيقته.

هو القائل: أَنَا ابْنُ مَنْ انْتَهَكَ حَرِيمَهُ! وَسَلَبَ نَعِيمَهُ! وَأَنْتَهَبَ مَالَهُ! وَسَبِيَّ عِيَالَهُ! (١).

عندما تُرتكبُ بعبءِ جريمةٍ فظيعةٍ عظيمةٍ ينهدُّ لها رُكنُهُ يُكتفى بها رحمةً به، لكنَّ الإمامَ الذي انهدَّ رُكنُهُ بفقد حاملِ رايته قُتِلَ بعد أهل بيته، وهل هناك ما هو أسوأ من قتل إمام الإنس والجن!

لكن لم يُكتفِ بذلك، فليس القومُ ممن يتورَّعون عن انتهاك الحرمات ومَهَبِ الأموال، ثمَّ سبِّي العيال!

عِيالُ رسول الله ﷺ، مع إمام زمانهم زين العابدين عليه السلام، يُساقون أسرى من بلدٍ إلى بلد.

يرى السجَّادُ ذلك بل يعيشه، في معاناةٍ تعجز الأحرُفُ عن خطِّ حروفها ورسم حدودها، كما الأفكار عن إدراكِ فظاعتها!

كيف تحمَّلَ قلبُ هذا الإمام الرقيق الشفيق ما رأى؟! أيُّ عاطفةٍ يحملها هؤلاء الأَطهارَ يمكنها أن تحمِلَ ما جرى؟!!

أين يولي الإمامُ همَّه؟! نحو رأس الحسين عليه السلام على رأسِ رُمحٍ؟ أم نحوه في مجلس يزيد وهو يضرب ثناياه بمخصرته؟! فلا حول ولا قوة الا بالله.

أم يولي همَّه لنساء الحسين عليه السلام؟!!

إِنَّ يَزِيدَ لَعَنَهُ اللهُ أَمَرَ بِنِسَاءِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَحَبَسْنَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي

(١) مناقب آل أبي طالب عليه السلام ج ٤ ص ١١٥.

مَحْبَسٍ لَا يُكِنُّهُمْ مِنْ حَرٍّ وَلَا قَرٍّ حَتَّى تَقَشَّرَتْ وُجُوهُهُمْ^(١).

لَمْ يَكُنْ هَذَا الْحَبْسُ غَايَةً مَا يُرِيدُهُ اللَّعِينُ، وَلَا تَقَشَّرُ وَجُوهُ الْأَطْهَارِ هَدَفَهُ
وَمُنِيَّتَهُ، لَقَدْ أَرَادَ تَعْذِيبَهُمْ قَبْلَ قَتْلِهِمْ! وَلَقَدْ وَكَّلَ بِهِمْ مِنَ الْأَعَاجِمِ مَنْ لَا يَفْهَمُ
الْعَرَبِيَّةَ.

أَحَسَّ الْأَطْهَارُ بِأَنَّ يَزِيدَ يُرِيدُ قَتْلَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا جُعِلْنَا فِي هَذَا الْبَيْتِ
لِيَهْدَمَ عَلَيْنَا فَيَقْتُلَنَا فِيهِ!

لَكِنْ، كَانَ لِيَزِيدَ تَدْبِيرٌ آخَرَ، فَقَالَ الْحَرَسُ لِلسَّجَّادِ بَعْدَ أَنْ كَلَّمَهُمْ بَلِغْتَهُمْ:
قَدْ قَالُوا إِنَّكُمْ تَخْرُجُونَ غَدًا وَتُقْتَلُونَ!

حِينَهَا لَمْ يَكُنْ قَدْ بَقِيَ لَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِحَسَبِ مَا دَبَّرَ لَهُ يَزِيدُ سِوَى سِوَادِ
هَذِهِ اللَّيْلَةِ! الَّتِي تُذَكِّرُهُمْ بِلَيْلَةِ الْعَاشِرِ، حِينَ طَلَبَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ مِنَ الْقَوْمِ سِوَادَ
تِلْكَ اللَّيْلَةِ.

لَكِنْ، كَمَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُرَى الْحُسَيْنُ قَتِيلًا، فَأُذِنَ فِي قَتْلِهِ، وَلَمْ يَمْنَعْ أَعْدَاءَهُ
مِنْ ذَلِكَ.. شَاءَ أَنْ يِرَاهَنَّ سَبَايَا، فَأُذِنَ فِي سَبْيِهِمْ، دُونَ أَنْ يَأْذَنَ فِي قَتْلِهِمْ.

فَقَالَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِهَؤُلَاءِ الْحَرَسِ: كَلَّا، يَا بِيَّ اللَّهُ ذَلِكَ!^(٢).

وَهُوَ مَا كَانَ.. فَحَفِظَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الثَّلَاةَ لِتُكْمَلَ مَسِيرَةُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَلَقَدْ كَانَ السَّيْفُ سِلَاحًا فِي كَرْبَلَاءَ، إِلَى جَنْبِ الْكَلِمَةِ، وَالِدُّعَاءِ، وَالِدَّمْعَةِ.

فَأَكْمَلَ السَّجَّادُ الطَّرِيقَ بِكُلِّ هَذِهِ الْأَسْلِحَةِ، إِلَّا السَّيْفَ!

(١) الأُمَالِي لِلصَّدُوقِ ص ١٦٨.

(٢) دَلَائِلُ الْإِمَامَةِ ص ٢٠٠.

فمن كلماته ودُعائه ظَهَرَت صحيفته الشهيرة.

وَمِنْ دَمَعَتِهِ ظَهَرَ مَا جَعَلَهُ خَامِسَ الْبَكَائِينَ، شَرِيكًا لِأَدَمَ وَيَعْقُوبَ وَيُوسُفَ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَجَدَّتْهُ الزَّهْرَاءُ الْبَتُولُ عَالِيَةَ!

إِنَّمَا الدَّمْعَةُ الْمَتَفَجِّرَةُ الَّتِي لَا تُعْرَفُ قِيَمَتُهَا، أَوْ تُعْرَفُ وَتُنكَرُ!

يقول الصادق عَالِيَةَ: وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَبَكَى عَلَى الْحُسَيْنِ عَالِيَةَ عَشْرِينَ
سَنَةً (أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً)، وَمَا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَعَامٌ إِلَّا بَكَى!

الْحَصْرُ فِي حَدِيثِ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ عَالِيَةَ يَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ طَعَامٌ تَنَاوَلَهُ
الْإِمَامُ عَالِيَةَ وَلَمْ يَبْكْ قَبْلَهُ عَلَى أَبِيهِ الْحُسَيْنِ عَالِيَةَ! حَتَّى يَبْتَلَّ طَعَامُهُ مِنْ دُمُوعِهِ، ثُمَّ
يُمَزَّجُ شَرَابُهُ بِدُمُوعِهِ!

ليس هناك يومٌ طيلة هذه السنوات لم يبك فيه أباه وما جرى عليه، بل كان
يبكي مصرعاً (بني فاطمة) عَالِيَةَ!

حَتَّى قَالَ لَهُ مَوْلَى لَهُ: جَعَلْتُ فِدَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ
تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ!

قَالَ: إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِيَّ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.

إِنِّي لَمْ أَذْكَرْ مَصْرَعَ بَنِي فَاطِمَةَ إِلَّا حَنَقْتَنِي لِذَلِكَ عِبْرَةً^(١).

أَهْ لِعِلْمِكَ يَا زَيْنَ الْعَبَّادِ.. تَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُ فَتَخْنَقُ الْعِبْرَةَ لِذِكْرِهِمْ
وَمَا جَرَى عَلَيْهِمْ، وَالْيَوْمَ يُعَابُ عَلَى شِيعَتِكَ نَزْرُ يُسِيرٌ مِنَ الْبُكَاءِ! وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
مَا تَعْلَمُ! وَلَوْ عَلِمُوا لَبَكَوا كَمَا بَكَيتُ.. وَلَكِنْ أَنَّى لَهُمْ أَنْ يَبْلُغُوا مَا بَلَغَ الْإِمَامُ مِنْ

العِلم!

لقد لَازَمَ الحُزْنَ السَّجَادَ ﷺ كما لَازَمَهُ ذِكْرُ الحُسَيْنِ، فَجَعَلَ نَقْشَ خَاتَمِهِ:
شَقِيٍّ وَخَزِيٍّ قَاتِلُ الحُسَيْنِ^(١).

لقد انقلبت الدنيا بعد سيّد الشهداء، وتنغصت، وتجرع المعصومون فيها
غصصاً بعد أخرى، وازدادوا محنةً بعد أخرى وبلاءً بعد بلاء، حتى قال السجّاد
فيها قال:

يَفْرَحُ هَذَا الْوَرَى بِعِيدِهِمْ * * * وَنَحْنُ أَعْيَادُنَا مَا مَاتْنَا

وهل من عيدٍ مرَّ على الإمام لم يذكر فيه أباه وما جرى عليه؟! ولم تخنقه
العبرة وتنهمر دموعه؟! فأبى حُزْنٍ كان يعيشه (إمام الأحرار)؟!
لقد صارَ ﷺ بنفسه شعاراً للحُزن، فهذه زينب ﷺ: كُلَّمَا نَظَرْتُ إِلَى عَلِيِّ
بْنِ الحُسَيْنِ تَجَدَّدَ حُزْنُهَا، وَزَادَ وَجْدُهَا^(٢).

كلمةٌ نَعْبِزُ عَنْ فَهْمِهَا! أليس: مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ الرِّقَّةُ وَالْجَزَعُ؟!^(٣)، كما قال
السجّادُ عن عمّته زينب؟! فكيف صارت رؤيتها له سبباً لِتَجَدُّدِ الأحرار
و(ازدياد) الوجد؟!!

أبى مبلغٍ من الحُزن بلغه السجّادُ ﷺ؟!!

ذاك ما لا نفهمه، فإنّه يعلمُ من الله ما لا يعلمُ أحدٌ...

(١) دلائل الإمامة ص ١٩٣.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٩٨.

(٣) الإرشاد ج ٢ ص ٩٣.

وإنَّ ما جرى على أبيه إمام الكون يُفْتَتُّ الصَّخر.. فكيف بقلبه الشريف؟!
فما أعجَبَ حالَ هذا الإمامِ حيًّا وميتًا، ومما يثير العجب عند شهادته أنَّ ناقةً
عَرَفَتْ شيئاً من عظمته فبَكَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ! ولم يبكِه كثيرٌ من الإنس!

فلقد كان له ناقةٌ حجَّ عليها: عِشْرِينَ حِجَّةً فَمَا قَرَعَهَا بِسَوْطٍ^(١).

ولمَّا توفي: خَرَجَتْ حَتَّى أَتَتْ الْقُبْرَ فَضْرَبَتْ بِحِرَانِهَا وَرَعَتْ وَهَمَلَتْ عَيْنَاهَا!

فَرُدَّتْ إِلَى مَوْضِعِهَا، وما لبثت أن عادت إلى قبره وهملت عيناها مراراً!

كشَفَ السَّرَّ ابْنُ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُودَّعَةٌ! فَلَمْ تَلْبَثْ إِلَّا ثَلَاثَةً
حَتَّى نَفَقَتْ!^(٢)

لسانُ حالِ الناقة: لا خيرَ بعدك في الحياة! بل فعلها يكشفُ ذلك!

ولئن جهل قومٌ صالحٍ قدرَ ناعتهم، فلقد أوصى الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أن تُدْفَنَ نَاقَتُهُ:

لَيْلًا تَأْكُلُهَا السَّبَاعُ!^(٣)

هي ناقةٌ وقفت مع الإمام حججاً عدَّةً في موقف عرفة فجعلها الله تعالى من

نعم الجنة! وبارك بها وبنسلها! فأوصى الإمام أن تُدْفَنَ لحفظ جسدها من

السباع!^(٤)

لكن.. من للحسين بن عليٍّ كي يدفنه يوم الطفوف!

(١) الخصال ج ٢ ص ٥١٨.

(٢) بصائر الدرجات ج ١ ص ٤٨٣.

(٣) الخصال ج ٢ ص ٥١٨.

(٤) المحاسن ج ٢ ص ٦٣٦.

آه لقلبك يا زين العُباد..

تَهْتَمُّ لدفنِ نَاقَةٍ وَقفت سَبْعاً فِي عِرفَةٍ، فَصَارَت مِن نِعَمِ الْجَنَّةِ، لَكِنَّهُم مَنعوكَ
عَن دَفنِ أَبِيكَ! فَظَلَّ ثَلَاثاً حَتى أْتَيْتَهُ وَاعْتَنقْتَهُ! ثُمَّ أَنْزَلْتَهُ فِي لِحْدِهِ!
ذَاكَ حَيْثُ قُلْتَ: إِنَّ الدُّنْيَا بَعْدَكَ مَظْلَمَةٌ، وَالْآخِرَةُ بِنُورِكَ مَشْرُوقَةٌ، أَمَّا اللَّيْلُ
فَمُسَهَّدٌ! وَالْحُزْنُ سَرْمَدٌ!^(١)

نعم.. سَيَظَلُّ الْحُزْنُ سَرْمَدياً باقياً لا أمدَ له ولا انتهاءً، إلى يومِ الجُزاءِ.
فَسَلَامٌ اللهُ عَلَيْكَ يَا زَيْنَ الْعُبَادِ، وَعَلَى أَبِيكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ.
سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا إِمَامَ الْأَحْزَانِ بِمَا صَبَرْتَ وَرَضِيتَ.
وَإِنَّا اللهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(٢).

(١) مقتل الحسين ص ٣٣٧.

(٢) الثلاثاء ٢٤ محرم ١٤٤٤ هـ الموافق ٢٣ - ٨ - ٢٠٢٢ م.

٢٣. زينب.. وريثة الزهراء.. وناعية الحسين!

في ذكرى ارتحالها عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قَتَلَ الطَّغَاةَ حُسَيْنًا، فَتَجَبَّرُوا وَتَكَبَّرُوا، وَهَانَتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَعْصِيَةٍ، وَأَصْدَرَ
ابنُ زِيَادٍ أَمْرًا بِقَتْلِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام، لَمَّا بَرَّأَ الْإِمَامُ إِلَهَ السَّمَاوَاتِ مِنْ قَتْلِ أَبِيهِ
الْحُسَيْنِ عليه السلام!

استشاط اللعينُ غَضَبًا، انتصاراً لنفسه الدنيَّة، وأراد أن يُفجِعَ زينب عليها السلام
بابن أخيها كما أفجعها به عليها السلام.

استحضرت الحوراء عليها السلام موقف أمِّها الزَّهراء عليها السلام، حينما أراد القومُ قتلَ
عليٍّ عليه السلام، ولم يكن له ناصرٌ ولا مُعين، وكان لا بدَّ من حفظه لحفظ الإمامة، حينما
كادت تنشرُ شعرها، فتقلَّعت حيطان المسجد من أسفلها، وكاد الخسفُ أن يقع
بالمدينة، فأخذت الرعدةُ القوم، وأفرجوا عن عليٍّ عليه السلام (ثُمَّ أَخَذَتْ بِيَدِهِ فَأَنْطَلَقَتْ
بِهِ) ^(١).

والحوراء وريثة الزَّهراء: عالمةٌ غير معلَّمة، عارفةٌ بزمانها، وإمامة، وإمامها،
تنظر فترى السجَّاد عليه السلام دون معين.

لم تقدر الحوراء على الدَّفْعِ عن سيِّد الشهداء أمام جحافل الكفر والنفاق،
لكنَّها لم تعجز عن الوقوف إلى جانب ابن أخيها.

(١) الكافي ج ٨ ص ٢٣٨.

فَتَعَلَّقَتْ بِهِ زَيْنَبُ عَمَّتُهُ، وَقَالَتْ: يَا ابْنَ زِيَادٍ، حَسْبُكَ مِنْ دِمَائِنَا!
وَاعْتَنَقَتْهُ، وَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا أَفَارِقُهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَأَقْتُلْنِي مَعَهُ^(١).

أَيَقْنُ ابْنُ زِيَادٍ أَنَّهَا تُرِيدُ أَنْ تُقْتَلَ فِعْلاً لَوْ قُتِلَ الْإِمَامُ، وَتَعَجَّبَ مِنْ مَوْقِفِهَا
وَصَلَابَتِهِ، فَأَعْرَضَ عَنْ قَتْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَعَادَتِ الْحَوَارِيُّ التَّارِيخَ، فَحَفِظَتِ الْإِمَامَ
الْمَعْصُومَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا حَفِظَتْ أُمَّهَا أَبَاهَا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لَقَدْ كَانَتْ عَلَيْهَا السَّلَامُ تَفْذِي الْحُسَيْنِ بِنَفْسِهَا، لَكِنْ لَمْ يُقَدَّرْ أَنْ تَدْفِعَ عَنْهُ الْقَتْلَ،
كَانَتْ تَقُولُ بَعْدَمَا رَأَتْ الدَّمَاءَ تَسِيلُ مِنْ شَيْبَتِهِ الْمُبَارَكَةِ:

أَنَا الْفِدَاءُ لِمَنْ شَيْبَتُهُ تَقَطَّرُ بِالدَّمَا^(٢).

فَأَوْكَلَ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا حِفْظَ السَّجَادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الْإِمَامِ بْنِ الْإِمَامِ.

لَقَدْ بَلَغَتْ بِفِعْلِهَا هَذَا مَكَانَةً فَضَّلَتْ بِهَا عَلَى كُلِّ مَنْ سِوَاهَا، فَعَنِمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:
أَعْرَفَ النَّاسِ بِحُقُوقِ إِخْوَانِهِ، وَأَشَدَّهُمْ قَضَاءً لَهَا، أَعْظَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ شَأْنًا^(٣). فَلَمْ
يَكُنْ أَحَدٌ أَعْرَفَ مِنْهَا بِحَقِّ الْمَعْصُومِ، وَلَا أَشَدَّهُمْ قَضَاءً لِحَاجَتِهِ فِي الدَّفَاعِ عَنْهُ،
فَصَارَتْ أَعْظَمَ شَأْنًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ أَحَدٍ بَعْدَ الْأُئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ بَعْدَ تَفْضِيلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأُئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى مَنْ
سِوَاهُمْ، قَالَ تَعَالَى: وَأَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَهُمْ مَنْ أَعَانَهُمْ عَلَى حَقِّهِمْ^(٤).

(١) الإرشاد ج ٢ ص ١١٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ج ٤ ص ١١٣.

(٣) تفسير الإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ ص ٣٢٥.

(٤) تفسير الإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ ص ٤٣.

ولم يكن في ذلك الزّمن ولا سواه من أعانهم على حقّهم كما فعلت عليّ، بما لا يخفى على القاصي والداني، فصارت أفضلّ الناس بعدهم، فسلام الله عليها من عظمة لا يدرك شأنها.

زينب ناعية الحسين

ثمّ صارت ناعية الحسين عليه السلام، وهذه منزلة جليّة عظيمة يُحسّ الله تعالى بها أقرب خلقه إليه.

لقد صارت ناعية له عليه السلام من قبل شهادته، مُدّ سمعته يقول: (يا دهرُ أف لك من خليل)، فتكلّمت بكلماتٍ عجيبة: **وَإِثْكَلَاهُ! لَيْتَ الْمَوْتَ أَعْدَمَنِي الْحَيَاةَ! الْيَوْمَ مَاتَتْ أُمِّي فَاطِمَةُ وَأَبِي عَلِيٍّ وَأَخِي الْحَسَنُ**^(١).

هذه كلمات من تعرف حقيقة الإمام، فلا ترى للحياة معنىً دونه.

هي كلمات من ترى في أخيها أمّها وأبيها! وفي فقدانه فقدانهم جميعاً.. لقد كانت تتعزى به بعد فقد الأحبة الأطهار، والآن يُفتقد أهل الكساء جميعاً بفقد الحسين عليه السلام، وقد كان هذا الموقف قبل شهادته عليه السلام، أما بعدها، فقد خرجت النساء من الخيام إلى مصرع الحسين عليه السلام، وجعلت زينب تنعاه نعيّاً مُفجعاً، مخاطبةً جدّها صلوات الله عليه: **يَا مُحَمَّدَاهُ، صَلَّى عَلَيْكَ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ، هَذَا الْحُسَيْنُ مُرْمَلٌ بِالِدَّمَاءِ، مُقَطَّعُ الْأَعْضَاءِ.. هَذَا حُسَيْنٌ مُجْزُوزُ الرَّأْسِ مِنَ الْقَفَا**^(٢).

ثمّ أكملت نعيها لما وصلت المدينة، فأخذت بعضادتي باب مسجد الرسول

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٩٣.

(٢) اللهوف ص ١٣٣.

ونادت: يَا جَدَّاهُ، إِنِّي نَاعِيَةٌ إِلَيْكَ أَخِي الْحُسَيْنِ! (١).

الله أكبر ما أعظم هذا الموقف: زينبٌ على باب مسجد الرَّسول ﷺ، هو مسجدٌ لطالما أظهر الرَّسول ﷺ مكانة الحسين فيه وفي كلِّ مكان حلَّ فيه، أمّا اليوم فينعى الحسين عليه السلام إليه ﷺ على لسان الحوراء زينب عليها السلام.

الناعية: خَيْرُ أُخْتٍ لِحَيْرٍ أَخٍ.. عظيمةٌ من عظيّمات الدهر، يعجزُ الزمان أن يجود بمثلها: قِمَّةٌ في الكمال.. عِلْمٌ ومعرفةٌ وحِلْمٌ وطهارةٌ وإخلاصٌ وعَظَمَةٌ ومجدٌ وشرفٌ لا نظير له.

المنعيّ: الحسينُ بن عليٍّ عليه السلام، خليفة الله في أرضه وسماؤه، وحجته على عباده، يدُ الله الباسطة، وعينه التي لا تنام.

المنعيّ إليه: رسول الله ﷺ، أحبُّ الخلق إليه على الإطلاق، وأقربهم منه، وأرفعهم منزلة، وبابُ كلِّ خيرٍ يُرتجى للخلائق.

إنَّه موقفٌ يُقَطِّعُ نياط قلوب المؤمنين، الذين لم يشهدوا الواقعة، ولم يكونوا من الحسين كما كانت منه زينب.. فما حالُ الحوراء عليها السلام!؟

يعجزُ الإنسانُ عن إدراك ما كانت تُعانيه من آلام، حتى كانت: لَا تَجِفُّ لَهَا عَبْرَةٌ، وَلَا تَفْقُرُ مِنَ الْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ.

وَكُلَّمَا نَظَرَتْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ تَجَدَّدَ حُزْنُهَا وَزَادَ وَجْدُهَا (٢).

فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٩٨.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٩٨.

زينب أنموذج الكمال

إِنَّ لِلْكَمَالِ عِلْمَاتٍ يُعْرَفُ بِهَا، مِنْهَا مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ:
 إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ قَدْرًا الَّذِي لَا يَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِهِ خَطْرًا^(١).
 ومنها ما ورد: إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ
 وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَّهَهُ، مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادَهُ^(٢).
 ومنها: أَفْضَلُ النَّاسِ أَعْقَلُ النَّاسِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ الْعَقْلَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ..
 الْمَعْرِفَةَ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَحُسْنَ الطَّاعَةِ، وَحُسْنَ الصَّبْرِ^(٣).

وقد جمعت الحوراء كل هذه الخصال وسواها، فكانت أسطورة في الصبر
 على ما أصابها، بعدما شهدت من الفجائع يوم عاشوراء ما تنوء الجبال عن حمله.
 وكانت عارفة بإمام زمانها، ومعرفة إمام الزمان باب معرفة الله حقاً
 وصدقاً.

وكانت أطوع الناس لله تعالى وللإمام عليه السلام، وأعمل الناس بالحق، ولم تر
 للدنيا قيمةً فقدّمت نفسها في سبيل حفظ إمامها عليه السلام.

ولقد كشفت مواقفها عن بعض عظيماتها، فمن ذلك لما أراد ابن زياد إذلالها
 بقوله: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَحَكُمْ وَقَتَلَكُمْ وَأَكْذَبَ أُحْدُوثَكُمْ!

فَنَسَبَ الْأَطْهَارَ إِلَى الْبِدْعَةِ! وَقَتَلَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى! وقد هلكت الأمة بمثل

(١) الكافي ج ١ ص ١٩.

(٢) نهج البلاغة ص ١٨٢.

(٣) كنز الفوائد ج ١ ص ٥٦.

عقيدة الجبر هذه حيث تنسب قبائحها لله تعالى، وبإعراضها عن آل الرسول الأطهار. فما شغلها مُصائبها ومن معها عن تصويب العقيدة الحقّة، فقالت:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَطَهَّرَنَا مِنَ الرَّجْسِ تَطْهِيراً، وَإِنَّمَا يَفْتَضِحُ الْفَاسِقُ، وَيَكْذِبُ الْفَاجِرُ، وَهُوَ غَيْرُنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

فإن إكرام الله تعالى لهم بالنبي ﷺ وتطهيرهم من الرجس لا يتناسب مع قتل الله تعالى لهم، وإلا لم يكن حكيماً عادلاً.

لكن اللعين ما ارعوى، فعاد وقال: كَيْفَ رَأَيْتِ فَعَلَ اللهُ بِأَهْلِ بَيْتِكَ؟

ههنا يرى ابن زياد نفسه حاكماً، يأمر فيطاع أمره، لكن زينب المفجوعة لم تنكسر رغم الجراح والآلام، ولم يشغلها ما هي فيه عن أن تنقل ابن زياد من محكمة تكون يده العليا فيها بزعمه، إلى محكمة الله تعالى، حيث يقف خصيماً لآل محمد الأطهار، ويظهر كل حجته، فقالت: كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ فَبَرَزُوا إِلَيَّ مَضَاجِعِهِمْ، وَسَيَجْمَعُ اللهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَتَحَاجُّونَ إِلَيْهِ وَتَحْتَصِمُونَ عِنْدَهُ^(١).

أدرك اللعين بعدما سمع هذا الجواب أن ليس ينفعه في تلك الساعة شيء مما يتجبر به في هذه الدنيا، وأيقن بهوانه على الله تعالى، فاستشاط غضباً لما أسقط في يده. وأبانت ﷺ بكلماتها القصيرة هذه عن حقيقة الاعتقاد بالتوحيد والعدل، ونزّهت ساحة الربّ تعالى عن الظلم والعبث واللغو.

وأجلت وأوضحت عن عقيدة النبوة والإمامة، المقرونة بالطهارة والعصمة.

ثم ختمت بتثبيت المعاد.. حيث تُجزي كل نفسٍ بما كسبت.
 كلماتٌ قصيرةٌ من امرأةٍ مفجوعةٍ عَجَزَ عن جوابها الطاغية ابن زياد، وبان
 بها جلالَةُ قدرِها وعظيم شأنها عند ذوي الحجى.
 ثم زادَ يزيدُ بنُ معاوية عمًّا فعله ابن زياد، حينما صار يضربُ ثنايا الحسين
 ﷺ وهو يقول:

لعبت هاشم بالملك فلا * * * خبرٌ جاء ولا وحي نزل..

فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ما لبثت ﷺ أن رَدَّت الكَرَّة، وثنتت المقولة، مُذَكِّرةً بآيات القرآن الكريم،
 وقالت له: أَظَنَّتْ يَا يَزِيدُ حِينَ أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ.. أَنْ بِنَا مِنَ اللَّهِ هَوَانًا
 وَعَلَيْكَ مِنْهُ كَرَامَةٌ.. فَمَهْلًا مَهْلًا، لَا تَطِشْ جَهْلًا!

أَنَسِيَتْ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ يُمْلِي هُمْ خَيْرٌ
 لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي هُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(١).

فجعلت الصِّراعَ بين الإيمان والكُفر جَلِيًّا، وتمثلت القرآن الكريم، حين
 تَوَعَّدَ يزيد وأمثاله بالعذاب المُهين.

يُرِيدُ يَزِيدُ أَنْ يُهَيِّنَ آلَ مُحَمَّدٍ بِإِهَانَةِ الرَّأْسِ الشَّرِيفِ لِلْحُسَيْنِ ﷺ، لكنَّ
 نصيبه سيكون عذاباً مُهيناً.

ستأتي ساعةٌ لا ينفع فيها النَّدَم، أخبرت عنها ﷺ بقولها له:
 وَلَتَوَدُّ يَمِينُكَ كَمَا رَعِمْتَ شَلَّتْ بِكَ عَنْ مِرْفَقِهَا وَجُدَّتْ! وَأَحْبَبْتَ أُمَّكَ لَمْ

(١) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٠٨.

تَحْمِلُكَ، وَإِيَّاكَ لَمْ تَلِدْ. أَوْ حِينَ تَصِيرُ إِلَى سَخَطِ اللَّهِ وَمُخَاصِمِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ^(١).
 إِنَّ يَدًا تَتَجَرَّأُ عَلَى سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَقِيقٌ أَنْ تُجَذَّ قَبْلَ جَنَائِهَا.

ولكن.. لأنَّ الدُّنْيَا دَارُ امْتِحَانٍ، حُجِّي بَيْنَ يَزِيدٍ وَبَيْنَ مَا يَرِيدُ، لَكِنَّ شِدَّةَ
 الْجَزَاءِ وَصَعُوبَةَ الْعَذَابِ سَتَجْعَلُهُ شَدِيدَ النَّدَمِ، يُوَدُّ لَوْ أَنَّ أَحَدًا قَطَعَ لَهُ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ
 يَحْرُكَهَا تَجَاهَ الرَّأْسِ الشَّرِيفِ.

سَيَأْتِي يَوْمُ الْخِصُومَةِ، يَوْمَ يَنْتَصِرُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ، وَسَيَكُونُ
 الْخِصْمُ رَسُولُهُ الْمُصْطَفَى ﷺ، وَسَيُظْهِرُ لِمَنْ الْفَلَجُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.
 إِنَّهَا بَعْضُ مَوَاقِفِ زَيْنَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَمَزَ الْكَمَالَ وَالْعِظَمَةَ وَالْجَلَالَ، تُحَاكِي
 مَوَاقِفَ الْأُسْرَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَيْهَا.

إِنَّهَا سَيِّدَةٌ شَرِيفَةٌ جَلِيلَةٌ احْتَمَلَتْ أَعْظَمَ الْمَصَائِبِ، فَمَا هَانَتْ وَلَا ضَعُفَتْ
 وَلَا اسْتَكَانَتْ، وَلَا شَغَلَهَا الْمَصَابُ عَنْ أَنْ تَحْمِلَ أَعْظَمَ الْأَعْبَاءِ، وَتَقُومَ بِأَهْمِّ
 الْأَدْوَارِ، فَتَفُوقَتْ عَنْ كُلِّ مَنْ عَدَاهَا، وَبَلَغَتْ مِنَ الْعِلَاءِ أَرْفَعَهُ، وَمِنَ الشَّرَفِ
 أَعْظَمَهُ، فَسَلَامَ اللَّهُ عَلَيْهَا يَوْمَ وُلِدَتْ وَيَوْمَ تُوْفِيَتْ وَيَوْمَ تُبْعَثُ حَيَّةً.

السَّلَامُ عَلَى الْخَوْرَاءِ زَيْنَبَ فِي ذِكْرِ ارْتِحَالِهَا.. اللَّهُمَّ ارزُقْنَا فِي الدُّنْيَا زِيَارَتَهَا،
 وَفِي الْآخِرَةِ شِفَاعَتَهَا وَجَوَارَهَا.

السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيَّتُهَا الْعَظِيمَةُ، يَا وَرِثَةَ الزَّهْرَاءِ، مِنْ جِوَارِ سَمِيَّتِهَا
 الْمَعْصُومَةِ.. وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(٢).

(١) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٠٩.

(٢) الخميس ١٥ رجب ١٤٤٣ هـ الموافق ١٧ - ٢ - ٢٠٢٢ م.

٢٤. أربعون يوماً.. من البكاء!

بسم الله الرحمن الرحيم

ما قصّة الشيعة مع البكاء؟! ما بالهم يُجدّدونه عاماً بعد عام؟! وجيلاً بعدَ جيل؟!!

أما آنَ لحزّهم أن ينقضي؟! ألا يصيبهم التَّعبُ والنَّصبُ من كثرة البكاء؟! فعلامَ إحراقِ القلوب؟ وإسالة الدموع أنهاراً لا تنضب؟! أسئلةٌ قد يسمّعها المؤمنُ ممَّن لم يفقه حالة الحزن التي يعيشها.. ثمّ تتبّعها أخرى:

إذا كان الشيعة يكون إمامهم المظلوم المقتول في عشرة المحرّم، ويُظهرون من التفجّع الشيء الكثير، ويجعلون الأيام العشرة أيام بكاءٍ ومصيبةٍ، فما بالهم يجدّدون العزاء حتى الأربعين؟!!

وإذا كانوا يكون تسعاً من الأيام قبل يوم المصيبة العظمى، فما بالهم يتبعون ذلك بأربعين يوماً من الحزن، ثمّ تراهم في الأربعين كأنّهم في يوم عاشوراء؟!!

يثقلُ على المؤمن أن يجيبَ هؤلاء القوم وهو في حالة الانكسار، لكنّه يستعين بالله تعالى، ويتوكّل عليه، ويسطرُ كلمات لهم ولغيرهم، عسى أن يكون فيها لله رضا، ولبعض الخلق هداية ورشاد:

أولاً: من سنّ سنّة البكاء للأربعين؟

إنّ البكاء أربعين يوماً على الحسين عليه السلام هو سنّة إلهية، سنّها الله تعالى لكافة

خلقه، من سماءٍ وأرضٍ، وإنسٍ وجنٍّ، وملائكةٍ مطيعين!
 وكانَ لكلِّ أحدٍ مِنْ هؤُلاءِ بكاءٌ يتناسبُ وشأنه، كما التَّسْبِيحُ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ
 السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا
 تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(١).

قال الصادق عليه السلام:

يَا زُرَّارَةَ:

١. إِنَّ السَّمَاءَ بَكَتْ عَلَى الْحُسَيْنِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا بِالدَّمِ!
٢. وَإِنَّ الْأَرْضَ بَكَتْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا بِالسَّوَادِ!
٣. وَإِنَّ الشَّمْسَ بَكَتْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا بِالْكُصُوفِ وَالْحُمْرَةِ!
٤. وَإِنَّ الْجِبَالَ تَقَطَّعَتْ وَانْتَثَرَتْ!
٥. وَإِنَّ الْبِحَارَ تَفَجَّرَتْ!
٦. وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَكَتْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا عَلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام! ^(٢).

لقد كتَبَ اللهُ تعالى لمخلوقاته البكاءَ على سيِّدِ الشُّهداء، تفجُّعاً على مصيبيِّه
 لم تشهَدِ الأكوانُ لها مثيلاً، فإمام الوجود بأسره مقتولٌ ظلماً وعدواناً، وما قُتِلَ
 قَتْلَتُهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ! ^(٣).

فَمَنْ بَكَى الْحُسَيْنَ أَرْبَعِينَ يَوْماً بَعْدَ شَهَادَتِهِ، يَكُونُ قَدْ لَبَّى كَمَا لَبَّتِ السَّمَاءُ

(١) الإِسْرَاءُ ٤٤.

(٢) كامل الزيارات ص ٨١.

(٣) تفسير فرات الكوفي ص ١٧١.

والأرض والشمس والجبال والبحار والملائكة، فلا يُسبُّ لِبِدْعَةٍ، ولا يُلام على حرقةٍ لآزمت قلبه على إمامه، وظهّرت آثارها في عينه وبدنه.

ثانياً: لماذا تجديد العزاء في الأربعين؟!

هل يُجددُ المؤمنون الحزنَ في الأربعين فعلاً؟!

لا ينطقُ بهذا الكلام من كان عالماً بما جرى، فالشيعة لا يُجددون عزاءً في الأربعين، إذ أنّ ما جرى طيلة أربعين يوماً هو مصيبةٌ عظيمةٌ، وواقعةٌ أليمةٌ، وحادثَةٌ مُفجعةٌ! تستحقُّ أن يبكي فيها يوماً بعد يوم.

فمصائبُ الإمام ما انتهت في عاشوراء أبداً! لقد انتهت سِنِيهِ في الدُّنيا عندما شاء الله تعالى أن يراه قتيلاً، لكنَّ بلاءه وعذاباته ما انتهت بذلك!

إنَّ الأيامَ الأربعين هذه هي أَيَّامُ اشتياقِ الرأسِ الشريفِ للجسدِ الطاهر! هي أَيَّامُ استلابِ الرأسِ المُكرَّمِ عن البدنِ المقدَّسِ! هي أَيَّامُ الطَّوافِ برأسِ سيِّدِ الشُّهداءِ من بلدٍ إلى آخر! ومن محلٍّ إلى محلٍّ! ومن منزلٍ إلى منزلٍ!

هي أَيَّامُ تبدُّلِ أحوالِ الرأسِ الشريفِ: حين يُرْفَعُ تارةً على رأسِ رُمحٍ! ويوضعُ أخرى في طَشْتِ أُمَامٍ أَخْبَثَ خَلْقَ اللَّهِ! وَيُنْكُتُ ثَالِثَةً! وَيَصَلَبُ رَابِعَةً! فواويلاه! وامصيبته!

يقول الإمام السَّجَّادُ عليه السلام، ذو القلب العظيم الذي احتمل ما جرى، وكان شاهداً عليه:

إِنَّ اللَّهَ وَلَهُ الْحَمْدُ ابْتَلَانَا بِمَصَائِبِ جَلِيلَةٍ، وَتَلْمَةِ فِي الْإِسْلَامِ عَظِيمَةٍ:

١. قُتِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعِثْرَتُهُ.

٢. وَسَبِي نِسَاؤُهُ وَصَبِيَّتُهُ.

٣. وَدَارُوا بِرَأْسِهِ فِي الْبُلْدَانِ، مِنْ فَوْقِ عَامِلِ السَّنَانِ! وَهَذِهِ الرَّزِيَّةُ الَّتِي لَيْسَ مِثْلَهَا رَزِيَّةٌ^(١).

مصائبُ ثلاثة، القتلُ والسبي والدوران بالرأس المبارك، يهترُّ لكلِّ واحدةٍ منها عرشُ الرحمان، وتتفطرُّ لها القلوب!

يقول السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَيُّ فُؤَادٍ لَا يَحْزُنُ مِنْ أَجْلِهِ؟! أَمْ أَيَّةُ عَيْنٍ مِنْكُمْ تَحْسِبُ دَمْعَهَا وَتَضِنُّ عَنْ انْهَامِهَا؟! .. أَيُّ قَلْبٍ لَا يَنْصَدِعُ لِقَتْلِهِ؟! أَمْ أَيُّ فُؤَادٍ لَا يَحْنُ إِلَيْهِ؟!^(٢).

نعم لقد قُتِلَ سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ فِي الْعَاشِرِ، لَكِنَّ السَّبِيَّ وَالطَّوْفَ بِرَأْسِهِ بَدَأَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ!

يقول السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَيُّهَا النَّاسُ أَصْبَحْنَا مَطْرُودِينَ مُشَرَّدِينَ مَذُودِينَ! وَشَاسِعِينَ عَنِ الْأَمْصَارِ! كَأَنَّا أَوْلَادُ تُرْكٍ وَكَأَبَلٌ، مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ اجْتَرَمْنَاهُ، وَلَا مَكْرُوهٍ ارْتَكَبْنَاهُ!^(٣).

إِنَّ الشَّيْعَةَ لَا يَجِدُّونَ الْحُزْنَ فِي الْأَرْبَعِينَ، فَإِنَّهُ مَا فَارَقَهُمْ يَوْمًا وَهَذَا حَالُ رَأْسِ إِمَامِهِمْ! وَأَهْلِهِ وَبَنِيهِ! يُطَافُ بِهِمْ بَعْدَ تَشْرِيدِهِمْ!

(١) اللهوف ص ٢٠١.

(٢) اللهوف ص ٢٠١.

(٣) اللهوف ص ٢٠١.

ولكن.. يومَ قَدَّرَ للرأس أن يعود مع قافلة السَّببى إلى أرض الطفوف، كان ذلك في يوم الأربعين، فانفجر المؤمنون لهول ما جرى!

نعم يُجدِّدون العزاء بمعنى استذكار المصيبة العظمى.. يومَ قُطِعَ الرَّأْسُ الشريف، واليومَ يُعادُ إلى البدن الطاهر!

ينقل الشيخ ابن شهر آشوب عن السيد المرتضى رحمهما الله: أَنَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ رُدَّ إِلَى بَدَنِهِ بِكَرْبَلَاءَ مِنَ الشَّامِ وَضُمَّ إِلَيْهِ.

ثم يقول: قال الطوسي: ومنه زيارة الأربعين^(١).

وعلى ردِّ الرأس ودفنه مع الجسد الطاهر كلمة الشيعة قديماً وحديثاً^(٢).

إنَّ ههنا معنىً عظيماً.. إنَّ زيارة الأربعين صارت زيارة ردِّ الرأس الشريف، وإلحاقه بالبدن الطاهر.

ولكن..

كيف نحى السجَّادَ عَلَيْهِ السَّلَامُ شيئاً من تراب القبر حتى يدفن الرأس المبارك؟! وكيف ضمَّ الرأس إلى الجسد المقطوع؟! وكيف أهيل التُّرابُ عليه من جديد؟! ذاك ما لا نعرفه!

فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

(١) مناقب آل أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ ج ٤ ص ٧٧.

(٢) راجع اللهوف ص ١٩٥.

ثالثاً: ماتم الآل.. في الأربعين!

لقد اجتمعَ في يومِ الأربعين في كربلاء نساءُ الحسين وعياله، وجابر بن عبد الله الأنصاري ومن معه، وجماعة من بني هاشم، ورجالٌ من آل رسول الله ﷺ. وَرَدَ هؤلاء لزيارة قبر الحسين عليه السلام، ومرَّ موكب الإباء يحملُ الرؤوس، حتى دُفِنَتْ مع الأجساد.

لكن كيفَ كان اللقاءَ بينهم؟

فَوَافُوا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَتَلَقَّوْا بِالْبُكَاءِ وَالْحُزْنِ وَاللَّطْمِ!
وَأَقَامُوا الْمَاتِمَ الْمُقْرِحَةَ لِلْأَكْبَادِ!

وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمْ نِسَاءُ ذَلِكَ السَّوَادِ، فَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ أَيَّاماً^(١).

هيَ أَيَّامٌ ثَلَاثَةٌ، أو تَزِيدُ.. قضاها الأُلُّ في أشدِّ الماتم حُزناً على وجه البسيطة، قُرب قبور الأَطْيَابِ والأَحْبَابِ.

ليسَ مَنْ يَمْنَعُ النِّسَاءَ والأَطْفَالَ مِنْ تَعَاهُدِ القُبُورِ تلكَ السَّاعَاتِ! وهم أسوأُ المُؤْمِنِينَ اليَوْمِ.

نعم.. قد كانَ رأسُ الحسين عليه السلام يتعاهدُهم في الطريقِ ذهاباً وإياباً، لكنَّهُ ودَّعَهُم الآنَ وسكنَ في بقعته الطاهرة!
فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

رابعاً: راية الأربعين.. ودیعة للمؤمنين!

لقد أدت السماوات ومن فيها والأرض ومن عليها نصيبها من البكاء،
فبكت الحسين عليه السلام أربعين يوماً، حتى عاد الرأس إلى الجسد الشريف.
بكته هذه المخلوقات ورأسه فوق القنا! بكته والجسد الشريف مدفون بلا
رأس.

ولما أعيد الجسد إلى الرأس الشريف انقطع بكاؤها! وتوقف أنيها!
هل ترى هذه الجمادات أن المصاب قد انتهى بذلك؟
أم أنها قررت بأمر الله تعالى لحكمة؟!
أم أنها تريد أن تسلم الراية إلى أجيال من المؤمنين تأتي.. أجيال تبكي الحسين
عليه السلام عشراً.. ثم أربعين يوماً.. إلى يوم القيامة!
هم المؤمنون الذين صارت زيارة الأربعين علامة من علامات إيمانهم!^(١)
يتوارثونها جيلاً بعد جيل.
لقد علمهم أئمتهم زيارة الحسين في يوم الأربعين فحفظوا ذلك، وضحوا
بأرواحهم لأجلها.
وها هو الصادق عليه السلام يعلم أصحابه ما ينبغي أن يقولوا (في زيارة
الأربعين.. عند ارتفاع النهار).

(١) كما في الحديث عن الإمام العسكري عليه السلام: علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين،
وزيارة الأربعين، والتختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم (المزار
للمفيد ص ٥٣).

ففي الزيارة المعروفة عنه عليه السلام: السَّلَامُ عَلَى وَليِّ اللَّهِ وَحَبِيبِهِ.. السَّلَامُ عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الشَّهِيدِ، السَّلَامُ عَلَى أَسِيرِ الْكُرْبَاتِ، وَقَتِيلِ الْعَبْرَاتِ.. إلى آخر الزيارة^(١).

زيارةٌ تُلَخِّصُ كُلَّ مَا جَرَى: لقد استشهد الحسين عليه السلام في سبيل الله، لإنقاذ العباد من الضلالة والجهالة، وهذا يومُ الأربعاءِ علامةٌ فارقةٌ في هذه الطريق.. لقد صارَ علامةً تَعَجَّزُ الْأُمَّمُ عن الإتيانِ بِمِثْلِهَا أو مُجَارَاتِهَا، فضلاً عن طمسِهَا وتشويهِهَا.

إِنَّهَا جُزْءٌ مِنْ أَيَّامِ الْمَصَابِ الْعَظِيمِ.

وفيهما يظُلُّ الْمُؤْمِنُ يَرُدُّد: قَلْبِي لِقَلْبِكُمْ سَلَمٌ، وَأَمْرِي لِأَمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ، وَنُصْرَتِي لَكُمْ مُعَدَّةٌ، حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ لَكُمْ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لَا مَعَ عَدُوِّكُمْ..

عَجَّلَ اللَّهُ فَرَجَكُمْ يَا آلَ اللَّهِ، وَعَجَّلَ فَرَجَنَا بِفَرَجِكُمْ.

وإنا لله وإنا إليه راجعون^(٢).

(١) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ١١٣.

(٢) ليلة الأربعاء ١٤٤٤ هـ الموافق ١٧ - ٩ - ٢٠٢٢ م.

٢٥. قل موتوا بغيظِكُمْ.. في عاشوراء!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجالسُ العزاء.. تَرْفُ وَفُضُول!

مجالسُ العزاء.. جَهْلٌ وَتَخَلُّف!

١٤٠٠ عام من مجالس النوح والبكاء، ولا زلنا أُمَّةً متخلفةً جاهلةً متعصبةً

عاصيةً لله!

إذاً مفاعيل المجالس تساوي صِفراً! لذا كُفُّوا عن التمثيل! فالسِّتارةُ قد

أُسدلت!!

هكذا يَتَرْتَمُ بعضُ الجهلة في عاشوراء.

إنَّها أبواقُ الجهل وأنغامه، تُعزَفُ على إيقاعٍ من السُّخرية والتهمُّم على

المؤمنين جيلاً بعد جيل.

ولكنَّ لدى المؤمنين الكثير من الإجابات، يَبْشُرُونَ بِعَظَمَتِهَا، قبل أن يديروا

الأذن الصمَّاء لهؤلاء!

أولاً: هل لكم ثارٌ مع الحسين؟!

لماذا يُلقني بعضنا كلَّ مصيبةٍ فينا وفي مجتمعنا وأمَّتنا على عزاء الحسين

عائلاً؟!

وهل كان العزاء سببَ الجهل والنقص والتخلُّف؟! أم أنَّ التقصير فيه وفي

سائر الشعائر والطاعات هو سببُ المصائب؟!!

هَلْ لَنَا ثَارٌ مَعَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟! أَمْ أَنْ ثَارْنَا مَعَ أَعْدَائِهِ وَظَالِمِيهِ؟!!

لِمَاذَا لَا يَدْعُ أَصْحَابُ الْأَبْوَابِ مَاتِمِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَأْنَهَا؟!!

اتركوا مجالس العزاء والبكاء كما هي، ولا تُلقُوا زوراً كُلَّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ
وتقصيرٍ في المجتمع على هذه المآتم، فهي التي تغسل أدرانكم إن حضرتم فيها،
وتطهركم بعدما لوثتكم المعاصي.

إِنَّ مَجَالِسَ الْحُسَيْنِ تُزَكِّي النُّفُوسَ وَتُطَهِّرُهَا، وَكُلَّمَا تَلَوَّتْ نَفُوسُنَا دَعَوْنَاهَا
إِلَى الْحُسَيْنِ مُجَدِّدًا، وَلَمْ نَزَجِرْهَا وَنَمْنَعِهَا عَنِ الْقُدُومِ إِلَيْهِ.

وَحَالُ أَصْحَابِ الْأَبْوَابِ.. كَمَنْ رَأَى رَجُلًا يُلَطِّخُ نَفْسَهُ بِالطِّينِ، ثُمَّ يَدْخُلُ
إِلَى الْمَغْتَسَلِ لِيُخْرِجَ نَظِيفًا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى.. فَنَهَاةً عَنِ الدُّخُولِ إِلَى الْمَغْتَسَلِ، بَدَلًا
مَنْ أَنْ يَنْهَاهُ عَنِ أَنْ يُلَطِّخَ نَفْسَهُ!

فَهَلْ فِي الْمَغْتَسَلِ عَيْبٌ وَنَقْصٌ؟! أَمْ أَنَّ الْمَشْكَالَةَ فِي تَلطِخِ الْبَدَنِ بِالطِّينِ؟
فَكَيْفَ يَصِيرُ مَجْلِسُ الْعَزَاءِ وَالْبِكَاءِ وَهُوَ مَغْتَسَلُ الذُّنُوبِ مَسْئُولًا عَنْ كُلِّ
ذَنْبٍ وَعَيْبٍ؟! تَلِكُ إِذَا قَسَمَةَ ضَيَّرَ.

بَلْ هَذَا جَهْلٌ وَغِبَاءٌ، لِأَنَّهُ يَعْنِي التَّخْلِيَّ عَنِ الْفَضَائِلِ وَمَوَاطِنِ الْقُوَّةِ، لَوْ جُودَ
بَعْضُ الرِّذَائِلِ وَمَوَاطِنِ الضَّعْفِ عِنْدَ صَاحِبِهَا.

هَلْ نَقُولُ: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَلَيْكُمْ بِمَجَالِسِ الْحُسَيْنِ، أَكْثَرُوا مِنْهَا وَارْتَقُوا
بِأَنْفُسِكُمْ وَأَخْلَصُوا لِلَّهِ عِنْدَ مِشَارِكَتِكُمْ فِيهَا، وَتَوَسَّلُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَيْ يَأْخُذَ
بِيَدِكُمْ إِلَى الْكَمَالِ؟

أَمْ نَقُولُ: اقْطَعُوا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ عَيْنَ الْحَيَاةِ وَمَاءَهَا وَسُلْسِيلَهَا!!!

وهذا نظيرٌ من أصيبَ بِمَرَضٍ خطيرٍ يكاد يودي به الى الموت، ويحتاج الى أدويةٍ ليتماثل للشفاء..

فهل نَحْرِمُهُ من كلِّ دواءٍ إن لم نتمكن من تقديمها كُلِّها له؟!؟

هكذا حال العاصي، الذي يشارك في مجالس الحسين، كمن أعرَضَ عن استعمال بعض أصناف الدواء، فهل نمنع عنه كل دواءٍ حتى ما كان يحافظ له على حياته؟!؟

أما سمعتم ما روي عن النبي ﷺ: أَنَّ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يُصَلِّي الصَّلَاةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَرْتَكِبُ الْفَوَاحِشَ.

فَوَصَفَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ صَلَاتَهُ تَنْهَاهُ يَوْمًا مَّا. فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَابَ^(١).

وهكذا المؤمن الذي يعرف آل محمد، تنهاه معرفته بهم عن المعاصي يوماً فيتوب الى الله تعالى، ويأخذُ حُبُّهم بمجامع قلبه إلى الله تعالى، كيف لا وقد أطاعه في أحبِّ الأشياء اليه: لما اعتقد به تعالى وبرسوله وبوليهِ الإمام عليٍّ عليه السلام.

ثانياً: هل تريدون نصر إبليس؟!؟

أصحابُ هذه الأبواق إمّا حمقى، وإما لهم ثأرٌ مع الحسين عليه السلام، وإما أنهم أنصارُ إبليس!

فإن كانوا حمقى -والأحمق يريد أن ينفَعك فيضُرَّك- أرشدناهم وأعناهم

(١) تفسير الصافي ج ٤ ص ١١٨.

على بلوغ طريق الحسين عليه السلام، إن كان فيهم من خيرٍ يُرتجى .
وإن كان لهم ثأرٌ مع الحسين، فهؤلاء أعداؤنا وأعداء الحسين عليه السلام .
وإن كانوا لإبليس جنوداً وأعواناً، فليس هناك من سبيلٍ ينهجونه كمنهج
التشكيك، وقد قال لهم إبليس يوماً عن آل محمد صلى الله عليه وآله :
فَاَجْعَلُوا شُغْلَكُمْ بِتَشْكِيكِ النَّاسِ فِيهِمْ، وَحَمْلِهِمْ عَلَى عَدَاوَتِهِمْ، وَإِغْرَائِهِمْ
بِهِمْ وَأَوْلِيَائِهِمْ، حَتَّى تَسْتَحْكِمُوا ضَلَالَةَ الْخَلْقِ وَكُفْرَهُمْ ^(١) .
فَمَنْ كَانَ بِاللَّهِ مُؤْمِناً وَجَبَّ عَلَيْهِ الْحَذَرُ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَمِنْ غَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى
عَلَى مَنْ يُصَافِيهِمْ وَيُوَدُّهُمْ وَيُدَاهِنُهُمْ .
إِنَّ ذِكْرَ الْحُسَيْنِ يَرْفَعُ الْبَلَاءَ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُشَكِّكَ فِي أَمْرِ الْحُسَيْنِ
عليه السلام، فَيَصِيرُ سَبَباً لِنَزُولِ بَلَاءٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ رَافِعٍ .
فَمَا بَالُ بَعْضِ النَّاسِ تَرَكَوْا كُلَّ رَذِيلَةٍ فِي الدُّنْيَا وَسَكَّتُوا عَنْهَا وَضَاقَتْ فِي
عَيُونِهِمْ مَجَالِسُ الْحُسَيْنِ؟!
لَعَلَّ الْحَسَدَ! وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَسَدَ!

ثالثاً: قل موتوا بغيظكم!

إِنَّ مَثَلَ هَؤُلَاءِ كَمَنْ قَالَ عَنْهُمْ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا
عَصَبُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ ^(٢) .

(١) كامل الزيارات ص ٢٦٦ .

(٢) آل عمران ١١٩ .

فَمَنْ اغْتَاظَ مِنْ إِحْيَاءِ أَمْرِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَا كَانَ جَوَابَهُ إِلَّا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(١).

ونحن ندعو عليهم بأن يموتوا بغیظهم، ولا يسوؤنا أن يكون غیظهم بسببنا، بل يسرنا ذلك، بحيث ننتشرف أن نكون من مصاديق من دعا لهم الإمام الصادق عليه السلام، حينما وصف زوار الحسين عليه السلام بأنهم:

أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ، وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ:

١. رَغْبَةً فِي بَرِّنَا.

٢. وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي صَلَاتِنَا.

٣. وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ.

٤. وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا.

٥. وَغَيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا، أَرَادُوا بِذَلِكَ رِضَاكَ!^(٢).

هو أمرٌ في غاية العجب.. حيث يكون رضا الله في إدخال الغيظ على أعدائه!
فلتتعمق الأبواق، وليمت أصحابها من الغيظ.

إن المؤمنين مجيئون لأمر آل محمد عليه السلام في يومنا هذا وفي كل يوم.
يقتل الشيعة في بعض بلاد الله اليوم لحبهم آل محمد وإحياء أمرهم،
فتتلقاهم الملائكة الى جنان الرحمن، وجوار علي والحسين عليهما السلام.

ويموت قاتلوهم غيظاً وغضباً بعدما امتلؤوا حقدًا وحسدًا، ولما تأتيهم

(١) آل عمران ١١٩.

(٢) كامل الزيارات ص ١١٦.

الساعة يتلقاهم خَزَنَةُ النيران إلى جهنم وبئس المصير.
اللَّهُمَّ إِنَّ أَعْدَاءَنَا عَابُوا عَلَيْنِهِمْ بِخُرُوجِهِمْ، فَلَمْ يَنْهَهُمْ ذَلِكَ عَنِ الشُّخُوصِ
الْيَنَاءِ، خِلَافاً مِنْهُمْ عَلَى مَنْ خَالَفَنَا.

لقد جهل هؤلاء أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَكْتَرُثُ لِمَا يَعْيُونَهُ عَلَيْهِ، بَلْ يَتَعَمَّدُ مَخَالَفَتَهُمْ
طَاعَةً لِلَّهِ تَعَالَى، وَإِرْضَاءً لَهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ: أَصْلَبُ مِنَ الْجَبَلِ، الْجَبَلُ يُسْتَقَلُّ
مِنْهُ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يُسْتَقَلُّ مِنْ دِينِهِ شَيْءٌ^(١).

اللهم اجعلنا من هؤلاء، وأدخِل بنا السرور على نبيك وآله، وارض عنا
بمحمد وآله، واحشرنا مع الحسين وعترته الطاهرين عليهم السلام.

والحمد لله رب العالمين^(٢).

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٤١.

(٢) الجمعة ٤ محرم ١٤٤٣ هـ الموافق ١٣ - ٨ - ٢٠٢١ م.

٢٦. هل يُنسى الحُزنُ.. على الحسين؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

راقصةٌ ترقصُ لملك بني إسرائيل هيرودس في يوم مولده، ولا تطلبُ منه ذهباً أو فضةً، بل تطلب رأس نبيٍّ من أنبياء الله تعالى، يحيى بن زكريا عليه السلام!

قالت بحسب إنجيل متى: «أَعْطِنِي هَهُنَا عَلَى طَبَقِ رَأْسِ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ».. فَأَرْسَلَ وَقَطَعَ رَأْسَ يُوْحَنَّا فِي السَّجْنِ. فَأَحْضَرَ رَأْسَهُ عَلَى طَبَقٍ وَدَفَعَ إِلَى الصَّبِيَّةِ ^(١).

إنَّها دنيا هانت على ربِّها حتى لم يمنع من قتل نبيِّه فيها، ثم إهدائه إلى البغية، حتى كان الإمام الحسين سيِّدُ الشهداء عليه السلام يُكثِرُ من ذكره ويقول: مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنْ رَأْسَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عليه السلام أُهْدِيَ إِلَى بَغْيٍ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلِ ^(٢).

هانت الدنيا على ربِّها، لكنَّه عزَّ وجلَّ يُمهِّلُ فيها ولا يُمهِّلُ.

لقد أعقَبَ قتلُ يحيى عليه السلام آثاراً خطيرةً ثلاثة:

أولها: بكاء السماء عليه!

فكان حدَّثاً عظيماً لم يسبق أن شهدته البشرية في تاريخها، قال الصادق عليه السلام:
بَكَتِ السَّمَاءُ عَلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا.. أَرْبَعِينَ صَبَاحاً ^(٣).

(١) متى ١٤: ٨-١٠-١١.

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ١٣٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب عليه السلام ج ٤ ص ٥٤.

ثانيتها: دَمُ يَحْيَى يَغْلِي وَلَا يَسْكُنُ!

لقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: فَاتَّوَا بِرَأْسِ يَحْيَى عليه السلام فِي طَشْتٍ..
ثُمَّ عَلَى الدَّمِّ فِي طَشْتٍ حَتَّى فَاضَ إِلَى الْأَرْضِ، فَخَرَجَ يَغْلِي وَلَا يَسْكُنُ!^(١)

ثالثها: دَمُ يَحْيَى يَسْكُنُ!

مرّت ١٠٠ عام على دم يحيى عليه السلام وهو يغلي! حتى جاء بخت نصر^(٢) وقال:
لَأَقْتُلَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبَدًا حَتَّى يَسْكُنَ هَذَا الدَّمُّ!.. وَلَمْ يَزَلْ بُخْتَ نَصْرٌ يَقْتُلُهُمْ..

(١) تفسير القمي ج ١ ص ٨٨.

(٢) قيل أن هجوم بخت نصر (أو نبوخذ نصر) على القدس كان حوالي سنة ٦٠٠ قبل الميلاد، وأن يحيى عليه السلام استشهد سنة ٣٠ بعد الميلاد، فعلى هذا يكون سكون دمه سنة ١٣٠ بعد الميلاد، ويكون الفارق بين تاريخ هجوم بخت نصر على القدس وبين سكون دم يحيى عليه السلام حوالي ٧٣٠ سنة، فلا تصحُّ الواقعة.

لكنَّ هذا الإشكال لا يصلح لنفي صحة هذه الأحداث المروية بسندٍ صحيح لوجهٍ عدّة، منها أنَّ هناك ملوكاً متعدّدين قد تسمّوا بهذا الاسم (بخت نصر)، الأول منهم توفي سنة ١١٠٣ قبل الميلاد، والثاني توفي سنة ٥٦١ قبل الميلاد، وهو المعروف المشهور الذي ذُكرَ أنَّه أسقط القدس أكثر من مرة (سنة ٥٩٧ و ٥٨٧ قبل الميلاد)، ثم ذكر المؤرخون من عقبه بخت نصر الثالث والرابع، من ثم قيل بأنَّ هناك عدداً من الملوك قد تسمّوا بهذا الاسم، فيكون الذي قتل منهم ٧٠ ألفاً حتى سكن دم يحيى عليه السلام ملكٌ آخر يحمل الاسم نفسه، والشاهد على ذلك ما ذكره المسعودي في اثبات الوصية ص ٨٧ أنَّ الذي قتل ٧٠ ألفاً على دم يحيى عليه السلام هو (بخت النصر بن ملتنصر بن بخت نصر الأكبر)، فوالده هو (ملتنصر) من ذرية بخت نصر الأكبر، بينما والد نبوخذ نصر الثاني المعروف هو (نبوبولاسر)، فهما ملكان تفصل بينهما مئات السنين، لذا لا يصحُّ نفي هذه الواقعة لذلك.

وَالدَّمُ يَغِي وَلاَ يَسْكُنُ حَتَّى أَفْنَاهُمْ.. فَسَكَنَ (١).

هذه الأحداث التي روى بعضها الإنجيل، ونقل لنا بعضها أئمة آل محمد عليهم السلام، تكشف شيئاً من عظمة أنبياء الله تعالى، والظلمات التي وقعت عليهم، وتأثير الكون بقتلهم، وانتقام الله تعالى من قتلهم والراضين بأفعالهم في الدنيا قبل الآخرة.

أما تاريخ المسلمين فينقل واقعة أعظم وأكثر تألماً وتفجعاً مما جرى على يحيى عليه السلام، ذلك حيث قتل سبط رسول الله صلى الله عليه وآله قتل ما قتل مثلها أحد سواه، وشابهه يحيى بن زكريا عليه السلام في الأمور الثلاثة:

أولاً: بكاء السماء على الحسين!

وقد ثبت ذلك بما لا يحتاج إلى أن يُستدل عليه، وكان نوعاً من المشابهة بينهما عليهما السلام، حتى قال الصادق عليه السلام في جده الحسين: زُرُهُ وَلاَ تَجْفُهُ، فَإِنَّهُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وَسَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَشَبِيهُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا، وَعَلَيْهِمَا بَكَتِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ! (٢).

ثانياً: دماء تغلي عند قتل الحسين!

لقد قُتِلَ يَحْيَى فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ: ثُمَّ عَلَى الدَّمِّ فِي طَشْتٍ حَتَّى فَاضَ إِلَى

(١) تفسير القمي ج ١ ص ٨٨.

(٢) كامل الزيارات ص ٩١.

الأرض^(١).

ولما تشابهت قصة الحسين ويحيى عليه السلام، تكرر الأمر في بيت المقدس نفسها، فقد نُقِلَ عن بعض أهلها: وَاللَّهِ، لَقَدْ عَرَفْنَا أَهْلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَنَوَاحِيهَا عَشِيَّةَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام.. مَا رَفَعْنَا حَجْرًا وَلَا مَدْرًا وَلَا صَخْرًا إِلَّا وَرَأَيْنَا تَحْتَهَا دَمًا عَيْطًا يَغِي! ^(٢).

هي مشابهة في الدماء، بعد بكاء السماء، فهذه آثارُ قتل الحسين عليه السلام تظهر في بيت المقدس دماءً تغلي تحت كلِّ حَجَرٍ ومدر.

ثالثاً: متى يسكن دم الحسين؟!

لم نعد نرى دماءً تغلي في أيامنا هذه، لكنَّ ما خفي علينا حول الدماء في غاية الغرابة، وقد كشف سيّد الشهداء عليه السلام شيئاً من ذلك، حينما حَدَّثَ ولده زين العابدين عليه السلام عن دم يحيى عليه السلام، وأنَّ بخت نصر: قَتَلَ عَلَيْهِ سَبْعِينَ أَلْفًا حَتَّى سَكَنَ!

ثم بيّن الإمام ما لا نرى بأعيننا ولا نعرف سرُّه وحقيقته حين يقول:
يَا وَلَدِي يَا عَلِيُّ، وَاللَّهِ لَا يَسْكُنُ دَمِي حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ الْمَهْدِيَّ، فَيَقْتُلَ عَلِيَّ دَمِي مِنَ الْمُنَافِقِينَ الْكَفَرَةَ الْفَسَقَةَ سَبْعِينَ أَلْفًا ^(٣).
يكشفُ هذا النصُّ أموراً منها:

(١) تفسير القمي ج ١ ص ٨٨.

(٢) كامل الزيارات ص ٧٧.

(٣) مناقب ال أبي طالب عليه السلام ج ٤ ص ٨٥.

١. أن دم الحسين عليه السلام لا يزال يغلي بعد مرور هذه السنين الطويلة! ولئن انقضت مئة عام حتى سَكَنَ دَمُ يحيى عليه السلام، فإن أكثر من ألف عام قد مضت ولم يسكن دم الحسين عليه السلام بعد! فأين ما جرى على يحيى عليه السلام مع عظمته أمام ما جرى على الحسين عليه السلام وآل بيته؟! وأين يحيى مع سموّ مقامه من الحسين عليه السلام؟! ولئن ظَهَرَ دَمُ يحيى وهو يغلي سنين، فإننا لا نعرف كيف يغلي دم الحسين عليه السلام اليوم، سوى ما نراه من استحالة تربة الحسين عليه السلام دماً في عاشوراء، أما ما خلف ذلك من عوالمٍ وحقائق فعلمها عند الله تعالى وأوليائه الكرام.

٢. أن سُكُونِ الدَّمِ الطاهر موقوفٌ على أخذ المهدي عليه السلام بثاره من قتلته، حيث أن الله تعالى: يَبْعَثُ عَلَى بَقَايَا ذَرَارِيهِمْ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ هَادِيًا مَهْدِيًّا مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ، يُحَرِّفُهُمْ [بِسُيُوفِ أَوْلِيَائِهِ] إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ^(١).
وقد ساء الانتقام من هؤلاء لرضاهم بفعال آبائهم، وإقامتهم على العداوة لآل محمد عليه السلام.

متى ينقضي حزن الشيعة؟!

يكاد يُحْيَلُ للمؤمن أن سُكُونِ دَمِ الحسين عليه السلام بقتل المهدي عليه السلام هؤلاء الكفرة والمنافقين يعني انتهاء أمد الحزن عند آل محمد عليه السلام وشيعتهم!
لكنَّ الشيخ الصدوق رحمه الله يروي عن النبي صلى الله عليه وآله روايةً تُحِيرُ الألباب، تكشفُ أن سُكُونِ الدَّمِ الطاهر بقتل هؤلاء في الدنيا لا يعني انقضاء الحزن

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٣٦٩.

ونسِيانِه، ولا ارتفاعِ الهمِّ والغمِّ عن آلِ محمدٍ ﷺ وشيعتِهم! فَإِنَّ حُزْنَهم يَستمرُّ حتى يومِ القِيامة!

كُلُّ مَصبِيَةٍ قَد تُنسى في هذه الدُّنيا مع طولِ الأَيامِ والسِنينِ، لكنَّ الدُّنيا تنقضي ولا ينقضي الحزن على الحسين ﷺ!

آهٍ لمصابك يا أبا عبد الله.. آهٍ مما جرى عليك وعلى آلك.. حتى غَيَّرَتْ مَصبِيَتَكَ نواميسَ الطَّبِيعَةِ، فبكتك السماء والأرض، وخطَّ الحُزْنُ عليك رحالَه بين المؤمنين بلا انقضاء، حتى يومِ الجزاء!

فَعنِ النَّبِيِّ ﷺ:

إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ^(١) نُصِبَ لِفَاطِمَةَ ﷺ قُبَّةٌ مِنْ نُورٍ:

إِنَّهُ يَوْمُ الْكَرَامَةِ، فَاطِمَةُ الَّتِي لَمَّا أَقَامَهَا اللهُ تَعَالَى أَمَامَ الْعَرْشِ: زَهَرَتْ الْمَشَارِقُ وَالْمَغَارِبُ^(٢)، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ قَدْ أَظْلَمَتْ.. يُنصَبُ لَهَا يَوْمَ الْجَزَاءِ قُبَّةٌ مِنْ نُورٍ لِيُظْهَرَ بَعْضَ مَجْدِهَا وَسُؤْدُودِهَا وَعَظَمَتِهَا أَمَامَ الْخَلْقِ، لَكِنَّ حَدَثًا عَجِيبًا يَقَعُ حِينَهَا.

(١) ما ذكرناه في هذا المقال مبنيٌّ على كون المراد من يوم القيامة هو يوم الجزاء والحساب كما هو المعروف، لكنَّ الحَرَّ العامليَّ رحمه الله استظهر أن يكون المراد منه في هذه الرواية (الرجعة)، وأنَّ هذه الأحداث تجري فيها لا في يوم الجزاء، فقال رحمه الله: الظاهر أنَّ المراد من القيامة هنا الرجعة لأنها مأخوذة من القيام الخاص، أي الحياة بعد الموت، وقد أطلق على الرجعة في كلام بعض المتقدمين اسم القيامة الصغرى، والقرينة على إرادة ذلك هنا ما يأتي التصريح به من وقوع هذا بعينه في الرجعة، وما هو معلوم من عدم ورود الأخبار بوقوع القتل والحياة بعد الموت مراراً كثيرةً جداً في القيامة الكبرى أصلاً، وغير ذلك من القرائن (الإيقاظ من المہجعة ص ٢٥١).

(٢) الفضائل لابن شاذان القمي ص ١٢٩.

وَأَقْبَلَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ رَأْسُهُ عَلَى يَدِهِ:

لا حول ولا قوة إلا بالله!

أي معنى يستبطن هذا الفعل؟! وأي مصيبة تُلَازِمُ آلَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى يوم الجزاء؟! وما حال الزَّهراء التي ترى ولدها ورأسه على يده؟!

يقول النبي ﷺ:

فَإِذَا رَأَتْهُ شَهَقَتْ شَهَقَةً لَا يَبْقَى فِي الْجَمْعِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ إِلَّا بَكَى لَهَا:

بكاء الزَّهراء يُبكي ملائكة السماء وكل الأنبياء والمؤمنين، ألم تُزهر المشارق والمغرب بنورها؟! فكيف لا يبكي أهل الحق لبكائها؟! أليست حبيبة حبيب الله؟ ألا ترى ولدها قطيع الرأس يحمله على يده!

هذا حُزْنٌ من نوع خاص، فقد بشر الله الذين سبقت لهم الحسنى أنهم: ﴿لَا يَجْزِيهِمْ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾^(١)، فليس حزن هؤلاء المؤمنين فزَعاً من عذاب الله، بل تَفَجُّعاً على ما أصاب الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وانكساراً لشهقة الزهراء الطاهرة عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهكذا يتجددُ عزاء الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم الجزاء! فليس البكاء على الحسين مقصوراً على عالمٍ دون آخر، حيث يظلُّ المؤمنون كما الأنبياء والملائكة الأعلى في بكاءٍ دائمٍ حتى تأتي الساعة الموعودة.

يقول ﷺ:

فَيُمَثِّلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلًا لَهَا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَهُوَ يُحَاصِمُ قَتْلَتَهُ بِلَا رَأْسٍ،

فَيَجْمَعُ اللَّهُ قَتْلَتَهُ وَالْمُجَهِّزِينَ عَلَيْهِ وَمَنْ شَرِكَ فِي قَتْلِهِ، فَيَقْتُلُهُمْ حَتَّى آتَى عَلَى
أَخْرِهِمْ:

لقد خاصم الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ قَتْلَتَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لَكِنَّ رَأْسَهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ
فُصِّلَ عَنْ جَسَدِهِ الشَّرِيفِ، وَأَبَانَ الْحُجَّةَ، وَأَوْضَحَ الْمَحْجَّةَ، فَقَتَلُوهُ وَهُمْ
مَخْصُومُونَ مَحْجُوجُونَ.

أما هذه الساعة، فَإِنَّهُ يَخَاصِمُهُمْ دُونَ رَأْسِهِ الَّذِي أَبَانُوهُ عَنْ جَسَدِهِ
الشَّرِيفِ، ثُمَّ يَقْتُلُهُمْ جَمِيعاً، حِينَ يَكُونُ اللَّهُ لَهُ نَاصِراً، فَهَلْ مِنْ مَقَرٍّ مِنْ عَدْلِهِ عَزَّ
وَجَلَّ؟!؟

يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

١. ثُمَّ يُنْشَرُونَ فَيَقْتُلُهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
 ٢. ثُمَّ يُنْشَرُونَ فَيَقْتُلُهُمُ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
 ٣. ثُمَّ يُنْشَرُونَ فَيَقْتُلُهُمُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
 ٤. ثُمَّ يُنْشَرُونَ فَلَا يَبْقَى مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أَحَدٌ إِلَّا قَتَلَهُمْ قَتْلَةً.
- فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكْشِفُ اللَّهُ الْغَيْظَ وَيُنْسِي الْحُزْنَ:

هذه هي الساعة التي ينتظرها المؤمنون، ساعة كشف الغيظ بقتل قَتْلَةَ
الحسين مراراً وتكراراً حتى يشفي الله صدور قوم مؤمنين، وينسيهم أحزانهم.
من ثُمَّ يَصِيرُ الشَّيْخَةُ مَحَلًّا لِتَرْحُمِ الْإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَقَدْ وَاللَّهِ شَرَّ كُونًا فِي الْمَصِيبَةِ
بَطُولِ الْحُزْنِ وَالْحَسْرَةِ^(١).

(١) ثواب الأعمال ص ٢١٦-٢١٧.

حُزْنٌ طَوِيلٌ، وحسرةٌ دائمةٌ، لا تنقضي إلا بقتل هؤلاء الظالمين في تلك الساعة، فيكرمُ الله عزَّ وجلَّ آلَ محمدٍ عليهم السلام وشيعتهم في ذلك اليوم، حين يُنسيهم الحزن أولاً: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾^(١)، ثم يُتحفهم بسرورٍ لا يعلمُ صفته إلا الله عزَّ وجلَّ!
فعنهم عليهم السلام:

إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَلَسَ الْحُسَيْنُ عليه السلام فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، وَجَمَعَ اللَّهُ زُورَهُ وَشِيعَتَهُ لِيَصِيرُوا مِنَ الْكِرَامَةِ وَالنَّضْرَةِ وَالْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ إِلَى أَمْرٍ لَا يَعْلَمُ صِفَتَهُ إِلَّا اللَّهُ، فَيَأْتِيهِمْ رَسُولٌ أَرْوَاجِهِمْ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: إِنَّا رَسُولُ أَرْوَاجِكُمْ الْيَوْمَ يَقْلُنَ: إِنَّا قَدْ اشْتَقْنَاكُمْ وَأَبْطَأْتُمْ عَنَّا، فَيَحْمِلُهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ السُّرُورِ وَالْكَرَامَةِ إِلَى أَنْ يَقُولُوا لِرُسُلِهِمْ: سَوْفَ نَجِيئُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(٢).

تلك الساعة التي ينتظرها المؤمنون، وزوار الحسين عليه السلام، نعيمٌ في الآخرة وسرورٌ وحبورٌ يفوقُ كلَّ وصفٍ بصحبة الحسين عليه السلام!
كلُّ ألمٍ وتفجعٍ وحزنٍ ألمٌ بالشيعة في أيام الحسين عليه السلام يظلُّ مذخوراً عند الله تعالى، حتى تأتي ساعةُ البهجة مع الحسين نفسه عليه السلام!

لطالما انفطرت قلوب المؤمنين في مجالس الحسين في الدنيا، لكنَّ في مجالسه عليه السلام تلك الساعة من الكرامة ما لا يوصف.

فهنيئاً لشيعة الحسين عليه السلام، وزواره، والباكين عليه، والمحين لأمره،

(١) فاطر ٣٤.

(٢) الأصول الستة عشر ص ٣٤٠.

والمغيظين لأعدائه.

هنيئاً لكم أيُّها الموالون تلك الجلسة في ظلِّ العرش.
والسلام عليك يا أبا عبد الله، وعلى الأرواح التي حلَّت بفنائك.
وإنا لله وإنا إليه راجعون^(١).

(١) الجمعة ٢٣ صفر ١٤٤٣ هـ الموافق ١ - ١٠ - ٢٠٢١.

الفصل السادس: شعائر.. وشبهات..

٢٧. منبرُ العزاء.. معقلُ الطهر والنقاء!

بسم الله الرحمن الرحيم

قلوبٌ حزينةٌ مكسورةٌ تعتصرُ المأماً.. دموعٌ باكيةٌ على سيّد الشهداء.. كآبةٌ
وتَفَجُّعٌ يَحْطِآنُ الرَّحَالَ في أيامِ عاشوراء.. ويلفُّ الشيعَةُ أنفسهم بمظاهر الحزن
في كل عوالمهم.

إنها أَيَّامُ العزاء، يشترك فيها كلُّ قلبٍ ونَفْسٍ جُبِلَتْ على حب أهل الطهر،
فَطَهَّرَتْ بهم وبحبِّهم.

يتقاسم أهلُ الولاء أدوارهم، ولا ينسون لوناً من ألوان المواساة والعزاء،
ويأملون أن يكون ذلك تحت أنظار حجة الله في الأنام، ابن العسكري عليه السلام،
داعين له بتعجيل الفرج.

ولمنبرِ العزاء نصيبٌ وافر، فهو مجمع المؤمنين والموالين في عزائهم، وهو عمادٌ
للمآتم: ترتقي برقيته، وتسمو بسموه.. بعد أن يرتقي بالحسين عليه السلام.

ولطالما ترك هذا المنبر ولا يزال أثراً كبيراً لا زلنا نتلمّس بركاته.

وكان يزداد تألقاً كلما التصق بأحزان الحسين عليه السلام، كما يلتصق الزوار بقبر
سيد الشهداء.

حتى غدا معقلاً للطهر والنقاء.. فرأيناه أظهر وأصدق منبرٍ على هذه

الغبراء!

فصوّبت نحوه السهام، وأصقّت به التُّهم! وكثُر القيل والقال فيه وفي أبطال صولاته، وفُرسان ميدانه!

حتى قيل: أن المنبر الحسيني (يبالغ) في العزاء! و(يستغرق) في إسالة الدموع! و(يتوسّل) كلّ طريقٍ لتحطيم القلوب! و(يكذب) على الرّسول والعترة عليهم السلام في سبيل ذلك! وهلمّ جراً.

لكن الكلمة الفصل إنما تؤخذ من أهل الشريعة، أهل العزاء، أئمة الدّين، أمناء الله على وحيه، وأحب خلقه إليه.

وفي كلماتهم جواهر لا تُدرَك كلها، فلا يُترك بعضها، ومنها:

أولاً: عزّاؤنا بحسبنا.. لا بحسب الواقعة!

إنّ كل ما (نعلمه) ونعمّله في أيام العزاء من زيارة سيد الشهداء وإقامة المآتم عليه بكلّ ألوانها، لا يعدو كونه مواساةً بحسب حدودنا وإدراكنا، لا بحسب حقيقة الواقعة وحجم المأساة، ولا بحسب الثواب على إقامة العزاء فيها وزيارة سيد الشهداء.

ففي الخبر المروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام ما يذرّ الحليم حيراناً: لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي زِيَارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مِنَ الْفَضْلِ، لَمَاتُوا شَوْقاً! وَتَقَطَّعَتْ أَنْفُسُهُمْ عَلَيْهِ حَسْرَاتٍ! ^(١).

فصار (الموتُ شوقاً) أثراً (للعلم) بما في زيارة سيّد الشهداء من الأجر

(١) كامل الزيارات ص ١٤٢.

والثواب! فمن منّا يعلم ما في زيارته من ثواب؟ وهل وصل الحال بأحدنا أن يموت شوقاً لزيارته؟!

وفي الخبر: **وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي زِيَارَتِهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَعْلَمُ ذَلِكَ النَّاسُ، لَأَقْتَتَلُوا عَلَى زِيَارَتِهِ بِالسُّيُوفِ!**^(١).

نعم لو عرفنا ما في زيارته لاقتتلنا بالسيوف عليها لا على (توافه الأمور)! ولتركنا خلافاتنا جانباً، ولجعلنا مبلغ همّنا إحياء أمره وإقامة مآتمه وزيارة قبره عليه السلام، ومشاركة المعزين عليه في عزائهم وتسليتهم. ولتجنبنا إثارة الفتن في أيامه، وجعلناها أيام حزنٍ وألمٍ حقاً وصدقاً.

ثانياً: للدمعة أثرٌ عجيب!

أنا لا نتعقل أثر دمعةٍ تسيلُ على خدّ شيعته مع ما ندّعي من العلم والمعرفة والإدراك!!

هذه الدمعة التي ترّحم عليها الصادق عليه السلام قائلاً لأحد شيعته: رَحِمَ اللهُ دَمْعَتَكَ^(٢).

والتي لا تنزل إلا بإذن الله تعالى، فهو الذي يبكي عيوننا حباً بهم، إذ نقول في زيارتهم: **وَأَسْأَلُ مَنْ أَبْكَى عَيْنِي عَلَيْكَ أَنْ يَجْعَلَهُ لِي دُخْرًا**^(٣).

(١) كامل الزيارات ص ٨٧.

(٢) كامل الزيارات ص ١٠١.

(٣) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٨٩.

هذه العينُ التي (أبكاها) الله تعالى بتوفيقٍ ومنٍّ منه صارت شريكةً لدموع مخلوقاتٍ أخرى إذ: مَا رَقَّاتِ دُمُوعُ الْمَلَائِكَةِ مُنْذُ قُتِلْنَا! (١).

إنَّ للدمعة أثراً يستحقُّ أن نستغرق فيها، ونجعل أيام عاشورائنا أيام بكاءٍ وعزاءٍ..

إنَّ لها ثمرةً تُغرِّبنا أن نتوسَّل لإسالتها أيَّ طريقٍ يحبه الله ورسوله.

إنَّ فيها نجاةً من نارٍ (سجَّرها جبارُها لغضبه)!

والأعجب من ذلك.. ما تفعله بنار جهنم!!

أما أثرُ نار جهنم في الدنيا فإنه فوق خيال الإنسان، إذ روي عن الصادق عليه السلام في (قطرة) من طعام أهل النار قوله: لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الصَّرِيعِ قَطَرَتْ فِي شَرَابِ أَهْلِ الدُّنْيَا لَمَاتَ أَهْلُهَا مِنْ نَتْنِهَا!

وَلَوْ أَنَّ حَلَقَةً مِنَ السُّلْسِلَةِ الَّتِي طُوِّهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً وُضِعَتْ عَلَى الدُّنْيَا لَذَابَتِ الدُّنْيَا مِنْ حَرِّهَا! (٢).

القطرةُ من طعام أهل النار تميَّت أهل الدنيا من نتنتها، والحلقةُ تذيب الدنيا من حرِّها!

إنه ما بعد اليوم العبوس القمطيرير.. يومٌ يجعل الولدان شيباً.

يسعى المؤمنُ حياته ليأمنَ فيه من سَطَوَاتِ الجبار وغضبه، راجياً أن يُزحزحَ عن النار، ويُجاوِرَ الأطهار.

(١) كامل الزيارات ص ١٠٢.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ٨١.

وههنا تظهر معادلة رهيبة:

١ . قطرة من النار تقتل أهل الدنيا جميعاً!

٢ . ولكن قطرة من عين الباكين على الحسين تطفى حَرَّ جهنم كلها!!

فعن الصادق عليه السلام:

وَمَا بَكَى أَحَدٌ رَحْمَةً لَنَا، وَمَا لَقِينَا، إِلَّا رَحِمَهُ اللهُ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ الدَّمْعَةُ مِنْ عَيْنِهِ!
فَإِذَا سَأَلَتْ دُمُوعُهُ عَلَى خَدِّهِ، فَالْوَأَنَّ قَطْرَةً مِنْ دُمُوعِهِ سَقَطَتْ فِي جَهَنَّمَ
لَأُطْفَأَتْ حَرَّهَا حَتَّى لَا يُوجَدَ لَهَا حَرٌّ!^(١)

نحن لا ندعي هنا فهم أمثال هذه المعادلات في العلوم الطبيعية:

١ . كيف أن قطرة من النار تذيب الدنيا وتقتل أهلها؟!

٢ . وكيف أن قطرة سالت من عين مؤمن رحمة لهم تطفى حَرَّ جهنم؟!

لكننا نسلّم بذلك، لاعتقادنا بأن الله تعالى قادرٌ على كل شيء، وبأنه مُسَبَّبُ

الأسباب..

فكما اعتقدنا أن نار نمرود كانت برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام!

وأن عصا موسى عليه السلام كانت تلقف ما يأفكون!

وأن أجزاء الطيور استجابت لدعوة عيسى عليه السلام سعياً!

وأن الله تعالى خلقنا لا من شيء! وأنه يعيدنا تارة أخرى! وأن ملائكة الله

بيننا! وأن للجن عوالم لا نراها!

(١) كامل الزيارات ص ١٠٢.

وكما آمنا بالمعجزات والكرامات وإن لم نفهم طبيعة معادلتها في علوم الفيزياء والكيمياء ونظائرها.

فإنَّ ما بلغناه من هذه العلوم يعجز عن تفسير الكثير مما نراه بأعيننا، فضلاً عن الغيبات والمعاجز التي لا يختلف أهل الأديان في صحتها. كذلك فإننا نؤمن بأن الله تعالى أكرمَ محمداً وآله عليهم السلام بما لم يكرم به أحداً من الخلق، ومن بعدهم شيعتهم، ومن أنكر إمكان ذلك فقد نسب العجز لله تعالى، والله تعالى هو القادرُ على كل شيء.

ثالثاً: تنزيه المنبر عن الكذب

أَنَّ مَنبرَ العزاء مُنزَّهٌ عن الكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وآله كما يزعم الزاعمون، فإنَّ لخطبائه وجوهاً كثيرةً فيما ينقلونه من روايات المعصومين عليهم السلام منها:

١. أنه يُشترط في حرمة نقل الخبر (اعتقادُ) كونه كذباً، فإن اعتقد أحدٌ بأنَّ هذا الخبر مكذوبٌ أو موضوعٌ حرم نقله عليه، أما مع اعتقاد صحته فليس في نقله كذبٌ أبداً.

٢. أنه يشترط في الحرمة (تعمُّدُ الكذب)، فمن ينقل غير عامدٍ للكذب والخطأ ويخطئ في نقله يكون معذوراً لا كاذباً. ومثله من ينقل الحديث قاصداً الصِّدقَ فيتبين كذبه في الواقع فيكون معذوراً.

٣. أن نسبة الكلام لهم عليهم السلام على وجه (الحكاية) عمَّا روي عنهم، أو على وجه (النقل) لما روي عنهم، كأن يقول: (رُويَ عنهم)، أو (نُقِلَ عنهم)، ليس من الكذب في شيء، سواء طابق الواقع أم خالفه، فإنه إخبارٌ عن هذه النسبة.

٤. أنَّ عرضَ الإنسان لفهمه واجتهاده ورأيه لا يكونُ من الكذب عليهم أبداً وإن خالف الواقع.

٥. أنَّ الحكاية بلسان الحال لا تتضمن نسبة شيءٍ للمعصوم كي يقال أنَّ فيها كذباً.

ومثلها العرض التصويريُّ أو التمثيليُّ، بحيث يعرف القارئ والسامع، والممثلُّ والمشاهد، أنَّ ما يعرض هو لسانُ الحال، وأنَّه ابتكارٌ لصوِّرٍ حزينة، ومشاهد مؤثرة، لا يزعم أنها جرت فعلاً، ولا ينسبها للمعصوم عليه السلام. فكلُّ ذلك ليس من الكذب في شيء.

وفتاوى العلماء وكلماتهم قديماً وحديثاً في جواز ذلك مما لا يعتريه الشك. ولئن سلّمنا يوماً بسهوّ هنا أو اشتباهٍ وتجاوزٍ غير متعمّدٍ هناك، فبعد كونه معذوراً مغفوراً.. تمحوهُ دموعُ الباكين على الحسين عليه السلام بإذن الله، ليبقى منبرُ سيّد الشهداء مُنزهّاً عن النقائص، مهما كان السعي حثيثاً في إسقاطه. وَفَقَّ اللهُ خُدَامَهُ، ومقيمي مآتمه، ومَن أحيا ذكره كُلَّ إحياء. والحمد لله الذي لا يُحمَد على مكروهٍ سواه^(١).

(١) ثالث عشرة الحزن ١٤٣٩ للهجرة.

٢٨. عاشوراء.. وتوهين المذهب!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عاشوراء.. سرُّ الله.. تستدعي كلَّ عام قبيل حلول أيامها فتح جبهات من كل حدبٍ وصوب، حول حقيقتها وماهيتها، والمنشود منها وآثارها وكيفية إحيائها وعظمة شأنها وغير ذلك.. هكذا صار حالها في هذا الزمن.

يترافق ذلك مع شحنٍ للنفوس، وعصبيةٍ مرتفعة، ومَوَاضِعٍ وتخدقٍ وفق محاور مُسَبَّقة، وخلفياتٍ محدَّدة، فيضيع الكثير من كلام الحق الذي يقال فيها.

وها نحن نطرق الباب في هذا المقال قبل أسابيع ثلاثة من شهر محرم الحرام، والنفوس لا زالت بعيدةً عن الشحناء، والعصبية نائمة، نسأل الله أن لا يوقظها بين المؤمنين إلا للحق، والمتاريس لم يُعد ترميمها بعد.. عسى أن يُقرأ هذا الكلام ويُسمع في هذا الوقت بتدبُّرٍ وتجرُّد.

عاشوراء وتوهين المذهب!

هو عنوانٌ يُرْفَعُ عالياً في أيام عاشوراء، تُواجهُ به جملةٌ من العقائد التي يذكرها الخطباء والشعراء في أيام الحسين عليه السلام، وتُحَارَبُ به بعض مفردات إحياء المناسبة، والتي يقع الخلاف بين المؤمنين في صحة وصفها بـ(الشعائر).

ذلك أن توهين المذهب أمرٌ محرَّمٌ بالاتفاق، وكلُّ ما أدى إليه يصبح محرماً ولو كان في نفسه جائزاً.

وتُطَبَّقُ هذه القاعدة على بعض معتقداتنا، فيُتَّهَمُ العلماء والخطباء والروايد والمؤمنون بأنهم يروجون لعقائد يؤدي انتشارها إلى توهين المذهب.

وَيُؤَاخِذُ الْمُؤْمِنُونَ بِأَنَّ بَعْضَ أَسَالِيهِمْ فِي إِحْيَاءِ عَاشُورَاءٍ مُوهِنَةٌ لِلدِّينِ .
يتكفل بهذه الحملة فئات من بيتنا الشيعي، ويخلصون إلى أنه يحرم بسبب
التوهين ذكر جملة من المعتقدات على المنابر وفي الفضائيات، وتحرم بعض مظاهر
الإحياء، كاللطم غير الحضاري! وضرب الجسم بالسلاسل، وشجّ الرؤوس
وإدماؤها، والمشي على الجمر، وأمثال ذلك.

ومحط الرحال معهم البحث في محورين: (التوهين) و(السخرية).

فهل هما من سنخ واحد؟ ولهما حكم فارد؟

المحور الأول: حقيقة (التوهين)

إن (الوهن) في اللغة هو (الضعف)، أطبقت على ذلك كتب اللغة من العين
للمحيط والمقاييس واللسان إلى سائر المصادر. والتوهين هو التضعيف.
ويُستدلُّ على حرمة تضعيف الدين أو المذهب بالدليل العقلي أولاً، بعد
ثبوت كون الدين دين الله تعالى، فمن غير الجائز العمل على إضعافه.

ثم تعضد ذلك أو تُرشدُ إليه الروايات الشريفة، ومنها رواية تحف العقول
عن الصادق عليه السلام: **وَكُلُّ مَنْهِيٍّ عَنْهُ مِمَّا يَتَّقَرُّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ، أَوْ يَقْوَى بِهِ الْكُفْرُ
وَالشُّرْكُ مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِ الْمَعَاصِي، أَوْ بَابٌ يُوَهِّنُ بِهِ الْحَقُّ فَهُوَ حَرَامٌ**^(١).

فكلُّ بابٍ يوهنُ به الحقُّ يصير حراماً، ومن مصاديق ذلك:

(١) وسائل الشيعة ج ١٧ ص ٨٤.

١. بيع السلاح لأعداء الدين

والفتاوى في حرمة بيع السِّلَاح لأعداء الدين محلُّ اتفاقٍ بين الفقهاء في الجملة، لكنَّ الاتفاق ليس على حرمتها مطلقاً، إنما اختلفت الآراء في ذلك، فالتزم مشهورُ الفقهاء بحرمة فقط حال قيام الحرب، أما في غير هذا الحال ففيه تفصيل واسع.

لذا وقع الخلاف في كون بيع السلاح لِقُطَاعِ الطرق من مصاديق تضعيف الحق أم لا، ولما ثبت أنَّ المحرم هو توهين الدِّين والشريعة بنفسها، وهو لا يشمل اتلاف مال المسلم ما لم يزاحم شيئاً من أمور دينه، لم يكن حرمة بيع السلاح لهم محرماً بعنوان تضعيف الدين.. نعم قد يحرم من بابٍ آخر وهو التعاون على الإثم والعدوان وسواه من العناوين.

ولذا صرح بعض العلماء أن الظاهر من توهين الحق هو توهين أصل المذهب والدين والشَّرع، كحرب الإمام أو حرب عامَّة المسلمين، لا مطلق المعاصي، فإنَّ كلَّ معصية لا تعدُّ توهيناً للحقِّ بنفسها.

٢. ولاية الوالي الجائر

أي تولي الولاية من قبل الوالي الجائر بما يؤدي الى وهن الحق، لذا كان العمل معهم حراماً والتكسب عبرهم، إلا من جهة الضرورة. والنتيجة أن ما يؤدي الى تضعيف الدين والمذهب والحق يكون محرماً بالعنوان الثانوي ولو كان جائزاً في نفسه.

المحور الثاني: السخرية

ههنا يطرح السؤال الثاني:

هل السخرية والاستهزاء من التوهين المحرم؟! بمعنى أن أحداً لو استهزأ وسخر من معتقداتنا أو عباداتنا أو طقوسنا وإحيائنا لمناسباتنا، فهل يصبح إظهار كل ذلك محرماً لحرمة التوهين؟!

يجيب القرآن الكريم على ذلك في آيات، فيبين:

أولاً: أن الاستهزاء بالمؤمنين ليس جديداً، بل كان رفيقاً للأنبياء في درهمهم: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١).

ثانياً: أن تكليف المؤمنين عدم القعود مع المستهزئين بآيات الله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾^(٢).

ثالثاً: أن على المؤمنين الصبر على السخرية لا التراجع والانهزام وتغيير الفكر أو العقيدة: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا.. فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا.. إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٣).

رابعاً: أن للمؤمنين رد السخرية بمثلها، تأسيساً بنبي الله نوح عليه السلام: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ

(١) يس ٣٠.

(٢) النساء ١٤٠.

(٣) المؤمنون ١٠٩-١١١.

مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿١﴾.

بهذا يتبين أن الموقف مختلف بين التوهين والسخرية:

١. ففي الأولى يحرم ما يؤدي لتوهين الدين.

٢. وفي الثانية يظهر أن ردَّ السخرية قانونٌ إلهي، فقوله تعالى ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُهُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ يكشف أن سخرية المؤمن من الكافر لا تعني بعده عن الدين، ولا ضعفه وتراجعه، إنما تعني التأسي بخير الخلق وهم الأنبياء والمرسلون، ذلك أن السخرية من أعداء الدين المستهزئين تُظهر عدم اكتراث المؤمن لغير الأمر الإلهي، وتكشف عن مناعةٍ وحصانةٍ لديه بحيث لا يؤثر فيه أهل الغوغاء^(٢).

وليس في شيءٍ من أدلة الثقلين ما يدل على لزوم تغيير العقيدة، أو تبديل السلوك لأجل السخرية والاستهزاء، كيف وقد تصدَّى القرآن الكريم للدفاع عن المؤمنين عندما وصفهم مخالفيهم بالسفاهة، فَرَدَّهَا عَلَيْهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ

(١) هود ٣٨.

(٢) مقابلة السخرية بمثلها هو المعنى الظاهر، وقد احتمله العلامة المجلسي رحمه الله بقوله (أنهم لقبح أعمالهم ولضلالتهم مُسْتَحِقُّونَ لَأَن يَسْخَرَ مِنْهُمْ كُلُّ أَحَدٍ)، بعد أن احتمل أن يكون المراد (استهزاء المؤمنين بهم في القيامة) (مرآة العقول ج ٢٦ ص ٣١١)، أما ابن شهر آشوب رحمه الله فإنه فسَّرَ السُّخْرِيَةَ بِالذَّمِّ فَقَالَ: (أَي نَذْمُكُمْ عَلَى سَخْرِيَتِكُمْ، أَطْلَقَ عَلَيْهِمُ اسْمَ السُّخْرِيَةِ عَلَى وَجْهِ الِازْدِوَاجِ كَمَا قَالَ ﴿سَخَرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾) (متشابه القرآن ج ١ ص ٢١٨)، وقيل أن المراد: (نُعَامِلُكُمْ مَعَامَلَةً مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ السُّخْرِيَّةِ لَا تَلِيقُ بِمَنْصِبِ النَّبُوَّةِ، أَوْ نَسْتَجْهَلُكُمْ فِي اسْتِجْهَالِكُمْ إِيَّانَا؛ وَإِطْلَاقُ السُّخْرِيَّةِ عَلَيْهِ لِلْمُشَاكَلَةِ) (الطراز الأول ج ٨ ص ٨٨).

لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

إذا تبين ذلك، فليس لأحد من الأخوة والأحبة المؤمنين أن يجعل سخرية الآخرين ميزاناً لنا، ولا رضاهم عنا مقياساً للحق والباطل، وقد قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (٢).

١. ولئن كان المستهزئ يهودياً، أجنبناه بأن توراته لا تحتُّ على التراجع أمام المستهزئ، بل تقول في سفر إشعياء: بِمَنْ تَسْخَرُونَ، وَعَلَىٰ مَنْ تَفْغَرُونَ الْفَمَ وَتَدْلَعُونَ اللِّسَانَ؟ أَمَا أَنْتُمْ أَوْلَادُ الْمَعْصِيَةِ، نَسْلُ الْكَذِبِ؟ (٣).

فليتأمل بما يصف به توراته من يسخر من الإيمان والمؤمنين، وليجعله أمام ناظريه ليسمع الجواب إن سخر من المسلمين.

٢. أما إن كان نصرانياً، فنخاطبه بما في إنجيل لوقا، أن أخرج أولاً الخشبة من عينك، ففيه: أَوْ كَيْفَ تَقْدِرُ أَنْ تَقُولَ لِأَخِيكَ: يَا أَخِي، دَعْنِي أُخْرِجَ الْقَدَىٰ الَّذِي فِي عَيْنِكَ، وَأَنْتَ لَا تَنْظُرُ الْخَشْبَةَ الَّتِي فِي عَيْنِكَ؟ يَا مُرَائِي! أَخْرِجْ أَوَّلًا الْخَشْبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَدَىٰ الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ (٤).

فإنه يعتقد بالوثِّ يخالفُ العقل، وينسب في كتابه المقدس لله تعالى ولأنبيائه ولرسله ما لا يرضاه لنفسه!

٣. أما إن كان ملحداً أو لا أدرياً: والأول يجحد وجود الله تعالى ويقول

(١) البقرة ١٣.

(٢) البقرة ١٢٠.

(٣) إشعياء ٥٧: ٤.

(٤) لوقا ٦: ٤٢.

بِالْصُّدْفَةِ أَوْ الْعَبَثِيَّةِ! وَالثَّانِي يَقْرُّ بِجَهْلِهِ فَيَتَوَقَّفُ عَنِ الْحُكْمِ بِوُجُودِ اللَّهِ مِنْ عَدَمِهِ، إِذْ لَمْ يَتَمَّ عِنْدَهُ قَانُونُ السَّبَبِيَّةِ بَعْدَ! فَكَيْفَ يَكُونُ مِيزَانًا وَهُوَ يَقْبَلُ الْإِعْتِقَادَ بِوُجُودِ الْمَوْجُودِ دُونَ مُوجِدٍ اعْتِمَادًا عَلَى الصُّدْفَةِ مِثْلًا؟!!

٤. أما لو انتمى للديانات الأخرى، كالهندوسية أو البوذية أو أديان شرق آسيا الأخرى التي يزيد عدد سكانها مجتمعة عن عدد المسلمين جميعاً، فحاله حال المتقدمين بل هو أعجب، إذ ليس حاله أفضل من قوم إبراهيم عليه السلام الذين أتم الله عليهم الحجة في كتابه ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾^(١).

صفوة القول

إنَّ من صفات المؤمن أن يكون (وَقُورًا عِنْدَ الْهَرَاهِزِ)، ثابِتًا سَاعَةَ الْفِتَنِ، وَأَنْ يَكُونَ الْعِلْمَ خَلِيلَهُ، وَالْعَقْلَ أَمِيرَ جُنُودِهِ.

فمن تسلح بالعلم والعقل والوقار والإيمان، وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، لَمْ يَكْتَرِثْ لِقَوْلِ الْقَائِلِينَ مَا دَامَ مَعَ الْحَقِّ قَائِمًا.

وَيُرْجَى أَنْ يُوْرثَهُ اللَّهُ تَعَالَى قُوَّةً وَثَبَاتًا لَا حَدَّ لَهُ.

جعلنا الله جميعاً ممن لا يخشى في الله لومة لائم، والحمد لله رب العالمين^(٢).

(١) الأنعام ٧٨.

(٢) السادس من ذي الحجة ١٤٤٠ للهجرة.

٢٩. سقوط الحداثيين في عاشوراء!

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ نَدْرَةَ الْاِعْتِقَادِ بِالْحَقِّ سِمَةٌ تَكَرَّرَتْ عَلَى مَرِّ الْأَزْمَنَةِ، بَرَزَتْ فِي وَصْفِ اللَّهِ تَعَالَى أَكْثَرَ مَنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بِأَنَّهُمْ (لَا يُؤْمِنُونَ) (لَا يَعْقِلُونَ) (لَا يَعْلَمُونَ) (لَا يَشْكُرُونَ) (لَا يَسْمَعُونَ) (لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) (كَاذِبُونَ)..

وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ الْكَثْرَةُ مِيزَانًا، جَعَلَ الْقَدِيرُ عَزَّ وَجَلَّ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ مِيزَانًا لِمَعْرِفَةِ أَهْلِهِ، فَقَالَ عَلَى لِسَانِ كِتَابِهِ النَّاطِقُ: اَعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ^(١).

لَكِنَّ ضَعْفَ النَّفْسِ، وَالْجَهْلَ الْمَطْبُوقَ، يُوَدِّي بِصَاحِبِهِ لِلْإِحْسَاسِ بِعَقْدَةِ النِّقْصِ، فَيَتَصَوَّرُ مَا لَيْسَ بِمِيزَانٍ مِيزَانًا، وَيَجْعَلُ أَمَامَ نَفْسِهِ حُجْبًا وَحَوَاجِزَ يَصْطَنِعُهَا، وَيُوْهِمُ نَفْسَهُ بِأَنَّهَا مَعْيَارُ قَبُولِ الْحَقِّ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَقَعُ بِهِ بَعْضُ مَنْ قَدْ يُطِيبُ لَهُمْ فِي بِلَادِنَا أَنْ يَسْمُوا تَارَةَ بـ (الحداثيين) وَأُخْرَى بـ (المنفتحين)، وَالَّذِينَ يَجِبُونَ أَنْ يُوصَفُوا بِمِحَارِبَةِ (الْأَفْكَارِ الظَّلَامِيَّةِ) وَمُبَارَاةِ الْجَهْلِ وَالتَّعَصُّبِ وَالرَّجْعِيَّةِ وَالْعَقَائِدِ الْمُتَخَلِّفَةِ.

أَوْصَافٌ يَتَغَنُّونَ بِهَا، وَأُخْرَى يَحَارِبُونَهَا، يُؤْنَسُهُمْ نَثْرُهَا عَلَى إِخْوَانِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، فِي كُلِّ مَوْرِدٍ شَنَّفَتْ آذَانَهُمْ عَقِيدَةً لَمْ تُسَعِفْهُمْ عَقُولُهُمْ إِدْرَاكَ حَقِيقَتِهَا أَوْ أَبْعَادَهَا أَوْ أَدْلَتِهَا.

فَتَرَاهُمْ يَصْفُونَ كَثِيرًا مِنَ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ بِالْأَسَاطِيرِ وَالْخِرَافَاتِ، فَلَا هُمْ

(١) روضة الواعظين ج ١ ص ٣١.

يقبلونها كَمُعْتَقِدٍ قام الدليل عليه عند أصحاب الحجّة والبرهان، ولا يسمعون لمعتذرٍ ضعيفِ الحجّة أنها تراثٌ يربط الحاضر بالماضي يحسن الحفاظ عليه.
والمُبَرَّرُ حاضرٌ عندهم دائماً:

- كيف ستكون نظرة الغرب إلينا؟!

- ماذا يقول فلان (المتحضر) عندما يسمع مثل هذه العقائد؟!

- أين نذهب بوجوهنا فيما لو استمع لكلماتنا المخالف في الدين والعقيدة؟!

- أما آن الأوان لتهديب الإسلام والتشيع من خُرَافَاتٍ أُلصقت به على مر

العصور؟!

- أليست المنطقية والعقلانية هي الحاكمة على العقيدة؟ فلماذا نقبل أن تبقى

في اعتقاداتنا مسائل قد تُشَوِّه صورتنا لدى الغرب؟!

إنَّه الغَرَبُ أيها الأحبة.. البُعْبُعُ الذي تُحَارِبُ به جملةٌ من العقائد والشعائر

والأحكام الشرعية!

وكأنَّه الميزان والمعيار في كلِّ شيءٍ حتى في العقيدة! فظالماً أنه تفوَّق علينا في

جملة من العلوم المعاصرة، بما فيها التقنيّات الحديثة، وفي تنظيم بعض أمور الحياة

اليومية، فهو إذاً قدوتنا وأنموذجنا الحيّ الذي ينبغي الاحتذاء به في كل ما يفعل

ويقول!

ما علينا بعقولنا.. ما تقبل وما لا تقبل! ولا بأدلتنا.. ما تُنتج وما تدل عليه.

لا بدّ من التنازل عن كل ذلك (بزعمهم) لأجل تلميع صورتنا أمام هذا

المتحضر المتطور!

ولنا مع هؤلاء خطابٌ من نوعٍ آخر..

فنحن لا نريد هنا (بيان أدلة العقائد) والشعائر الإسلامية عموماً والشيعية خصوصاً، وهي التي أفنى أعلامنا حياتهم في بيانها، فملؤوا بطون الكتب بما يعجز هؤلاء (الحضاريون الجدد) و(الحداثيون المنفتحون) عن بلوغ أبعاده وسبر أغواره فيما لو تمكنوا من فهم عباراته، لضعف منطقتهم، واتصافهم بانفصام الشخصية الحاد من الناحية الفكرية.

فمن أراد هذه الأدلة ورغب بالاطلاع على متانتها وقوتها رجع لعلماء الشيعة وكتاباتهم ووجد فيها ما يثلج الفؤاد ويسر الناظرين.

ولا نريد أن نحاجج هؤلاء بمخالفتهم لمفاهيم الغرب وقيمه التي يتغنون بها، وهي التي تشمل قوانين تسن على احترام الحرية العقديّة والفكرية لمختلف الشعوب، فتضمن لنا حرية الاعتقاد، لكننا نراهم يتنكرونها عندما تصل النوبة إلينا.

إنما نريد أن نحتج عليهم بمعتقدات الشريحة الكبرى في ذلك الغرب، وتلك التيارات التي جعلوها يوماً ميزان الحق والباطل!

ولئن نشر بعض قساوسة النصارى ورهبانهم كتباً في ذمّ المسلمين وعقيدتهم، فإن (الحداثيين) التقطوها وبثوها شبهاتٍ في بلادنا وبين أحبتنا في كل حين..

ونحن نعرض هنا لنماذج تكشف السّتر عن أن كلّ ما ينجل به الحداثيون من معتقداتنا، ويهتكون به حرّمت المؤمنين، موجودٌ في الكتاب المقدّس! لكنهم

ما تجرؤوا يوماً على التهويل عليه!

ليتهم قرؤوا وعرفوا، لأصابتهم الدهشة من عظم ما في هذا الكتاب:

١. إما من معتقداتٍ حقّةٍ توافق ما لدينا وتدفع كلّ طعنٍ بنا.
٢. أو من فظائع لا يرتضيها الإنسان المسلم على نفسه، فضلاً عن أن يرتضيها على ربه وعلى أنبياء الله ورسله ﷺ!

١. النموذج الأول: بطولات عاشوراء

لطالما استهزأ الحداثويون ببطولات سادة الخلق، وطعنوا في قوّة أبطال الوغى ومقدار من قتلوا يوم عاشوراء، وكلما ذُكِرَت بطولات سيد الشهداء والعباس عليهم السلام انطلقت الأبواق مستنكرة مستهزئة بذلك.

لكنهم أغمضوا أعينهم عما في الكتاب المقدس، فد (شمشون) الذي كُنَّا نَظُنُّهُ قِصَّةً أُسْطُورِيَّةً فِي طِفْلَتِنَا، يُحَدِّثُ الْعَهْدَ الْقَدِيمَ عَنْ بَطُولَاتِهِ فِيَقُولُ فِي سِفْرِ الْقِصَّةِ: وَوَجَدَ لِحْيَ حِمَارٍ طَرِيًّا، فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهُ وَضَرَبَ بِهِ الْفَ رَجُلًا! فَقَالَ شَمْشُونُ: «بِلِحْيِ حِمَارٍ كَوْمَةً كَوْمَتَيْنِ. بِلِحْيِ حِمَارٍ قَتَلْتُ الْفَ رَجُلًا»^(١).

بِلِحْيِ حِمَارٍ (أَي فِكِّهِ الْأَسْفَلِ) يَقْتُلُ (شَمْشُونُ) أَلْفَ رَجُلٍ! لَكِنَّ سَيْفَ رَمَزِ الشَّجَاعَةِ، (الْعَبَّاسُ) مِثْلًا، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فَتَاكًا كَلِحْيِ الْحِمَارِ! وَقُوَّةُ (شَمْشُونِ) هَذِهِ قَدْ أَتَتْهُ مِنْ (شَعْرِهِ)! فَإِذَا حَلَقَ شَعْرَهُ تَفَارَقَ قُوَّتُهُ!

(١) القضاة ١٥: ١٥-١٦.

لذا استغل أعداؤه الفلسطينيين ذلك! ففي سفر القضاة:

وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ أَحَبَّ امْرَأَةً فِي وَادِي سُورَقَ اسْمُهَا دَلِيلَةُ.. فَكَشَفَ لَهَا
كُلَّ قَلْبِهِ، وَقَالَ لَهَا: «لَمْ يَعْلَمْ مُوسَى رَأْسِي لِأَنِّي نَذِيرُ اللَّهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّي، فَإِنْ حُلِقْتُ
تُفَارِقُنِي قُوَّتِي وَأَضْعَفُ وَأَصِيرُ كَأَحَدِ النَّاسِ»..

وَأَنَامَتْهُ عَلَى رُكْبَتَيْهَا، وَدَعَتْ رَجُلًا وَحَلَقَتْ سَبْعَ خُصَلِ رَأْسِهِ، وَابْتَدَأَتْ
بِإِذْلَالِهِ، وَفَارَقَتْهُ قُوَّتُهُ.. فَأَخَذَهُ الْفِلِسْطِينِيُّونَ وَقَلَعُوا عَيْنَيْهِ.. وَابْتَدَأَ شَعْرُ رَأْسِهِ
يَنْبُتُ بَعْدَ أَنْ حُلِقَ..

وَقَبِضَ شَمْشُونُ عَلَى الْعَمُودَيْنِ الْمُتَوَسِّطَيْنِ اللَّذَيْنِ كَانَ الْبَيْتُ قَائِمًا عَلَيْهِمَا،
وَاسْتَنَدَ عَلَيْهِمَا الْوَاحِدِ بِيَمِينِهِ وَالْآخَرَ بِيَسَارِهِ. وَقَالَ شَمْشُونُ: «لِتَمُتْ نَفْسِي مَعَ
الْفِلِسْطِينِيِّينَ». وَانْحَنَى بِقُوَّةٍ فَسَقَطَ الْبَيْتُ عَلَى الْأَقْطَابِ وَعَلَى كُلِّ الشَّعْبِ الَّذِي
فِيهِ، فَكَانَ الْمَوْتَى الَّذِينَ أَمَاتَهُمْ فِي مَوْتِهِ، أَكْثَرَ مِنَ الَّذِينَ أَمَاتَهُمْ فِي حَيَاتِهِ^(١).

هي قصة من نسج الخيال، نوع من الأساطير يعتقد بها اليهود والنصارى
معاً، فأبي استهزاء من الغربيين بنا سيكون ميزاناً لعقيدتنا في سادة الشهداء؟!
وكيف يكون الشعرُ مصدرًا لقوة هائلة بهذا المقدار؟!

ليس هذا فحسب، بل ينقل الكتاب المقدس عن أحد الأبطال من أبناء داود
أنه: هَزَّ رُمْحَهُ عَلَى ثَمَانِ مِئَةِ قَتَلَهُمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً^(٢).

فهذه هزة رُمح واحدة يقتل فيها ابن داود (ثمان مئة) دفعة واحدة!

(١) القضاة ١٦: ٤ و ١٧-٣٠.

(٢) صموئيل الثاني ٢٣: ٨.

ولكن.. قتالٌ مُضِنٌّ من قَمَرِ العَشِيرَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يمكن أن يوقع في أعدائه ما توقعه
هزّةٌ رُمحٍ واحدة!

إنها إزدواجيةٌ قاتلةٌ عند الحداثيين المنفتحين!

٢. النموذج الثاني: تقديس التربة الحسينية

إنَّ إضفاء طابع القداسة على بعض الجمادات، كتربة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ،
وأضرحة المعصومين عَلَيْهِ السَّلَامُ، والحجر الأسود، صارَ مَحَطَّ سخرية هؤلاء!
لكنَّ (يوشع بن نون) في الكتاب المقدس يقرُّ بأنَّ الحجر قد يكون شاهداً
على الناس، فما المانع من تقديسه؟!

ففي سفر يشوع: وَكَتَبَ يَشُوعُ هَذَا الْكَلَامَ فِي سِفْرِ شَرِيعَةِ اللَّهِ. وَأَخَذَ حَجْرًا
كَبِيرًا وَنَصَبَهُ هُنَاكَ تَحْتَ الْبَلُوطَةِ الَّتِي عِنْدَ مَقْدِسِ الرَّبِّ.
ثُمَّ قَالَ يَشُوعُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: «إِنَّ هَذَا الْحَجَرَ يُكُونُ شَاهِدًا عَلَيْنَا، لِأَنَّهُ قَدْ
سَمِعَ كُلَّ كَلَامِ الرَّبِّ الَّذِي كَلَّمَنَا بِهِ، فَيَكُونُ شَاهِدًا عَلَيْنَا لئَلَّا تَجْحَدُوا
إِلَهُكُمْ»^(١).

فلو قلنا أنَّ الحجر الأسود يشهد علينا لسخرنا منا! ولو قلنا أنَّ تربة الحسين
عليه السلام مقدسة لسخرنا منا! لكنَّ معتقدات الغرب المتطوِّر لا تختلف عنا في ذلك!
فكيف يكون هؤلاء معياراً؟!

(١) يشوع ٢٤: ٢٦-٢٧.

٣. النموذج الثالث: تأثر الكون بقتل الحسين

لو قلنا أن السماء بكت دماً على الحسين عليه السلام لسخرُوا منا، لكن الإنجيل يُحدِّثنا عن ثورةٍ في الطبيعة عند (قتل يسوع)^(١)، ثورةٌ ممكنة عند قتل يسوع (باعقادهم) ومستحيلَةٌ عند قتل الحسين عليه السلام!

ففي إنجيل متى عن صلب عيسى عليه السلام وقلته (باعقادهم): وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ.. فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ.

وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلٍ قَدْ انشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقٍ إِلَى أَسْفَلٍ. وَالْأَرْضُ تَرَلَزَلَتْ، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ، وَالقُبُورُ تَفْتَحَتْ، وَقَامَ كَثِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْقَدِيسِينَ الرَّاقِدِينَ. وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ قِيَامَتِهِ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ، وَظَهَرُوا لِكَثِيرِينَ^(٢).

وفي إنجيل لوقا: وَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ، وَانشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلٍ مِنْ وَسْطِهِ^(٣). فهل يمكن للكون أن يخضع للإنسان فعلاً؟! كما ردَّ الله الشمس لعلي عليه السلام، وأبكى الكون للحسين عليه السلام!؟

يقول الكتاب المقدس أن الشمس وقفت في كبد السماء، لا إكراماً لوصي

(١) نصَّ القرآن الكريم أن المسيح عليه السلام لم يُقتل، فقال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَتْبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (النساء: ١٥٧).

(٢) متى ٢٧: ٤٥-٥٣.

(٣) لوقا ٢٣: ٤٥.

النبي ﷺ، بل لكي ينتقم الشعب من أعدائه!

ففي سفر يشوع: حِينَئِذٍ كَلَّمَ يَشُوعُ الرَّبَّ، يَوْمَ أَسْلَمَ الرَّبُّ الْأُمُورَ لِيِنَّ أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ أَمَامَ عِيُونِ إِسْرَائِيلَ: «يَا شَمْسُ دُومِي عَلَى جَبْعُونَ، وَيَا قَمَرُ عَلَى وَادِي آيْلُونَ».

فَدَامَتِ الشَّمْسُ وَوَقَفَ الْقَمَرُ حَتَّى انْتَقَمَ الشَّعْبُ مِنْ أَعْدَائِهِ. أَلَيْسَ هَذَا مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ يَأَشَرَ؟ فَوَقَفَتِ الشَّمْسُ فِي كِبِدِ السَّمَاءِ وَلَمْ تَعْجَلْ لِلْغُرُوبِ نَحْوَ يَوْمٍ كَامِلٍ^(١).

٤. النموذج الرابع: عاشوراء والدماء

ينسبون عاشوراء للدموية! وينسون ما في الكتاب المقدس من نَشْرِ بالمناشير! ففي أخبار الأيام الأول عن داود عليه السلام: وَأَخْرَجَ الشَّعْبَ الَّذِينَ بِهَا وَنَشَرَهُمْ بِمَنَاشِيرٍ وَنَوَارِجِ حَدِيدٍ وَفُؤُوسٍ. وَهَكَذَا صَنَعَ دَاوُدُ لِكُلِّ مُدْنِ بَنِي عَمُّونَ^(٢).

وهذه دَمَوِيَّةٌ ينسبونها لأنبياء الله ورسله وهم منها براء، ثمَّ يعتقدون بها! بل يعتقد النصارى أنَّهم يأكلون جسد المسيح ويشربون دمه! عندما يتناولون قطعة من الخبز المغمسة في الخمر، بحيث يمثل الخبز جسد المسيح! والخمر دمه!

ففي كورنثوس الأولى: كَأْسُ الْبَرَكَاتِ الَّتِي نُبَارِكُهَا، أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمٍ

(١) يشوع ١٠: ١٢-١٣.

(٢) أخبار الأيام الأول ٢٠: ٣.

المسيح؟ الخبزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ، أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟^(١).
وقد يظنُّ القارئُ أنهم يقصدون معنىً مجازياً، لكنَّهم يبينون أنهم يقصدون
المعنى الحرفيَّ!

فيقول المطران يوحنا زيزيولاس: الإفخارستيا هي شركةٌ في جسد ودم
الرب! حيث يوزع الجسد والدم على المتناولين دون أن ينقسم المسيح إلى أجزاء
أثناء التوزيع! وإنما الذي يحدث هو أنَّ كلَّ متناولٍ يحصل على المسيح كله وعلى
الكنيسة كلها. وهنا لا يجب أن تدخل التفاصيل البيولوجية في فهم هذه
الحقيقة^(٢).

ويقول الراهب باسيليوس المقاري: الإفخارستيا: ومعناها الحرفي: الشكر.
هو السرُّ الَّذِي فِيهِ تَصِيرُ تَقْدِمَةُ الْخُبْزِ وَالْخَمْرِ بِحُلُولِ الرُّوحِ الْقُدْسِ، الْجَسَدِ
الْحَقِيقِيِّ وَالْدَمِ الْحَقِيقِيِّ لِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ^(٣).

ويتحدث عن: صيرورة الخبز والخمر المقدَّمين على المذبح بطريقة سرِّية
mystical جسد ودم الرب!

ثم يؤكِّد على الفهم البشريِّ لكلمات المسيح هذه: بمنتهى القوة والوضوح..
مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ^(٤).

فأيهم يتصف بالدموية؟! من يواسي الحسين عليه السلام بإسالة بعض الدماء من

(١) كورنثوس الأولى ١٠: ١٦.

(٢) كتاب الوجود شركة ص ١١١.

(٣) كتاب إيماننا المسيحي ج ٢ ص ٤٤٤.

(٤) كتاب إيماننا المسيحي ج ٢ ص ٤٤٥.

رأسه؟! أم من يعتقد أنه يشرب دم المسيح ﷺ على نحو الحقيقة لا المجاز؟! بفهم بشري وبمتهى القوة والوضوح!

عود على بدء

هذه عيناتٌ يسيرةٌ مما في الكتاب المقدس، وهي ليست دليلاً على عقيدتنا بوجه.. فلعمادتنا أدلتها التامة من العقل والكتاب والسنة، تُراجِعُ في مظانها. ومن كان منكرًا على التوراة والإنجيل كما ينكر علينا فلا حاجة له بهذا الكلام، لكن ليس له أن يصفنا بالتخلف مقابل الغرب المتحضر بسبب اعتقاداتنا، فإن كان منصفًا راجِعَ أدلتنا ونظر فيها بعين الإنصاف ورأى أننا لا نعتقد إلا بما قام الدليل عليه.

فلتكفَّ ألسُنُ ما برحت تسخر من أولياء الله تعالى، ومن المؤمنين ومن عقيدتهم: ﴿إِنْ تَسْحَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْحَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْحَرُونَ﴾^(١). هذا خطابنا لمن يُطلقُ أبواقه علينا من الحداثيين في كل عاشوراء! أمَّا ضعاف النفوس فنقول لهم:

كفوا ألسنتكم ودعوا المؤمنين على ما هم عليه.. ولا تشوشوا عليهم في كل مناسبة.. فلئن سَلَبت ألبابكم المدنية الحديثة كما تزعمون، وكنتم من أهلها، فما بالكم تخالفون الحرية التي تقدّمها، وتريدون إرغام الناس على تبني أفكاركم؟! ألا تنص المواثيق الدولية على أن: (لكل شخص حق التمتع بحرية الرأي

والتعبير، ويشمل هذا الحقُّ حرَّيته في اعتناق الآراء دون مضايقة؟!
فكُفُّوا أيديكم وذروا هؤلاء المؤمنين دون مضايقة فكرية ونفسية وروحية
وجسدية.

أنتم أضعف من أن يكون لكم صوتٌ عندما تفتح أبواب المنطق والحوار..
فتجنبوا سفاسف الأمور، لأنَّ من طرق الباب سَمِعَ الجواب، ولسنا كالنصارى
من أدار لنا خدًا أدرنا له الآخر.

نحن قومٌ لا نسكتُ على ضميم، ولا نخجل بما عندنا، إذ يقفُ إلى صَفْنَا حُكْمُ
العقل والدين، وقوانينكم الوضعية المعاصرة.

إنَّ حجتنا تامةٌ بحمد الله، وحجة المخالفين على شفا جرفِ هار.

فالحمد لله الذي أنار صدورنا بنور العلم والفهم، وقال لنا: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا
تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١).

لقد وعدنا الله بوهن كيد أعداء الدين من الكافرين، يتبعهم أذناهم، فقال
تعالى: ﴿اللَّهُ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾^(٢).

وفق الله الشيعة في كل مكان، وجمع كلمتهم خلف راية الإمام المهدي
الموعود عليه السلام. والحمد لله رب العالمين^(٣).

(١) آل عمران ١٣٩.

(٢) الأنفال ١٨.

(٣) ٢٥ ذي الحجة ١٤٤٠ للهجرة.

٣٠. أساطير الشيعة.. في عاشوراء!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَطَوَّلُ أَيَّامُ الْحُزَنِ وَالْعِزَاءِ، وَالتَّفَجُّعِ وَالْبِكَاءِ، عَلَى سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى كَلِمَاتِ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَتُوقَفُهُ عِبَارَتَانِ:

الأولى: لَا يَوْمَ كَيَوْمِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ.. وَهِيَ عِبَارَةُ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ الْحَسَنِ

الْمَجْتَبَى عَلَيْهِ السَّلَامُ (١).

والثانية: فَمَنْ يَتَهَنَأُ مَعَ هَذَا بِطَعَامٍ أَوْ بِشَرَابٍ أَوْ نَوْمٍ.. وَهِيَ عِبَارَةُ الْإِمَامِ

الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢).

هِيَ مُصِيبَةٌ لَيْسَ لَهَا مَثِيلٌ، يَتَأَلَّمُ لَهَا الْإِمَامُ الْمَعْصُومُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ يَتَأَلَّمُ لَهَا الْمُؤْمِنُ الشَّيْعِيُّ، أَلَيْسَ مِمَّنْ خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ طِينَةِ الْأُئِمَّةِ، حَتَّى وَرَدَ عَنْهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ عَادَى شِيعَتَنَا فَقَدْ عَادَانَا، وَمَنْ وَالَاهُمْ فَقَدْ وَالَانَا، لِأَنَّهُمْ مِنَّا خُلِقُوا، مِنْ طِينَتِنَا.. أُولَئِكَ أَهْلُ الْإِيمَانِ وَالتَّقَى، وَأَهْلُ الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى (٣).

أَهْلُ الْإِيمَانِ هُوَ لَآءِ هُمْ أَهْلُ الْقُلُوبِ الْمُنْكَسِرَةِ فِي أَيَّامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُمْ الَّذِينَ يَبْكَونَهُ رَحْمَةً وَشَفَقَةً وَحُبًّا لَهُ، وَتَنْقَلِبُ أَحْوَالُهُمْ فِي ذِكْرِهِ.

يَنْظُرُ لَهُمُ الْمُخَالَفُ فِي أَيَّامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَتَوَهَّمُ أَنَّهُمْ غَارِقُونَ فِي الْأَسَاطِيرِ، وَأَنَّ هُمْ مِنْ أَهْلِ الْغُلُوِّ وَالْإِفْرَاطِ، فِي الْعَقِيدَةِ وَالْعَمَلِ.

(١) الأُمَالِي لِلصَّدُوقِ ص ١١٦.

(٢) كَامِلُ الزِّيَارَاتِ ص ٩٢.

(٣) فَضَائِلُ الْأَشْهُرِ الثَّلَاثَةِ ص ١٠٥.

أما في العقيدة، فحينما يعتقدون بأنَّ الكون قد بكى الحسين عليه السلام، ويظنُّها المخالفُ أساطيرَ للشيعة كأساطير الأمم المندثرة!
 وأما في العمل، فحينما تتعطلُّ مظاهر الحياة في يوم شهادته عليه السلام، فيظنُّ المخالف أنَّ الشيعة ما عادوا من أهل التعقُّل بذلك!
 لكنَّ للشيعة ههنا بُحوراً من المعارف، وقوافل من الأدلَّة تترى وتتلاحق.
 فإنَّهم يرفعون وحشة السائل بوجوه قرآنيَّة، بعدما ارتضوا أن يكون القرآن الكريم حكماً بينهم وبين مخالفهم، ويكشفون أصولاً قرآنيَّة لعقيدتهم تجعلها في غاية المتانة، ومن هذه الوجوه:

الوجه الأول: الجبال تخشى الله!

قال تعالى:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(١).
 هل للجبل نوع إدراكٍ حتى يصير خاشعاً من خشية الله؟! أم يُراد من الآية لسان الحال فلا يكون الجبل خاشعاً حقيقةً؟!

إنَّ ما تركنُ إليه النَّفس هو كون خشية المخلوقات لله خشيةً حقيقيَّةً جليَّةً في مواردِها، فلو أنزل الله القرآن على الجبل ﴿لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا﴾، أي لظهر الخشوع عليه، وأصابه التصدُّع من الخشية، وبهذا ينسجم إدراك الجبل لعظمة الله تعالى وعظمة كلامه مع خشيته حقيقةً.

ولذا لا يستغربُ المؤمن عندما يدعو الله تعالى في أول أيام شهر رمضان المبارك فيقول: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْ خَشِيَّتِهِ:

١. تَرَعُدُ السَّمَاءُ وَسُكَّانُهَا

٢. وَتَرَجُفُ الْأَرْضُ وَعَمَّارُهَا

٣. وَتَمُوجُ الْبِحَارُ وَمَنْ يَسْبَحُ فِي عَمْرَاتِهَا^(١).

فليست خَشِيَّةُ السماوات وسكانها، والأرض وعمَّارها لله تعالى من الأساطير بحالٍ من الأحوال، فإنَّ لذرات هذا الكون نوعٌ إدراكٍ لخالقها وعظمتها، تجعلها تخشع أمامه عزَّ وجلَّ، في مشهدٍ لا يتمكَّنُ ضعيفُ الإيمان من إدراكه، وإن نطق به القرآن الكريم.

الوجه الثاني: كلُّ شيء يسبح الله!

قال تعالى:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٢).

لقد أثبتت هذه الآية أنَّ كلَّ شيءٍ يُسَبِّحُ الله تعالى، بما في ذلك السماوات والأرض وسائر الجمادات، وإن لم (نفقه) تسبيحهم.

(١) تهذيب الأحكام ج ٣ ص ١١٠.

(٢) الإسراء ٤٤.

الوجه الثالث: الجمادات تسجد لله!

قال تعالى:

﴿الْمُتَرَّانَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ
العَذَابُ﴾^(١).

لقد كشفت هذه الآيات وأمثالها عن نظام كوني رهيب، يغفل الإنسان عنه غفلة تامّة، حيث تخضع كل ذرّة من ذرات هذا الكون العظيم لبارئها، وتخضع من عظمتها، وتخشاها وتسبحه وتسجد له!

فأينما أدت طرفك تجد مخلوقات الله تعالى، التي تأتمر بأمره وتنتهي عن نهيّه، إلا من حقّ عليه العذاب من العصاة، الذين لو شاء الله لعجزهم عن معصيته، ومنعهم من التصرف بذواتهم، بعدما أقدرهم على ذلك، وهل اقتدر الإنسان بغير إقدار الله تعالى له؟!!

هكذا يفهم المؤمن أيضاً لماذا نُحِبُّه الأرض التي يمشي عليها فتقول له بعد وفاته: **وَاللّٰهُ لَقَدْ كُنْتُ أَجِبُّكَ وَأَنْتَ تَمْتِنِي عَلَى ظَهْرِي**^(٢).

ترتبط العوالم وتناسق إذاً في خلقٍ بديعٍ عظيمٍ حثنا تعالى على التدبّر فيه مراراً، ثم جعل عزّ وجلّ لذلك أثراً عظيماً، حيث ورد في الحديث: **مَنْ خَافَ اللَّهَ**

(١) الحج ١٨.

(٢) الكافي ج ٣ ص ١٣٠.

أَخَافَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ^(١). وهو ما يفتحُ البابَ واسعاً أمامَ الوجهِ الرابعِ.

الوجه الرابع: بكاء السماء والأرض في القرآن!

قال تعالى عن قوم فرعون:

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾^(٢).

هؤلاء قومٌ عُصاة، لا تبكي عليهم السماء والأرض، ولا يخافون الله فلا يُخيف منهم كلَّ شيءٍ.

لكنَّ للصفوة والكُمَّلِ حالٌ آخر، حيث قال أمير المؤمنين عليه السلام لما مرَّ عليه الحسين عليه السلام:

لَكِنْ هَذَا لِيَبْكِيَنَّ عَلَيْهِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ^(٣).

لا عَجَبَ إِذَا أَنْ تَبْكِي السَّمَاءُ الْحُسَيْنَ عليه السلام، فهو والعترة الطاهرة أقرب الناس لله تعالى، والسماء لا تبكي على قوم فرعون لأنَّهم عُصاة لا يستحقون ذلك، لكنَّها تبكي الحسين الشهيد المظلوم العطشان، أحبَّ الناس إلى الله تعالى مع جدِّه وأبيه، وأمه وأخيه، والتسعة من ذريته وبنيه عليهم السلام.

حَقَّ أَنْ تَبْكِيَهُمُ السَّمَاءُ، وهذا القرآن يُرشدُ إلى أَنَّ بكاء السماء ليس أسطورةً يختصُّ بها الشيعة، إِنَّه واقعٌ وحَقٌّ كتسبيحها الذي لا نفقهه.

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٨.

(٢) الدخان ٢٩.

(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ٢٩١.

ثم لا يتعجبُ المؤمن من ذلك، وقد ورد عن النبي ﷺ قوله لابن مسعود: اعلم أن الله تعالى خلقني وخلق علياً من نور عظمته قبل أن يخلق الخلق بالفي عام...:

١. فَفَتَقَ نُورِي فَخَلَقَ مِنْهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ..

٢. وَفَتَقَ نُورَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَخَلَقَ مِنْهُ الْعَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ..

٣. وَفَتَقَ نُورَ الْحَسَنِ فَخَلَقَ مِنْهُ اللَّوْحَ وَالْقَلَمَ..

٤. وَفَتَقَ نُورَ الْحُسَيْنِ فَخَلَقَ مِنْهُ الْجَنَانَ وَالْحُورَ الْعَيْنَ^(١).

الكون مخلوق من نورهم ﷺ، فلا عجب أن يبكي لما جرى عليهم. يبين المؤمن ذلك، ثم لا يكثر كثيراً إذا ما كُذِّب، فلقد كُذِّبَ الرُّسُلُ من قبل من بعدما أتوا بالآيات، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاؤُكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٢).

فليس هؤلاء ممن أراد الإيمان مهما رأوا من الحقائق، حتى لو كُشِفَ لهم الغطاء: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٣).

وقد بين القرآن الكريم ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن إذا ما واجه هؤلاء، حينما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(٤).

(١) الفضائل ص ١٢٩.

(٢) الأنعام ٢٥.

(٣) الأنعام ٢٨.

(٤) النمل ٧٠.

والمؤمن يعلم بتعليم الله أنه تعالى موهن كيد الكافرين: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١).

هذا حال من يكذب بآيات الله، ويزعم أنها أساطير الأولين.

فما حال من يكذب بآل محمد ﷺ وهم أعظم آيات الله وأكملها؟!!

فليرتقب المكذبون.. أجارنا الله منهم ومن مكائدهم.

والحمد لله رب العالمين^(٢).

(١) النحل ٢٦.

(٢) الإثنين ٢٦ صفر ١٤٤٣ هـ الموافق ٤ - ١٠ - ٢٠٢١ م.

٣١. هل قتل الحسين؟ أم رفعه الله إليه؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا﴾^(١).

قتل الحسين عليه السلام مظلوماً، وصار الإمام الحجة الغائب عليه السلام وليه، والإمام كالنبي صلى الله عليه وآله، موعودٌ بنصر الله تعالى في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام في الآية المباركة قال: (الحسينُ بنُ عليٍّ منهم)، ولم يُنصر بعدُ، ثم قال: والله لقد قُتِلَ قِتْلَةُ الحُسَيْنِ عليه السلام ولم يُطلبْ بدمِهِ بعدُ^(٣).

ولكن.. هل قُتِلَ الحسين فعلاً؟! حتى صار المهديُّ وليه؟!

يقول قائلٌ:

أيُّ سؤال هذا؟! هل من شكٍّ في ذلك؟ وهل من قائل بأنه لم يُقتل؟!

نقول:

نعم.. لقد رَعِمَ شَرُّ خلق الله تعالى أن الحسين عليه السلام لم يُقتل!

إنَّ قاتل الحسين عليه السلام معروفٌ ملعونٌ مذمومٌ لا يجد من فعلته مفرّاً في الدنيا والآخرة، إلا أن يقول القاتل بأن الحسين لم يُقتل.. وهو عاجزٌ عن ذلك، فتكفَّل

(١) الإسراء ٣٣.

(٢) غافر ٥١.

(٣) كامل الزيارات ص ٦٣.

بهذا القول فتةٌ من الناس تتحل مودة الآل الأطهار!! وهم منهم براء!
 نعم، لقد ذهب قومٌ من الغلاة إلى أن الحسين عليه السلام لم يقتل! ونسبوا هذا
 القول للأئمة المعصومين عليهم السلام!

ومن ذلك ما ورد في الكتاب المنسوب إلى بعض طوائفهم (الهفت الشريف)
 أو (الهفت والأظلة)، ففيه: (وكان الحسين بن علي أكرم على الله من أن يذيقه
 الحديد على أيدي الكفرة، وحاشا أن يذيقه حرَّ الحديد.. وإنما الحسين مثله كمثل
 المسيح، وقوله تعالى: وقولهم إنا قتلنا المسيح.. وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه
 لهم!)^(١).

وفيه: (فلما اجتمعوا على الحسين ليذبحوه خرَّج من بدنه ورفع الله اليه،
 ومنع الأعداء منه!)^(٢).

كيف يتفاوت حال هذه الأمة في أوضح قضاياها؟! حتى يقال أن الحسين
 لم يقتل؟! ما حال مثل هذه الأمة؟!

لقد سئل الإمام الصادق عليه السلام كيف صار يوم عاشوراء يوم بركةٍ عند أكثر
 المسلمين، فبيّن أن الناس في الشام قد تقرّبت إلى يزيد لعنه الله بوضع الأخبار
 واختلاقها، وأخذوا على ذلك الجوائز والأموال، وكان مما وضعوا أن يوم
 عاشوراء يوم بركة، ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء إلى الحزن والفرح.

أيفرح المسلمون بقتل ابن بنت نبيهم؟!

(١) الهفت والأظلة ص ٩٢.

(٢) الهفت والأظلة ص ٩٦.

أيصير (أعظم الأيام مصيبةً) يوم فرح وسرور عند المسلمين؟!
نعم لقد صار ذلك.. ولكن..

هل هناك ما هو أضرُّ على الإسلام من أن يُتخذ هذا اليوم يوم فرح عند المسلمين وهو يوم الفاجعة والمصيبة والجزع؟!
نعم..

يشير الصادق عليه السلام إلى ما هو أضرُّ على الإسلام من كل ذلك فيقول عليه السلام:
وَإِنَّ ذَلِكَ لَأَقْلُّ ضَرَرًا عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِيهِ، (مما) وَضَعَهُ قَوْمٌ انْتَحَلُوا مَوَدَّتَنَا،
وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ يَدِينُونَ بِمُؤَالَاتِنَا وَيَقُولُونَ بِإِمَامَتِنَا، زَعَمُوا أَنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ
يُقْتَلْ!! وَأَنَّهُ شُبَّهَ لِلنَّاسِ أَمْرُهُ كَعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ!!
كيف صار هذا أعظم؟!!

يقول الإمام عليه السلام: فَلَا لَأَيْمَةَ إِذْنٍ عَلَى بَنِي أُمِّيَّةَ وَلَا عَتَبَ عَلَى زَعَمِهِمْ!^(١)
إِذَا أُيِّ ذَنْبٍ لِبَنِي أُمِّيَّةَ فِي قَتْلِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنْ لَمْ يُقْتَلْ بَلِ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ؟!
وَأَيُّ لَوْمٍ وَعَذَابٍ يَسْتَحِقُّهُ هَؤُلَاءِ فِي وَقْعَةِ الطِّفْلِ إِنْ كَانَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا
ذَاقَ طَعْمَ الْحَدِيدِ عَلَى أَيْدِيهِمْ؟!
أوليس في هذا القول تبرئة لبني أمية وأتباعهم وأعوانهم بما لا يقدر حتى
الأمويون على التلفظ به؟!!

والقائلون بهذا قوم: (انْتَحَلُوا مَوَدَّتَنَا، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ يَدِينُونَ بِمُؤَالَاتِنَا

(١) علل الشرائع ج ١ ص ٢٢٧.

وَيَقُولُونَ بِإِمَامَتِنَا!!

أليس في هذا تكذيبٌ للنبي ﷺ وللأئمة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟!
وَمَنْ كَذَبَهُمْ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَدَمُهُ مُبَاحٌ لِكُلِّ مَنْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ.
فإن قيل:

بلاء الشيعة فيهم إذاً ومنهم!!

فهؤلاء الذين يتحلون المودة هم من الشيعة، وهم أضُرُّ على الإسلام وأهله
من الوضاعين الذين يبغون تبديل العزاء بالفرح في يوم عاشوراء.

قلنا:

لقد تبرأ الإمام ﷺ من هؤلاء لما نُسِبوا للتشيع فقال: مَا هَؤُلَاءِ مِنْ شِيعَتِي
وَإِنِّي بَرِيٌّ مِنْهُمْ.. لَعَنَ اللَّهُ الْغُلَاةَ وَالْمَفْؤُصَةَ^(١).

فَفَرَّقَ الْغُلَاةَ هَذِهِ لَيْسَتْ مِنَ التَّشِيعِ فِي شَيْءٍ، وَالْإِمَامُ بَرِيٌّ مِنْهُمْ كِبْرَاءَتُهُ
مِنْ بَنِي أُمِيَّةَ.

بل حذر الإمام الشيعة من هؤلاء بقوله: احذروا على شبابكم الغلاة، لا
يُفْسِدُونَهُمْ، فَإِنَّ الْغُلَاةَ شَرُّ خَلْقِ اللَّهِ، يُصَغَّرُونَ عَظَمَةَ اللَّهِ، وَيَدَّعُونَ الرُّبُوبِيَّةَ لِعِبَادِ
اللَّهِ، وَاللَّهُ إِنَّ الْغُلَاةَ شَرُّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا^(٢).

نعم هؤلاء شرُّ من اليهود والنصارى!

رغم ذلك يتحلون مودة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ!

(١) علل الشرائع ج ١ ص ٢٢٧.

(٢) الأماي للطوسي ص ٦٥٠.

لقد رَفَعَ الصادق عليه السلام شُبَهَتَهُمْ، وَبَيَّنَّ كُفْرَهُمْ، ثُمَّ كَرَّرَ ذَلِكَ وَلِيُّ دَمِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ صَلَوَاتِ رَبِّي وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ، فِي تَوْقِيعِهِ الشَّرِيفِ لِسَفِيرِهِ الْعَمْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ حِينَ قَالَ: وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْحُسَيْنَ عليه السلام لَمْ يُقْتَلْ فَكُفْرٌ وَتَكْذِيبٌ وَضَلَالٌ^(١).

إِذَا تَبَيَّنَ هَذَا.. وَتَبَّهَ الْمُؤْمِنَ إِلَى حَدِيثِ الْإِمَامِ عليه السلام: أَحْذَرُوا عَلَيَّ شَبَابِكُمْ الْغُلَاةَ، لَا يُفْسِدُونَهُمْ.. عَلِمَ أَنَّ شَرَّ الْخَلْقِ يَسْعُونَ لِإِفْسَادِ شَبَابِ الشَّيْعَةِ، وَيُشَارِكُهُمْ فِي هَذَا السَّعْيِ فَنَاتٌ وَفَنَامٌ.

وَلَئِنْ كَانَتْ فَرْقُ الْغُلَاةِ مَنْدَثِرَةٌ أَوْ تَكَادُ فِي أَيَامِنَا، فَإِنَّ الْحَذَرَ لَازِمٌ مِمَّنْ يَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِمْ، وَيَسِيرُ عَلَى نَهْجِهِمْ.

وَكَيْفَ النِّجَاةُ لِشَبَابِ الشَّيْعَةِ مَا لَمْ يُحْكَمُوا عَقِيدَتَهُمْ؟! بَعْلُومِ آلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام، وَيَنْقَطِعُوا إِلَى خَالِقِهِمْ.

الْيَوْمَ.. يَأْتِي الْفُسَادُ شَبَابَنَا مِنْ كُلِّ حُدْبٍ وَصُوبٍ: مِمَّنْ يَجَاهِرُ بِعِدَاوَةِ الْأَطْهَارِ عليهم السلام، وَمِمَّنْ يَنْتَحِلُ مَوَدَّتَهُمْ! فَالْيَوْمَ كَالْأَمْسِ..

كَمْ يَنْبَغِي الْحَذَرَ الْيَوْمَ مِنْ صَاحِبِ كُلِّ دَعْوَةٍ؟! وَرَافِعِ كُلِّ رَايَةٍ!

وَكَمْ هِيَ الرِّيَاطُ الْمَشْتَبِهَةُ فِي زَمَانِنَا؟!!

أَنْتَرُكُ رَايَةَ الْإِيْمَانِ الَّتِي رَكَزَهَا فِينَا عَلِي الْمَرْتَضَى وَبَنُوهُ عليهم السلام؟!!

أَنْتَبِيهُ وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ؟!!

أَنْسَارُ عُلُوشِ الْآرَاءِ وَكِبْسِ الشَّبَهَاتِ وَنَغْفَلِ عَنْ بَابِ عِلْمِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله؟

(١) كمال الدين وقام النعمة ج ٢ ص ٤٨٤.

إِنَّ ضَعْفَ الْعَقِيدَةِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ هُوَ الَّذِي يُمَكِّنُ الْغَلَاةَ مِنْ بَثِّ السَّمُومِ،
وَنَشْرَ الْفَسَادِ وَالْكَفْرِ، فَكَمْ عَلَيْنَا الْحَذْرُ مِمَّا حَذَرْنَا مِنْهُ الْإِمَامَ الْمُعْصُومَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟!
وَإِذَا كَانَ أَمْرُهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْبَنَ مِنَ الشَّمْسِ.. فَهَلْ يَتِيهُ عَنْهُ إِلَّا مَنْ اسْتَحَبَّ
الْعَمَى عَلَى الْهُدَى!؟

إِنَّا نَعِيشُ فِي زَمَنِ فَقَدَ فِيهِ الْإِمَامَ الْخَامِسَ مِنْ وَلَدِ الْإِمَامِ السَّابِعِ، فَصَارَ
لِزَامًا عَلَيْنَا أَنْ نَنْتَبِهَ كَمَا نَبَّهْنَا الْإِمَامَ الْكَاطِمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا فَقَدَ الْخَامِسُ مِنْ وُلْدِ السَّابِعِ
فَاللَّهُ فِي أَدْيَانِكُمْ، لَا يُرِيْلُكُمْ عَنْهَا أَحَدًا!

يَا بُنَيَّ إِنَّهُ لَا بُدَّ لِصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ غَيْبَةٍ حَتَّى يَرْجِعَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ مَنْ
كَانَ يَقُولُ بِهِ، إِنَّمَا هِيَ مِحْنَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ امْتَحَنَ بِهَا خَلْقَهُ.
لَوْ عَلِمَ آبَاؤُكُمْ وَأَجْدَادُكُمْ دِينًا أَصَحَّ مِنْ هَذَا لَاتَّبَعُوهُ^(١).

اللهم احفظنا بحفظك، ولا تجعلنا ممن يرجع عن أمر الإمامة والولاية،
وأعظم لنا أجرنا في شهادة وليك سيد الشهداء عَلَيْهِ السَّلَامُ، واجعلنا من الطالبين بثاره
مع وليه المنتظر عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَجَّلْ فَرَجَهُ وَسَهِّلْ مَخْرَجَهُ.. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٢).

(١) الكافي ج ١ ص ٣٣٦.

(٢) ١٤ صفر ١٤٤٢ للهجرة الموافق ٢-١٠-٢٠٢٠م.

٣٢. المسيح هو الله؟ أم الحسين؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ^(١) ..

هذه عبارة ذُكِرَتْ في العهد الجديد من الكتاب المقدَّس، اعتمد النصارى عليها وعلى أمثالها للاعتقاد بالوهية عيسى عليه السلام.

ضُمَّتْ إليها نصوصٌ أخرى، دَلَّتْ على بنوَّة المسيح لله تعالى، كما في مطلع إنجيل مرقس: **بَدَأُ إِنْجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللَّهِ^(٢)**.

فصار المسيح عند هؤلاء هو الله! وابن الله!

كان حُكْمُ القرآن الكريم بالكفر واضحاً على هؤلاء: **﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾** **﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾**^(٣).

لم يكن في هذا الحُكْم لبسٌ أو تشويش، وكان أصحاب هذا الاعتقاد ممن غضب الله عليهم فيمن غضب.

وقد رُوِيَ عن سيِّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء: **لَمَّا زَحَفَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ إِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى حَيْثِهِ وَقَالَ: اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ:**

١. **عَلَى الْيَهُودِ إِذْ جَعَلُوا لَهُ وَلَدًا.**

(١) ثيموثاوس الأولى ٣: ١٦.

(٢) مرقس ١: ١.

(٣) المائدة ٧٢-٧٣.

٢. وَعَلَى النَّصَارَى إِذْ جَعَلُوهُ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ.

٣. وَعَلَى الْمَجُوسِ إِذْ عَبَدُوا الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دُونَهُ.

٤. وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَى قَوْمٍ اتَّفَقَتْ عَلَى قَتْلِ ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّهِمْ^(١).

فلماذا أشرك الإمام قاتليه مع اليهود والنصارى والمجوس؟! وعدهم ممن اشتد غضب الله عليهم؟! وصاروا كمن أنكر التوحيد؟!

ههنا نستذكر كلماتٍ عظيمةٍ وردت في زيارة أوفى الأصحاب وخيرهم، شهداء الطف، ورد فيها:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الذَّابُّونَ عَنِ تَوْحِيدِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ^(٢)..

هؤلاء الصابرون إذا كانوا في مقام الذب عن توحيد الله، وهم يدفعون عن إمامهم الذي أمروا بطاعته.

لقد ثبت في محله أن معرفة الله تعالى مقرونة وموقوفة على معرفة الإمام، وأن من لم يعرف الإمام فإنها يعرف ويعبد غير الله^(٣)، فصار الذب عن الإمام ذباً عن معرفة الله وتوحيده.

لم يخاطب الإمام الحسين عليه السلام أعداءه يوم الطف بقوله: لَقَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكُمْ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاكُمْ ذِكْرَ اللَّهِ الْعَظِيمِ..

(١) مثير الأحزان ص ٥٨.

(٢) المزار الكبير ص ٤٢٥.

(٣) عرفان آل محمد عليهم السلام ص ٧٣.

هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين^(١).

لم يجهر هؤلاء بتكذيب النبي ﷺ؟! فقال ابن زياد للسيدة الجليلة زينب
عليها السلام: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب أهدوثكم^(٢).

لم يتمثل إمامهم يزيد بالقول المعروف:

لعبت هاشم بالملك فلا *** * خبر جاء ولا وحي نزل

وكان ماله إلى الكفر والجحود وإنكار الوحي ونزوله، فهل يؤمن برب
محمد ﷺ من ينكر محمداً ﷺ؟! وهل يؤمن بالإله الباعث للرسل من أنكر
بعثة سيد الرسل؟!

وإذا كان قتل الحسين عليه السلام من أعظم الأحداث التي تستوجب غضب الله
تعالى، كما يستوجب شدة غضبه اعتقاد اليهود والنصارى والمشركين، فإن هناك
فئة شر عند الله من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، كما نص على
ذلك الصادق عليه السلام، أولئك هم الغلاة الذين: يُصَغَّرُونَ عَظَمَةَ اللَّهِ، وَيَدَّعُونَ
الرُّبُوبِيَّةَ لِعِبَادِ اللَّهِ^(٣).

هذه كلمة عظيمة: (يُصَغَّرُونَ عَظَمَةَ اللَّهِ)!

هؤلاء يقيسون الله بعقولهم، وينزلون مقام الربوبية إلى مرتبة العبودية،
فيدعون الربوبية لعباد الله!

(١) مناقب آل أبي طالب عليه السلام ج ٤ ص ١٠٠.

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ١١٥.

(٣) الأماي للطوسي ص ٦٥٠.

ولكن.. ألم يدع النصارى الربوبية لعيسى عليه السلام وهو عبد الله ورسوله؟! بل فعلوا.. لكنهم لم ينسبوا هذه العقيدة لسيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله ولا للأئمة المعصومين عليهم السلام.

أما الغلاة فقد فعلوا ذلك.. فقالوا أن الحسين عليه السلام هو الله! الحسين وأصحابه هم (الذَّابُونَ عن توحيد الله)، والغلاة يزعمون أن الحسين هو الله! فهم يسعون في إبطال التوحيد وتصغير عظمة الله عزَّ وجلَّ! لقد ورد في كتاب (الهفت والأظلة) المنسوب لبعض فرق الغلاة: (وإنَّ الحسين لما خرج إلى العراق وكان الله محتجب به! وصار لا ينزل منزلاً صلوات الله عليه إلا ويأتيه جبرائيل فيحدثه، حتى إذا كان اليوم الذي اجتمعت فيه العساكر.. حينئذ دعا مولانا الحسين جبريل، وقال له: يا أخي من أنا؟ قال: أنت الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم والمميت والمحيي! أنت الذي تأمر السماء فتطيعك والأرض فتنتهي لأمرك والجبال فتجيبك)^(١). لقد ذهب هؤلاء إلى أن الامام يدخل في الأبدان طوعاً وكرهاً ويخرج منها إذا شاء طوعاً وكرهاً كما ينزع أحدكم جبته وقميصه! وأنهم: (لما اجتمعوا على الحسين ليذبحوه خرج من بدنه ورفع الله اليه، وَمَنَعَ الأعداء منه!)^(٢).

لقد فُشِلَ المشركون في إبطال عقيدة التوحيد، كما فشل اليهود والنصارى

(١) الهفت والأظلة ص ٩٧.

(٢) الهفت والأظلة ص ٩٦.

والمجوس، ولم ينجح أيضاً يزيد بن معاوية بذلك حتى لما قتل سيّد الشهداء عليه السلام، فجاء هؤلاء الغلاة ليكملوا مسيرة أعداء التوحيد! وزعموا أن الحسين هو الله! فكانوا ممن اشتد غضب الله عليه!

وَتَبِعَهُمْ فِي ذَلِكَ جَمْعٌ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ، وَفَنَاءٌ مِنَ الْعُرَفَاءِ: سُنَّةٌ وَشِيعَةٌ، حَتَّى زَعَمُوا أَنَّ الْعَارِفَ يَصْبِحُ (ذَاتَ اللَّهِ)!^(١).

وَأَنَّ الْاِثْنَيْنِيَّةَ تَرْتَفِعُ بَيْنَ الْعَارِفِ وَبَيْنَ اللَّهِ!^(٢).

يستشهد خيرُ أصحابٍ للذّبِّ عن توحيد الله: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الذَّابُّونَ عَنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ)، ثُمَّ يَضْحِكُ بَعْضُنَا بِالتَّوْحِيدِ عَلَى مَذْبَحِ الْغَلَاةِ وَالتَّصَوُّفَةِ وَجَمْعٍ مِنَ الْعُرَفَاءِ الْمُتَسَبِّبِينَ لِلتَّشْيِيعِ!

فَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ الْقَائِلِ بِأَنَّ عِيسَى عليه السلام هُوَ اللَّهُ! وَأَنَّ الْحُسَيْنَ عليه السلام هُوَ اللَّهُ! وَأَنَّ الْعَارِفَ هُوَ اللَّهُ! بَلْ أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ مَنْ يَتَّخِذُ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا، وَبَيْنَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ؟! نَعَمْ إِنَّ مَنْ نَسَبَ ذَلِكَ إِلَى الْمُعْصُومِينَ وَكَانَ يُظْهِرُ مَوَدَّتَهُمْ كَانَ أَشَدَّ سَوْءًا. أَمَا رَوَى أَنَّ أَهْلَ الْكُذْبِ عَلَى الْمُعْصُومِينَ: أَضْرُّ عَلَى ضَعْفَاءِ شِيعَتِنَا مِنْ جَيْشِ يَزِيدَ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام وَأَصْحَابِهِ!

وَأَتَمُّهُمْ: يُدْخِلُونَ الشَّكَّ وَالشُّبُهَةَ عَلَى ضَعْفَاءِ شِيعَتِنَا فَيُضِلُّوهُمْ!^(٣).

ولئن كانت الشبهة موهونةً من اليهود والنصارى، والمجوس والمشرّكين،

(١) الشمس المنيرة ص ٢٧ وغيره.

(٢) صوم الوصال ص ٢٠٠ وغيره.

(٣) الاحتجاج ج ٢ ص ٤٥٧.

فَإِنْ مَنْ تَشَبَّهَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الشُّكِّ وَالشُّبْهَةِ عَلَى ضَعْفَاءِ الشَّيْعَةِ، كَانَ أخطرَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.. حَالُهُ حَالُ الْغَلَاةِ، شَرٌّ خَلَقَ اللَّهُ!
فَكَمْ يَلْزَمُ الْحَذَرَ مِنْ دَعَائِمِ الْكُفْرِ الْأَرْبَعَةِ: الْفِسْقِ وَالْغُلُوِّ وَالشُّكِّ وَالشُّبْهَةِ! (١).

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (٢)، وَالسُّبُلُ الْمَتَفَرِّقَةُ هِيَ مَدَارِسُ الضَّلَالِ وَالْإِنْحِرَافِ، أَمَّا صِرَاطُ الْحَقِّ الْمُسْتَقِيمِ: فَهُوَ طَرِيقُ مُحَمَّدٍ وَعَلِيِّ وَآلِهِمُ الْأَطْهَارِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّنْ زَعَمَ أَنَّ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ اللَّهُ، وَمِمَّنْ زَعَمَ أَنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ اللَّهُ، وَمِمَّنْ زَعَمَ أَنَّ الْعَارِفَ هُوَ اللَّهُ، وَمِمَّنْ زَعَمَ أَنَّ أَهْلَ الشُّكِّ وَالشُّبْهَةِ، وَمِمَّنْ زَاغَ عَنْ سَبِيلِكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَتَّبِعُ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، وَاحْفَظْنَا مِنَ الزَّلَلِ، وَأَبْعِدْنَا عَنْ شَرِّ خَلْقِكَ، وَاحْفَظْنَا وَأَهْلَنَا وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ التَّلْبِيسِ، أَتْبَاعِ إِبْلِيسَ.
وَعَظَمَ اللَّهُ أَجُورَنَا وَأَجُورَكُمْ (٣).

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٩١.

(٢) الأنعام ١٥٣.

(٣) أربعين الإمام الحسين عليه السلام، ٢١ صفر ١٤٤٢ للهجرة الموافق ٩-١٠-٢٠٢٠ م.

٣٣. هل قتلَ اللهُ حسيناً؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

من يوم الجمل، إلى يوم الطفوف..

يُقْتَلُ الأَطْهَارَ وَمَنْ مَعَهُمْ، ثُمَّ يُنْسَبُ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى!

لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَجْلٌ مِنْ أَنْ يَظْلِمَ عِبَادَهُ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(١).

فَفِي يَوْمِ الْجَمَلِ.. سُئِلَتْ عَائِشَةُ: أَوَلَيْسَ قَدْ ضَرَبَ اللَّهُ الْحِجَابَ عَلَيْكَ؟..
فَمَا أَخْرَجَكَ عَلَيْنَا مَعَ مُنَافِقِي قُرَيْشٍ؟

قَالَتْ: كَانَ قَدْرًا يَا ابْنَ عَبَّاسِ!

وَقَالَتْ تَارَةً أُخْرَى: كَانَ شَيْءٌ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ!^(٢).

لَقَدْ نَسَبَتْ عَائِشَةُ حَرْبَهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى.. تَبَرُّثَةً لِنَفْسِهَا!
وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَجْبَرَهَا عَلَى الْخُرُوجِ بَعْدَمَا أَمَرَهَا بِالسُّتْرِ وَالْحِجَابِ؟!

عَائِشَةُ تَشَارِكُ فِي تَأْسِيسِ أَوْ تَرْسِيخِ عَقِيدَةِ (قَدْرِيَّة) هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَيْسَ لِهَذِهِ
العقيدة حَدٌّ تَقْفُ عِنْدَهُ، فَأَمَّةُ الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ تَرْمِي أَسْوَأَ فِعَالِهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى!

عَائِشَةُ حَارَبَتْ عَلِيًّا مُتَسَلِّحَةً (بِقِضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ)!

وَاللُّعْنَاءُ قَتَلُوا حُسَيْنًا وَعَتَرْتَهُ بِنَفْسِ السَّلَاحِ!

لَمَّا أُدْخِلَ الْإِمَامُ زَيْنَ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ وَعَلِمَ أَنَّهُ (عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ)

(١) فصلت ٤٦.

(٢) الكافئة في إبطال توبة الخاطئة ص ٣٨-٣٩.

قال له: أَلَيْسَ قَدْ قَتَلَ اللَّهُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ؟!

ابنُ زيادٍ ينتسبُ لمدرسةٍ رَوَّجَتْ لها عائِشَةُ من قبل، ترى أن الله تعالى هو قاتل المظلوم!

ولو كان كذلك لكان عَزَّ وِجَلَّ ظالماً لأوليائه وأعدائه:

١. أمَّا أولياؤه، فلائنه يقتلهم على يد أعدائه!

٢. وأمَّا أعداؤه، فلائنه يُجْبِرُهُمْ على قتل أوليائه ثم يعاقبهم!

يجيب الإمام زين العابدين عليه السلام: قَدْ كَانَ لِي أَخٌ يُسَمَّى عَلِيًّا قَتَلَهُ النَّاسُ!

هذا هو الحقُّ، الله تعالى ليس قاتلاً لعلِّي الأكبر، الله تعالى أمر بمودَّته، لكن

العناد وعمى القلب قد استحکم!

فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: بَلِ اللَّهُ قَتَلَهُ!

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾! (١).

الله تعالى هو قابضُ كلِّ روحٍ، فهل هو قاتلُ كلِّ أحدٍ؟!

استشاط ابن زيادٍ غضباً من كلام الله تعالى! ومن جرأة الإمام على الردِّ

عليه..

ثمَّ تَكَرَّرَ الأمرُ مع يزيد.. التلميذُ الآخرُ في هذه المدرسة المشؤومة، لما أُدخِلَ

عليه الإمام عليه السلام، فقال له يزيد: يَا عَلِيُّ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ!

قَالَ عَلِيُّ عليه السلام: قَتَلَ أَبِي النَّاسُ!

قَالَ يَزِيدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَهُ فَكَفَانِيهِ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: عَلَى مَنْ قَتَلَ أَبِي لَعْنَةُ اللَّهِ، أَفْتَرَانِي لَعْنَتُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟! (١).

ومرّة أخرى، ليس عند يزيد من جوابٍ غير الغضب والظلم والقهر
والإنتقام!

لقد انتشرت هذه العقيدة بين المسلمين في تلك الأيام كثيراً، فأسست لما نراه
اليوم وكلّ يوم، وها هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يبيّن بعد مُنصرَفِهِ من صفيين
لشيخ من جنده أن كل ما يجري بقضاء الله وقدره: مَا عَلَوْتُمْ تَلْعَةً وَلَا هَبَطْتُمْ بَطْنَ
وَادٍ إِلَّا بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ وَقَدَرٍ!

يظن حينها هذا الرَّجُلُ أن الحق هو ما قالته عائشة، وحينها لا أجر ولا
ثواب على العناء!

فيجيبه أمير المؤمنين عليه السلام: مَهْ يَا شَيْخُ، فَوَ اللَّهِ لَقَدْ عَظَّمَ اللَّهُ الْأَجْرَ فِي
مَسِيرِكُمْ وَأَنْتُمْ سَائِرُونَ، وَفِي مُقَامِكُمْ وَأَنْتُمْ مُقِيمُونَ، وَفِي مُنصرَفِكُمْ وَأَنْتُمْ
مُنصرِفُونَ.

وَلَمْ تَكُونُوا فِي شَيْءٍ مِنْ حَالَاتِكُمْ مُكْرَهِينَ، وَلَا إِلَيْهِ مُضْطَرِّينَ..

وَتَظُنُّ أَنْهُ كَانَ قَضَاءً حَتْمًا، وَقَدَرًا لَا زِمًا؟!!

إِنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالزَّجْرُ مِنَ اللَّهِ.

وَسَقَطَ مَعْنَى الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، فَلَمْ تَكُنْ لَائِمَةً لِلْمُذْنِبِ وَلَا مُحَمَّدَةً

لِلْمُحْسِنِ!

وهذا جوهرُ عقيدة عائشة ويزيد وابن زياد وسواهم: ما من لومٍ على المذنب!

فليس على يزيد وابن زيادٍ وهذا الجيش الجرار القاتل من ذنبٍ! فالله تعالى هو قاتلُ الحسين عليه السلام! كما أن الله تعالى هو الذي أخذ عائشة الى الجمل! بزعمهم..
وحينها يصير كلُّ إفكٍ وقولٍ زورٍ وقتلٍ لأهل الحقِّ وظلمٍ وعُدوانٍ ارتكبه الخلفاء، هو من فعلِ الله تعالى! فلا يستحقون عليه عقاباً ولا عذاباً!
أين عدلُ الله تعالى إذًا؟!

لقد تبخَّرَ مع هؤلاء وإن ادَّعوا الإسلام، لذا وصفهم أميرُ المؤمنين عليه السلام ووصف عقيدتهم بقوله: تِلْكَ مَقَالَةٌ:

١. إِخْوَانِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ

٢. وَخُصَمَاءِ الرَّحْمَنِ

٣. وَحِزْبِ الشَّيْطَانِ

٤. وَقَدَرِيَّةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ

٥. وَمَجُوسِهَا^(١).

ولكن.. يواجهنا هنا إشكالان:

الإشكال الأول: شاء الله أن يراكَ قتيلاً!

إنَّ الشيعة ينسبون للإمام الحسين عليه السلام قوله لأخيه محمد بن الحنفية حينما

(١) الكافي ج ١ ص ١٥٥.

طلب منه عدم الخروج للكوفة: أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَا فَارَقْتُكَ، فَقَالَ: يَا حُسَيْنُ عَلِيٍّ، أَخْرُجْ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ أَنْ يَرَاكَ قَتِيلًا^(١).

فإذا شاء الله تعالى قتل الحسين، فلماذا يلوم الشيعة يزيد بن معاوية وابن زياد وشمر ومن معهم؟! وكيف يشتد غضب الله تعالى على قتلة الحسين عليهما السلام والله قد شاء أن يرى الحسين قتيلاً؟!

والجواب عليه:

أن مشيئة الله لأفعال العباد تتصور على معانٍ، منها:

١. أن كل ما يجري في الكون بما فيه أفعال العباد لا يخرج عن سلطان الله تعالى وقدرته، فهو خاضع لمشيئته سواء أمر الله تعالى به أو نهى عنه.

٢. أنه تعالى هو الذي أقدر العباد على أفعالهم، فأفعالهم إنما وقعت بمشيئته على إقذارهم ونفوذ إرادتهم.

٣. أنه تعالى لم يمنعهم من فعلها بالقهر والجبر.

وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾^(٢)، فلو شاء أن لا يُشركوا لفهرهم على الإيوان، لكنه شاء أن يكونوا مختارين، يؤمن منهم من شاء عن بيئته، ويكفر من شاء عن بيئته.

والشاهد على ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ

(١) اللهوف ص ٦٥.

(٢) الأنعام ١٠٧.

كُلُّهُمْ جَمِيعاً فَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.

فالله تعالى يقدر أن يجعلهم جميعاً مؤمنين، لكنَّ هذا إكراهٌ يبطل به الثواب والعقاب.

وأوضح منه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيُرِدُّوهُمْ وَلِيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (٢).

فلو شاء الله ما قتل هؤلاء المشركون أولادهم، لكنَّ منَعَهُم من ذلك مع رغبتهم يعني الجبر، وهو ينافي حكمة الله تعالى وعدله.

وهكذا شاء الله أن يُقتل الحسين عليه السلام، بمعنى أنه لم يمنع الأنجاس من قتله وهو القادر على ذلك، امتحاناً لهم ليستحق الثواب من أطاع والعقاب من عصى.

الإشكال الثاني: أن الإمام اختار لقاء الله!

ورد في الحديث الشريف عن الباقر عليه السلام: لَمَّا نَزَلَ النَّصْرُ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ حَتَّى كَانَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ خِيَّرَ النَّصْرَ أَوْ لِقَاءَ اللَّهِ، فَاخْتَارَ لِقَاءَ اللَّهِ (٣).

وهذا يعني أن الإمام قد اختار الموت، فكيف يُلامُّ يزيد وذلك الجيش وهو عليه السلام قد اختار الموت بنفسه؟!!

وقد كتب الله تعالى عليه وعلى أهل بيته القتل، كما قالت السيدة زينب عليه السلام

(١) يونس ٩٩.

(٢) الأنعام ١٣٧.

(٣) الكافي ج ١ ص ٤٦٥.

لابن زياد حينما خاطبها: كَيْفَ رَأَيْتِ صُنْعَ اللَّهِ بِكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ؟
قَالَتْ: كَتَبَ إِلَيْهِمُ الْقَتْلَ فَبَرَزُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ^(١).

والجواب عليه:

مِنْ جِهَتَيْنِ:

الجهة الأولى: أن اختيار الإمام لقاء الله تعالى يعني عدم طلبه أو عدم اختياره للمدد الغيبي، وهذا لا يُبَرِّزُ أَيَّ ظَلَمٍ، فإن الله تعالى قادرٌ على أن يمنع كلَّ ظالمٍ من إيقاع الظلم على كلِّ مظلوم، فهل تَحْلِيَةُ الله تعالى بين الظالم والمظلوم في الدنيا تعني تبرئة الظالم؟! إذاً لا يبقى ظلمٌ على وجه البسيطة.

إنما ادّخر الله تعالى للمظلوم ثواباً، وللظالم عقاباً.

وهكذا لم يستعجل الإمام عليه السلام نصر السماء في الدنيا، وأراد أن يتمّ الإمتحانُ الالهيُّ للخلق دون مددٍ غيبيٍّ له، حتى قال عليه السلام لمؤمني الجنّ الذين أرادوا نصره: فَإِذَا أَقَمْتُ فِي مَكَانِي فَبِمَا يُمْتَحَنُ هَذَا الْخَلْقُ الْمَتَعُوسُ؟! وَبِمَاذَا يُحْتَبَرُونَ؟! وَمَنْ ذَا يَكُونُ سَاكِنَ حُفْرَتِي؟!^(٢).

الجهة الثانية: أن ما فعله الإمام عليه السلام هو عين ما فعله الأنبياء، وما فعله الله تعالى معه هو ما فعله مع الأنبياء المتقدمين، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: وَلَوْ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ.. لَكَانَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْاِخْتِبَارِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْاِتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصَدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالْحُشُوعُ لَوَجْهِهِ..

(١) الأُمالي للصدوق ص ١٦٥.

(٢) اللهوف ص ٦٦.

أُمُورًا لَهُ خَاصَّةٌ لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ^(١).

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَإِنْ نَصَرَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ حِفْظًا لِدِينِهِ، فَإِنَّهُ مَا دَفَعَ بِالْمَدَدِ الْغَيْبِيِّ عَنْهُمْ دَائِمًا، وَمَا أَظْهَرَ لَهُمْ مِنْ سُبُلِ الْمَجْدِ وَالْجَبْرُوتِ مَا يَقْهَرُونَ بِهِ أَعْدَاءَهُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، حَتَّى قُتِلُوا وَظَلَمُوا وَشُرِّدُوا وَاضْطْهَدُوا، كَيْ لَا يُؤْمِنَ بِهِمُ النَّاسُ خَوْفًا مِنْهُمْ وَطَمَعًا فِيهِمْ عِنْدَهُمْ، بَلْ أَرَادَ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ الْإِيْمَانُ خَالِصًا لَوَجْهِهِ، وَهُوَ مَا يُنَاسِبُ الْإِمْتِحَانَ الْإِلَهِيَّ.

بِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ مَدْرَسَةَ الْبَاطِلِ تَنْسُبُ الْقَبَائِحَ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْأَوْلِيَاءَ، فَيَصِيرُ عِنْدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ قَاتِلُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِتَبَرُّةِ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالشَّقَاقِ. وَلَمَّا تَرْتَّبَ عَلَى ذَلِكَ نِسْبَةَ الْقَبَائِحِ لِلَّهِ تَعَالَى، صَارُوا أَصْحَابَهَا مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ، وَخُصَمَاءِ الرَّحْمَنِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَمَنْ قَتَلَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.. اللَّهُمَّ الْعَنَّهُمْ لَعْنًا وَبِيْلًا، وَأَدْخِلْ مَعَهُمُ الرَّاضِيَ بِأَفْعَالِهِمْ، وَارْحَمْنَا بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَظِّمْ أَجُورَنَا بِمُصَابِنَا بِهِمْ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٢).

(١) الكافي ج ٤ ص ١٩٨.

(٢) الخميس ١٧ محرم ١٤٤٣ هـ الموافق ٢٦ - ٨ - ٢٠٢١ م.

٣٤. الإمام الحسين.. وشيعة الشيطان!

بسم الله الرحمن الرحيم

للسيطان حزبٌ.. وأولياءٌ.. وأتباعٌ.. وشيعةٌ!

نعم.. للشیطان شیعةٌ، قتلوا الحسين بن عليٍّ عليه السلام!

إن قال قائل: كيف ذلك؟! أليس شيعة الحسين هم الذين قتلوه؟!!

قلنا: أيُّ حماقةٍ هذه!

هل أمرَ الحسين عليه السلام شيعةً أن يقتلوه؟! فكانوا مطيعين له فقتلوه لذلك؟!!

أم أمرهم يزيدٌ بقتل الحسين فاستجابوا له؟!!

شيعة من يكون هؤلاء القتلَةُ إذا؟! سوى شيعة الأمر بالقتل؟! وهم آل أبي

سفيان.

١. حزب الشيطان وأولياؤه

لقد تحدّث الله تعالى في سورة المجادلة عن ﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾^(١)، أولئك أتباع الأول والثاني والثالث، ثمّ معاوية ويزيد.. فهم أبرز من غضب الله عليهم.

ثمّ أخبر تعالى عن هؤلاء القوم فقال عزّ وجل: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ

فَأَنسَاهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أَوْلِيكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾ .
 لقد بَشَّرَهم الله تعالى بالخُسران عندما عَدَّهم من حزب الشيطان، كما
 بَشَّرَهم بالخُسران المبين عندما عَدَّهم من أولياء الشيطان، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ
 يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ (٢) .
 ولقد أَمَرَ الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا أولياء الشيطان، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ
 كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ (٣) .
 حزبُ الشيطان هؤلاء هم الذين وَعَدَّهم الشيطان فاستجابوا له..
 باختيارهم.. ولم يكن له عليهم من سلطان.

يتكشَّف ذلك حينما يتبرَّأ الذين اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا! قال تعالى: ﴿وَقَالَ
 الشَّيْطَانُ لِمَا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي
 عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (٤) .

٢. حزب الشيطان.. أعداء آل محمد عليهم السلام

لقد صارت موالاة آل محمد ﷺ ومعاداتهم هي الميزان في الانتساب لحزب
 الله، أو لحزب الشيطان!
 وقد أمر النبي ﷺ بموالاة عليٍّ والأئمة من ولده، ثمَّ قال: حِزْبُهُمْ حِزْبِي،

(١) المجادلة ١٩ .

(٢) النساء ١١٩ .

(٣) النساء ٧٦ .

(٤) إبراهيم ٢٢ .

وَحِزْبِي حِزْبُ اللَّهِ، وَحِزْبُ أَعْدَائِهِمْ حِزْبُ الشَّيْطَانِ^(١).

فَمَنْ كَانَ لآلِ مُحَمَّدٍ عَدُوًّا، كَانَ مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ.

فَأَيْنَ نَرَى حِزْبَ الشَّيْطَانِ فِي كَرْبَلَاءِ؟!!

لقد نزل فيها أمير المؤمنين عليه السلام عند خروجه إلى صفين، ووقف على شطِّ
الفرات، وبكى طويلاً: حَتَّى اخْضَلَّتْ حَيْثُهُ، وَسَالَتِ الدَّمُوعُ عَلَى صَدْرِهِ.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام:

أَوْهَ أَوْهَ، مَا لِي وَلِآلِ أَبِي سُفْيَانَ!

مَا لِي وَلِآلِ حَرْبِ حِزْبِ الشَّيْطَانِ! وَأَوْلِيَاءِ الْكُفْرِ!

صَبْرًا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ!

فَقَدْ لَقِيَ أَبُوكَ مِثْلَ الَّذِي تَلَقَى مِنْهُمْ!^(٢).

آهٍ لِدَمُوعِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ..

آهٍ لَصَبْرِكَ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ بِمَا سَيَجْرِي عَلَى حَبِيبِكَ الْحَسِينِ.

لقد كَشَفَتِ الأَمْرَ جَلِيًّا: إِنَّهُمْ أُلُّ أَبِي سُفْيَانَ، حِزْبُ الشَّيْطَانِ وَأَوْلِيَاؤُهُ.

نَتَبَّرُّ فِي زِيَارَتِكَ مِنْهُمْ كَمَا كُنْتَ تَتَبَّرُّ، فَنَشْهَدُ لَكَ وَلِلْأُئِمَّةِ، ثُمَّ يَقُولُ أَحَدُنَا:
أَشْهَدُ أَنَّ مَنْ حَارَبَهُمْ (الأئمة) لَنَا أَعْدَاءٌ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بَرَاءٌ، وَأَنَّهُمْ حِزْبُ الشَّيْطَانِ،
وَعَلَى مَنْ قَتَلَهُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ^(٣).

(١) الأُمالي للصدوق ص ١٩.

(٢) الأُمالي ص ٥٩٧.

(٣) كامل الزيارات ص ٤٦.

٣. قَتَلَتِ الْحُسَيْنِ.. شِيعَةَ الشَّيْطَانِ!

لَمَّا قُتِلَ مِنْ أَهْلِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ مَا يَنْفِي عَنْ خَمْسِينَ رَجُلًا، صَاحَ
الإمامُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَمَا مُعِيثٌ يُعِيثُنَا لِرُؤْيَا اللَّهِ؟ أَمَا ذَابَّ يَدْبُ عَنْ حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ؟!
لم يكن المعسكرُ المقابلُ لسيِّدِ الشُّهداءِ معسكرًا للرومِ، ولا للتركِ أو
الفرسِ.. ليس إلا لقومٍ يزعمون أنهم يؤمنون بالنبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!
كانت ألوْفهم بالعشرات.. تَقَدَّمَ مِنْهُمْ رَجُلٌ سَمَّته أُمُّهُ حُرًّا، أَرَادَ أَنْ يُكْفِّرَ
عَمَّا فعله مع الإمام قبل ذلك اليوم، فقال له:

إِنِّي كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ عَلَيْكَ، وَأَنَا الْآنَ فِي حِزْبِكَ، فَمُرْنِي أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ
مَقْتُولٍ فِي نُصْرَتِكَ، لَعَلِّي أَنَالُ شَفَاعَةَ جَدِّكَ!

هكذا تتبدَّلُ المواقفُ، فينضوي تحت حزبِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو حزبُ اللَّهِ،
من لم يكن فيه! ويدخل في حزبِ الشَّيْطَانِ أقوامٌ كانوا بالأَمْسِ القريبِ يُظهِرون
المحبةَ للعترة الطاهرة!

قُتِلَ الحُرُّ حينها دفاعاً عن الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم قُتِلَ من بقي مع الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
قُتِلَ: وُلْدُهُ وَإِخْوَانُهُ وَبَنُو عَمِّهِ، وَبَقِيَ وَحْدَهُ، وَبَارَزَ بِنَفْسِهِ إِلَى أَنْ أَنْخَسَتْهُ
الجِرَاحَاتُ.

حينها صَاحَ الْحُسَيْنِ مَخَاطِبًا جيشَ الأعداءِ: وَيَحْكُمُ يَا شِيعَةَ الشَّيْطَانِ!
نعم، هؤلاء شِيعَةُ الشَّيْطَانِ، الذي اتَّخَذَ التشكيكُ بِأَلِ مُحَمَّدٍ مِنْهُجًا، ثُمَّ حَمَلَ
الناسَ على عداوتهم وأغراهم بهم ليقتلوهم.

وَيُحْكَمْ يَا شِيعَةَ الشَّيْطَانِ! إِنَّ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ، وَلَا تَخَافُونَ الْمَعَادَ، فَكُونُوا
أَحْرَاراً، وَارْجِعُوا إِلَى أَنْسَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ أَعْرَاباً كَمَا تَزْعُمُونَ، أَنَا الَّذِي أَقَاتِلُكُمْ،
فَكُفُّوا سَفَهَاءَكُمْ وَجَهَالَتَكُمْ عَنِ التَّعَرُّضِ لِحَرَمِي!^(١)

ليس لشيعة آل أبي سفيان دينٌ، ليس لشيعة الشيطان شرفٌ يمنعهم عن
التعرُّض لحرم الحسين، فكيف يكون هؤلاء شيعةً للنبي أو الإمام والوصي؟!
إنهم يتجاوزون على كلِّ القيم والمبادئ والأخلاق، إنهم يتعرَّضون للنساء
والحریم، وهي علامة الخسَّة والحقارة والنَّذالة، فكيف لو كانوا نساء العترة
الطاهرة!!

لو كانوا يقتلون الإمام لأجل الملك والسلطان فقط، لما تعرَّضوا لهنَّ، لأنَّ
ذلك لا يزيد في ملكهم شيئاً، لكنَّها الرَّذيلة المتجسِّدة في أتباع الشيطان وشيعته.
لقد وصفهم الإمام في تلك الكلمات تارةً بأنَّهم (شيعة الشيطان)، وأخرى
بأنَّهم (شِيعَةَ آلِ أَبِي سُفْيَانَ)^(٢)، ثمَّ لا يزال أتباع الشيطان إلى يومنا هذا يقولون:
شِيعَةُ الْحُسَيْنِ قَدْ قَتَلُوهُ!

إنَّه نهج الأولين، يَسْتَنُّه أتباعهم وأولياؤهم.

إنَّهم المُحِبُّون لأعداء العترة، الراضون بأفعالهم، الشائطون بدماء آل محمد
عليه السلام، يَتَّهَمُونَ أحباب الحسين وأنصاره بقتله! إِنَّ مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَتَّهَمُ
(حزب الشيطان) (حزب الله) بقتل الحسين عليه السلام!

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ٥١.

(٢) اللهوف ص ١٢١.

٤. هل المتخاذلون من شيعة الحسين؟!

قد يُقال:

إن كان الأمر واضحاً إلى هذا الحدِّ، فلماذا نَسَبَت بعضُ النُّصوص الخذلان إلى شيعة الأئمة عليهم السلام؟!؟

والجواب:

نعم ورد في أحد النصوص (وَقَدْ خَذَلْنَا شِيعَتَنَا)^(١)، (وَقَدْ خَذَلْتَنَا شِيعَتَنَا)^(٢)، والمراد منه على فرض صدوره الذين تظاهروا بأنهم من شيعتنا وأنصارنا، والذين زعموا أنهم ينصروننا، لكنهم في الحقيقة ليسوا كذلك، بل هم من شيعة الشيطان وآل أبي سفيان.

ونظيرُ هذا الاستعمال كثير، فإننا مثلاً وإن كنا نعتقد أن الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وآله إثنا عشر خليفة حقاً وصدقاً لا يزيدون ولا ينقصون، إلا أننا قد نُعَبِّرُ عن الثلاثة الذين سلبوا الخلافة بعده صلى الله عليه وآله كذلك بـ(الخلفاء)، بمعنى أنهم (الخلفاء المدَّعون)، الذين خَلَفُوا النبيَّ غصباً، وإن لم يكونوا أصحاب المنصب الإلهي حقاً. وأوضح منه قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾^(٤).

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٧٥.

(٢) روضة الواعظين ج ١ ص ١٧٩.

(٣) مريم ٨١.

(٤) الفرقان ٣.

فالآلهة هنا هي آلهة متخذة، هي آلهة بادعائهم، آلهة باعتبارهم ونظرهم ورأيهم، وقد عبّر عنها القرآن بالآلهة، رغم أنه لا يقرُّ إلا بإلهٍ واحد! فقد قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١)، وقال: ﴿لَوْ كَانَ هُوَآءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّوهَا﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(٣).
فرغم أن أصل الدين قائمٌ على نفي الألوهية عمّن سوى الله، ترى القرآن الكريم يسمّي ما يعبد الكفار آلهةً، لأنّها آلهة بزعمهم وإن لم تكن كذلك حقاً. وهكذا لا يعني هذا النصُّ أن شيعة الحسين عليه السلام قد خذلوه، بل يعني أن هؤلاء الذين ادّعوا أنهم من شيعته قد تخاذلوا عن نصرته، وتكشف سائر النصوص عن حقيقتهم، فإنهم شيعة الشيطان وحزبه وأولياؤه، وهم الذين عصوا الإمام وما أطاعوا أمره.

فقد خاطبهم الإمام لما أبوا أن يُنصتوا إليه فقال:

وَيْلَكُمْ، مَا عَلَيْكُمْ أَنْ تُنصِتُوا إِلَيَّ فَتَسْمَعُوا قَوْلِي.. مَنْ عَصَانِي كَانَ مِنَ الْمُهْلِكِينَ، وَكُلُّكُمْ عَاصٍ لِأَمْرِي، غَيْرٌ مُسْتَمِعٍ قَوْلِي، فَقَدْ مَلَأْتِ بُطُونَكُمْ مِنَ الْحَرَامِ، وَطَبِعَ عَلَى قُلُوبِكُمْ^(٤).

كلُّ من كان في معسكر أعداء الحسين عليه السلام ليس من شيعته، فإن شيعته كانوا قلةً قليلةً بعدما أعمل شيعة الشيطان فيهم سيفهم!

(١) الأنبياء ٢٢.

(٢) الأنبياء ٩٩.

(٣) آل عمران ٢.

(٤) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٨.

فهذا الإمام الباقر عليه السلام يتحدّث عن قتل العترة الطاهرة، وقتل من أحبّهم منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وعن شدّة ذلك وكثرته في زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، ثمّ يقول عن تلك الأيام:

فَقُتِلَتِ الشَّيْعَةُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ! وَقُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ! وَصَلَبُوا عَلَى التُّهْمَةِ
وَالظَّنِّ مِنْ ذِكْرِ حُبِّنَا وَالْإِنْقِطَاعِ إِلَيْنَا!

ولقد ازداد البلاء بعد قتل سيد الشهداء، يقول الباقر عليه السلام:

ثُمَّ جَاءَ الْحَجَّاجُ فَقَتَلَهُمْ بِكُلِّ قِتْلَةٍ! وَبِكُلِّ ظَنَّةٍ! وَبِكُلِّ تَهْمَةٍ! حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ
لَيُقَالُ لَهُ زَنْدِيقٌ أَوْ مَجُوسِيٌّ كَانَ ذَلِكَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُشَارَ إِلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ شَيْعَةِ
الْحُسَيْنِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ! ^(١).

ما أشدّ هذه الظلامه، التي وقعت على من تبقى من الشيعة، وهم قلة قليلة.

هم الشيعة الذين رفع الله قدرهم عند أئمتهم، فقال الأَطْهَارُ عليهم السلام:

مَنْ عَادَى شَيْعَتَنَا فَقَدْ عَادَانَا! وَمَنْ وَالَاهُمْ فَقَدْ وَالَانَا!

لَا نَهُمُ مِنَّا خُلِقُوا، مِنْ طِينَتِنَا.. شَيْعَتُنَا يَنْظُرُونَ بِنُورِ اللَّهِ..

شَيْعَتُنَا.. يُوَالُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَيَبْرءُونَ مِنْ أَعْدَائِنَا، أَوْلِيكَ أَهْلُ الْإِيمَانِ
وَالتَّقَى، وَأَهْلُ الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى ^(٢).

هكذا هم شيعة الحسين عليه السلام.. وأولياؤه.. هم أهل الإيمان والتقوى،

ينصرون الحسين عليه السلام إن كانوا في زمانه، ويحيون ذكره بعد شهادته، ويتربّون

(١) كتاب سليم ج ٢ ص ٦٣٣.

(٢) فضائل الأشهر الثلاثة ص ١٠٥.

حفيده المنتظر ليشتروا معه في الأخذ بثأر الحسين عليه السلام.

هكذا يصير جلياً أن قتلة الحسين عليه السلام هم شيعة الشيطان وحزبه، لا شيعة الحسين وأحابيه.

فكلُّ من كان في معسكر الأعداء ملعونٌ، ولو لم يضرب بسيفٍ أو يرمِ برمح، لأنه كثر سوادهم! وقد جاء النبي صلى الله عليه وآله في عالم الرؤيا إلى رجلٍ كان معهم ولم يضرب بسيف فقال له: كثرَ على ولدي السواد! ^(١).

سيلقى هؤلاء جزاءهم، فهم فرعٌ من فروع حزب الشيطان، وهم أهل العمى والضلال.

وما أكثر أمثالهم في أيامنا.. ما أكثر من عادى آل محمد، أو شيعتهم.

ما أكثر من والى أعداء آل محمد، وكثر سوادهم وعددهم.

ما أكثر حزب الشيطان في أيامنا.

ومهما يكن.. فإن ناراً تُدعى (هَبْهَبٌ) تنتظر قتلة الحسين عليه السلام!

قَدْ أوقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ.. فَيُقَالُ التَّقِطِي قَتَلَةَ الْحُسَيْنِ..

فَتَلْتَقِطُهُمْ، فَإِذَا صَارُوا فِي حَوْصَلَتِهَا صَهَلَتْ وَصَهَلُوا بِهَا! وَشَهَقَتْ

وَشَهَقُوا بِهَا! وَزَفَرَتْ وَزَفَرُوا بِهَا!

فَيَنْطِقُونَ بِالسِّنَةِ ذَلْقَةً طَلْقَةً: يَا رَبَّنَا فِيمَا أَوْجِبَتْ لَنَا النَّارَ قَبْلَ عِبْدَةِ الْأَوْثَانِ؟

فَيَأْتِيهِمُ الْجَوَابُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى: أَنْ مَنْ عِلِمَ لَيْسَ كَمَنْ لَا يَعْلَمُ!! ^(٢).

(١) مدينة معاجز الأئمة ج ٤ ص ٨٦.

(٢) ثواب الأعمال ص ٢١٧.

ليست المشكلة اليوم هي مشكلة علمٍ ومعرفةٍ بالحسين عليه السلام وسيرته، بقدر ما هي مشكلة الحُبِّث والقذارة وسوء السريرة.
فالحسين عليه السلام معروفٌ، وطريق إحياء أمره معلومٌ.
فمَن عاداه أو عادى شيعته أو شعائره، أو منع من إحياء أمره، أو شكَّك في ذلك، انتظرتَه هَبَّهَبٌ أو سواها من نيران الجحيم، أجارنا الله منها، وحشرنا مع الحسين عليه السلام، وعظم الله أجورنا وأجوركم^(١).

(١) ليلة الإثنين، الليلة الخامسة من محرم ١٤٤٥ هـ الموافق ٢٣ - ٧ - ٢٠٢٣ م.

٣٥. العَجَل العَجَل.. يا حسين!

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد توالى رسائل أهل الكوفة للحسين عليه السلام، ممن يزعمون أنهم شيعة له وأنصار.. ولقد كان منها رسالة تستعجله عليه السلام، كُتِبَ فيها:

أَمَّا بَعْدُ: فَحَيَّ هَلَا، فَإِنَّ النَّاسَ يَنْتَظِرُونَكَ، لَا رَأْيَ لَهُمْ غَيْرَكَ، فَالْعَجَلِ الْعَجَلِ، ثُمَّ الْعَجَلِ الْعَجَلِ، وَالسَّلَامُ^(١).

لم يكن عدد الذين أرسلوا له يستعجلونه قليلاً.. لقد سبق وأن أخبروه أنهم يبلغون مائة ألف سيف! وأتتهم معه! قبل أن يبعث إليهم ثقته مسلم بن عقيل.

هؤلاء يزعمون أنهم ينتظرونه عليه السلام! وأتتهم لا يطيقون بعده عنهم! يريدون منه القدوم سريعاً، ويظهرون استعدادهم لامثال أمره أياً يكن، حتى لو كان يستلزم سلَّ السيف، والقتال في سبيل الله، فبواترهم تنتظر إشارة منه بزعمهم.

أَمَّا قَالُوا لَهُ: فَإِذَا شِئْتَ فَأَقْدِمْ عَلَى جُنْدٍ لَكَ مُجَنَّدٍ!^(٢).

لكن الأيام تكشف خبايا النفوس، وتظهر حقائقها وبواطنها.

لقد ذكر الله تعالى في كتابه أصنافاً مختلفة من أصحاب الدعاوى:

١. فمنهم من يدعي الإيمان بلسانه، لكن قلبه خالٍ منه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ

قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾^(٣)، وقال عز وجل: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٣٨.

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٣٨.

(٣) المائدة ٤١.

قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴿١﴾.

٢. ومنهم من يدعي الحُبَّ، لكنَّ فعله لا يوافق قوله، فلا يتبع الرسول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (٢).

٣. ومنهم من: ﴿إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ﴾ (٣).

ولعلَّ ثالث الفئات شرُّها، فإنَّهم يستهزؤون بالذين آمنوا مع إظهارهم الإيمان!

ولقد كان كثيرٌ من الذين أرسلوا إلى سيِّد الشهداء عليه السلام أسوأ من هؤلاء! فقد دعوه ووعده النصر، لكنَّهم نصرُوا عدوَّه عليه وقاتلوه!

أما قال عنهم عليه السلام: إِيَّاهُمْ دَعَوْنَا لِيَنْصُرُونَا، ثُمَّ عَدُوا عَلَيْنَا فَقَتَلُونَا! (٤).
أما قال لهم الحرّ: أَدَعَوْتُمْ هَذَا الْعَبْدَ الصَّالِحَ حَتَّى إِذَا أَتَاكُمْ أَسْلَمْتُمُوهُ!
وَرَعَمْتُمْ أَنْكُمْ قَاتِلُوا أَنْفُسِكُمْ دُونَهُ ثُمَّ عَدَوْتُمْ عَلَيْهِ لَتَقْتُلُوهُ!.. وَأَحَطْتُمْ بِهِ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ لِيَتَمْنَعُوهُ التَّوَجُّهُ فِي بِلَادِ اللَّهِ الْعَرِيضَةِ! فَصَارَ كَالْأَسِيرِ فِي أَيْدِيكُمْ (٥).

نعم، لقد اشترك كثيرٌ من أصحاب الرسائل في حصار سيِّد الشهداء، فلم يكتفوا بالتخاذل عنه، بل حاصروه، ومنعوه من التوجه حيث شاء، وأسلموه إلى

(١) الحجرات ١٤.

(٢) آل عمران ٣١.

(٣) البقرة ١٤.

(٤) الإرشاد ج ٢ ص ١١١.

(٥) الإرشاد ج ٢ ص ١١١.

أعدائه.. بل صاروا مع أعدائه! فَشَرُّوا فِي قَتْلِهِ!
 يكشفُ ذلكَ أنَّ طلبَ الاستعجالِ ليس علامةَ حقِّ لكلِّ طالبٍ، فمن
 الناسِ من استعجلَ سيدَ الشهداءِ عليه السلام ثم شركَ في دمه.
 ومن الناسِ من يستعجلُ الإمامَ الحجةَ اليوم، ولعله يقرأ دعاءَ العهد،
 ويقولُ فيه: العَجَلُ العَجَلُ العَجَلُ، يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ.
 لكنَّنا لا نعلمُ هل سيكونُ من هؤلاءِ مَنْ يقولُ له عندَ ظهوره: يَا ابْنَ فَاطِمَةَ،
 ارْجِعْ لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكَ!

إنَّ الذينَ يطلبونَ من الحُجَّةِ الرجوعَ فيهم قومٌ يزعمون أنهم فقهاء في
 الدين! وفيهم قراء القرآن: قَدْ قَرَّحُوا جِبَاهَهُمْ، وَشَمَّرُوا ثِيَابَهُمْ، وَعَمَّهْمُ
 النِّفَاقُ! ^(١).

كم يشابهُ هذا الموقفَ موقفَ بعضِ أشياخ الكوفة، الذين وقفوا على التلِّ
 يوم عاشوراء يبيكون! ويقولون: اللهم أنزل عليه نصرك!! ^(٢).
 هؤلاء أرسلوا للحسين عليه السلام، ثم أسلموه! ووقفوا على التلِّ يدعون له!
 فأبيُّ حقارةٍ ودناءةٍ وخساسةٍ ونفاقٍ هذا؟!

لقد نسبت بعض المصادر إلى سيد الشهداء، وبعضها إلى محمد بن الحنفية
 قوله عن قوم أرادوا من الحسين عليه السلام الخروج:

(١) دلائل الإمامة ص ٤٥٦.

(٢) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ٣ ص ٤٢٤.

إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا! ويشيطوا دماءنا!^(١).

لقد كان حال هؤلاء معلوماً لكل من خبرهم، وكان الإمام عليه السلام أعلم الناس بهم، لكنه أكمل مسيره إتماماً للحجة، وإمضاءً لأمر الله، وعملاً بما فيه الصلاح.

وهذا رجلٌ من بني عكرمة لقيه في طريقه فقال له: فو الله ما تسير إلا إلى الأستنة والسيوف، ولا تتكلمن على الذين كتبوا لك، فإن أولئك أول الناس مبادرةً إلى حربك!^(٢).

لماذا سيكون الذين كتبوا له أول من يحاربه؟! لماذا يريدون أن يشيطوا بدم الحسين؟!!

إنّ منهم من أراد أن يستأكل بالحسين عليه السلام، يريد من رسائله للحسين الدنيا لا الآخرة، كما يريد اليوم بعض المدّعين لحمل الرسالة، فيطلبون بها دنيا زائلة.

ومنهم من أراد من الكتابة له أن يقتل عليه السلام!

نعم، إنّ من الناس من أرسل كتباً للحسين عليه السلام وهو لا يريد نصره! وهو يعلم أنّ القوم سيخذلونه عند قدومه!

لذا ورد في بعض المصادر عن سيّد الشهداء عليه السلام أنّ هؤلاء القوم أرادواها مكيدة له، وأرادها عليه السلام طاعةً لله تعالى، وذنباً عن دينه.

فقد روي أنّ الحسين عليه السلام عرض على أهله ومن معه أن يتفرقوا، ثم قال

(١) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٣٩.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري ص ٢٤٨.

لهم: وما كانت كُتُبٌ مَنْ كَتَبَ إِلَيَّ فِيهَا أَظُنُّ إِلَّا مَكِيدَةً لِي!! وَتَقَرَّبًا إِلَى ابْنِ مَعَاوِيَةَ بِي!!^(١).

وقد ورد هذا المعنى أيضاً في آخر دعاءٍ دعا به الحسين عليه السلام، حينما خاطب الله تعالى قائلاً: احْكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا، فَإِنَّهُمْ غَرُّونَا وَخَدَعُونَا وَخَذَلُونَا وَغَدَرُوا بِنَا وَقَتَلُونَا^(٢).

وهذا يفسر إنكارهم إرسال الكتب للحسين عليه السلام، فلقد أرادوها مكيدةً وخدعةً وغدراً.

لقد توالى الأبناء إلى سيد الشهداء أن موقف الناس على نحوين: فلاشرفهم موقفٌ، ولعوامهم موقفٌ آخر.

فقليل له قبل وصوله إلى كربلاء:

أَمَّا أَشْرَافُ النَّاسِ فَقَدْ أُعْظِمَتْ رِشْوَتُهُمْ، وَمِلَّتْ غَرَائِرُهُمْ، يُسْتَمَالُ وَدُهُمْ وَيُسْتَخْلَصُ بِهِ نَصِيحَتُهُمْ، فَهُمُ الْبَّ وَاحِدٌ عَلَيْكَ!
وَأَمَّا سَائِرُ النَّاسِ بَعْدُ فَإِنَّ أَفْئِدَتَهُمْ تَهْوِي إِلَيْكَ، وَسُيُوفُهُمْ غَدَاً مَشْهُورَةٌ عَلَيْكَ!^(٣)

هؤلاء من الذين استعجلوا سيد الشهداء! أهل الرشى والغرائز! يجتمعون عليه بعد أن دعوه!

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ص ٣٩٣.

(٢) مصباح المتعجب ج ٢ ص ٨٢٧.

(٣) وقعة الطف ص ١٧٤.

أما أتباعهم، فهَمَجُ رُعاع، ينعقون مع كل ناعق، ويميلون مع كل ريح!
 أيكفي أن تكون القلوب مع الحسين عليه السلام، ثم نقف على التلّ وندعو له؟!
 أم يجب الذبُّ عن الإمام المطهر المعصوم؟!

أيكفي أن نزعم محبة الله ولا نطيع رسوله؟! وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(١).

أيكفي أن ندعي اليوم موالاته الأئمة الأطهار عليهم السلام، ونخالف أمرهم،
 ونتقدم على إمام زماننا؟! أو نقدم على ما نهى عنه؟!
 أه من غربة سيد الشهداء، ومن تحاذل المتخاذلين.

لقد شابهت تلك الغربة غربة سفيره مسلم بن عقيل، فهو الذي خرج معه
 أربعة آلاف رجل، وما بلغ القصر إلا وانفضَّ جُلُّهم، ليجد نفسه: وَمَا مَعَهُ ثَلَاثُونَ
 نَفْسًا فِي الْمَسْجِدِ!

ولما بلغ أبواب كِنْدَةَ كان قد ذهب ثلثاهم!
 ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ فَإِذَا لَيْسَ مَعَهُ إِنْسَانٌ! فَالْتَفَتَ فَإِذَا هُوَ لَا يَحِيسُ أَحَدًا يَدُلُّهُ
 عَلَى الطَّرِيقِ وَلَا يَدُلُّهُ عَلَى مَنْزِلِهِ! وَلَا يُوَاسِيهِ بِنَفْسِهِ إِنْ عَرَضَ لَهُ عَدُوٌّ!!^(٢).

لكنَّ الأعجب من ذلك، هو أنَّ ابن زيادٍ وأصحابه ما تحيَّلوا أن يكون
 التخاذُّل عن مسلمٍ سريعاً هكذا، ولم يتصوروا أن يؤثر فعلهم في الناس هكذا!
 فإنَّهم لما خَفِيَتِ الأصوات عنهم، تحيَّلوا أنَّ مَنْ كان مع مسلم قد كمن لهم

(١) آل عمران ٣١.

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٥٤.

تحت الظلال! فصاروا يبحثون عنهم ويُدُلُّون القناديل كي يكتشفوا مكانهم!
 لكنَّهم فوجئوا بأنَّ أحداً منهم لم يبق مع مسلم!
 حينها فطن ابن زياد لسرعة تحاذلهم فقال: إِنَّ القوم قد خذلوا وأسلموا
 مسلماً، وانصرفوا^(١).

هذا هو حال أكثر الذين قالوا: العجل العجل! يا حسين!
 فما حال القائلين اليوم: العجل العجل يا صاحب الزمان؟
 كم منَّا سيكون من أصحابه حقاً وصدقاً؟
 وكم منَّا سيقول له: ارجع يا ابن فاطمة!

لقد نَقَلَ التاريخُ عبارةً مُجِلةً لرجلٍ جُعِفِيٍّ كان قد نصب خيامه في قصر
 بني مقاتل، فدعاه الإمام الحسين عليه السلام إليه عند نزوله في ذلك المكان، فقال: وَالله
 مَا خَرَجْتُ مِنَ الكُوفَةِ إِلَّا كَرَاهِيَةً أَنْ يَدْخُلَهَا الحُسَيْنُ عليه السلام وَأَنَا بِهَا! وَالله مَا أُريدُ
 أَنْ أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي!!^(٢).

هل كانت هذه الكلمة عن جهلٍ بمقام الحسين عليه السلام؟
 كلا.. فقد نقلت بعض المصادر قوله لسيد الشهداء: وَالله اني لأعلم أن من
 شايحك كان السَّعيد في الآخرة.. إنَّ نفسي لم تسمح بعد بالموت!^(٣)
 لقد رغب هذا الرجل بنفسه عن الإمام، وهو يعلم أن الحق معه، وأنَّ باب

(١) الأخبار الطوال للدينوري ص ٢٣٩.

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٨١.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري ص ٢٥٠.

السعادة منحصرٌ بنصره.. لكنَّه لا يريد الموت، ولو كان الموت بأمر الله وفي سبيله!
ومع حبيبه! سيد شباب أهل الجنة عليه السلام.

وهكذا تَعَدَّدَت أسبابُ التخاذل: بين حُبِّ الحياة، والخوف على النَّفس والولد والمال، والطمع بالدُّنيا وزخارفها، وخبث السريرة وبغض آل محمد عليهم السلام.
فانقسم الناس بين متخاذلٍ لا يجبُ رؤية الإمام! ومشاركٍ في قتله! وساكِتٍ عن ذلك.. وسيكون لهؤلاء وهؤلاء موقفٌ طويلٌ يوم القيامة.

لقد اعتقد بنو أمية أنَّ يومهم من حسينٍ سيكون طويلاً! فهذا مروان يكتب لمعاوية بعد شهادة الحسن عليه السلام:

إني لست آمن أن يكون حسين مَرَصِداً للفتنة!.. وأظن يومكم من حسينٍ طويلاً! ^(١).

آه من هذه الدُّنيا.. التي يُعَدُّ صاحب الحقِّ المطلق فيها مَرَصِداً للفتنة!
آه من دنيا ذَنِيَّةٍ يُعصى الله فيها في أحبِّ الأشخاص إليه!
آه من فئة متكالبَةٍ على حطامها، تدعو سيِّد الشهداء فتخذله، ثم تحاصره،
ثم تقتله! بعد أن قالت له: العجل العجل!

ستأتيهم ساعة، لا ندري ماذا يجري عليهم فيها.. هل يُعَجَّلُ بهم إلى النار؟
أم يُعَجَّلُ إليهم عُقُُّّ منها فيحرقهم ويأخذهم إليها!

لكننا نظن يومهم مع حسينٍ طويلاً!
لكنَّه سيطول بغير ما تصوَّروا وأرادوا.

(١) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٤٠.

ذاك يومٌ يُحشرون فيه فيقتلهم سيّد الشهداء عليه السلام، ثم يُنشرون فيقتلهم
الأئمة واحداً تلو آخر، جزاء ما فعلوا في عاشوراء.

لقد طال يومٌ عاشوراء.. حتى كأنه دهرٌ في يوم!

وطال بكاء المؤمنين عليه.. وسيظلُّ إلى يوم الساعة!

ثم يطول حينها يوم أعدائه، حينما يخزيهم الله تعالى، ويخلدّهم في الدرك
الأسفل من نيرانه. وإنا لله وإنا إليه راجعون^(١).

(١) ليلة السبت، الليلة الثالثة من محرم ١٤٤٥ هـ الموافق ٢١ - ٧ - ٢٠٢٣ م.

٣٦. أَبَالِسْتِ.. فِي رُكْبِ يَزِيدٍ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمَّا كَانَتْ قِسَاوَةَ الْقَلْبِ مِنْ عِلَامَاتِ الشَّقَاءِ، وَالْبُعْدَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، لَمْ يَكُنْ غَرِيباً أَنْ يَكُونَ يَزِيدٌ أَقْسَى النَّاسِ قَلْباً، وَقَدْ قَالَتْ سَكِينَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَقْسَى قَلْباً مِنْ يَزِيدٍ! وَلَا رَأَيْتُ كَافِراً وَلَا مُشْرِكاً شَرّاً مِنْهُ وَلَا أَجْفَى مِنْهُ! ^(١).

لَقَدْ أَوْرَثَتْ مَعَاصِي يَزِيدٍ، وَبَغْضَهُ لِآلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قِسَاوَةً فِي الْقَلْبِ، وَشَرّاً لَا مَثِيلَ لَهُ، لَا يَضَاهِيهِ كُلُّ شَرٍّ وَسَوْءٍ يَصْدُرُ حَتَّى مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ! أَصْحَابُ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةِ هَؤُلَاءِ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَشْراً غَرِيباً.. فَيُحْشَرُ أَحَدُهُمْ مَسُوخَ الْقَلْبِ!

مِنْهُمْ الْمَتَبَرِّكُونَ بِمَا جَرَى عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَعَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَمْنُ صَامِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ أَوْ تَبَرَّكَ بِهِ: لَقِيَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَمْسُوحَ الْقَلْبِ ^(٢).
إِنَّ مَا بَيْنَ الْقَلْبِ الْقَاسِيِ فِي الدُّنْيَا، وَالْقَلْبِ الْمَسُوحِ فِي الْآخِرَةِ، صَوْرٌ مِنَ الدَّجْلِ وَالتَّفَاقِ، تَظْهَرُ فِي فِعَالِ أَهْلِ الشَّقَاءِ.

وَفِي أَيَّامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَكَثَّرَ أَصْحَابُ الْقُلُوبِ الْمَسُوحَةِ، بَدَأَ مِنْ يَزِيدِ ابْنِ مَعَاوِيَةَ، مَروراً بِمُرْوَانَ ابْنَ الْحَكَمِ وَعَبِيدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، وَصَوَلاً إِلَى سَائِرِ أَتْبَاعِهِمْ وَأَعْوَانِهِمْ وَأَنْصَارِهِمْ.

ثُمَّ تَوَسَّطَ بَيْنَ الْقَادَةِ وَالْوَلَاةِ الْكُفْرَةِ، وَبَيْنَ الْأَعْوَانِ وَالْأَتْبَاعِ الْجَهْلَةِ، عُلَمَاءُ

(١) الأُمَالِي لِلصَّدُوقِ ص ١٦٧.

(٢) الْكَافِي ج ٤ ص ١٤٧.

فَجَرَّةٌ، يماثلون إبليس في مكره وِخْدَعه وشيْطنته، ويضاهونه في احتياله وتلبسه، فترَايدَ الأبالسةُ في ركب يزيد، ومَنْ تلاه من حُكَّامِ الجور، وظهر الدَّجَل والشيطنة في مواقف كثيرة.

من هذه المواقف كلامٌ منسوبٌ ليزيد، يكشف عن مقدار الدَّجَل والتلبس، الذي قام به: إمَّا يزيدُ بنفسه، أو أتباعه وأعوانه، أو علماء البلاط بعد ذلك.

لقد قيل أن سَكينة بنت الحسين عليه السلام خاطبت يزيد قائلة: يا يزيد، بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا!

فقال: يا بنت أخي! هو والله عليّ أشدُّ منه عليك!!^(١).

وقيل بأنَّ يزيد قال لها: رحم الله أبا عبد الله! عَجَّلَ عليه ابن زياد! أما والله لو كنت صاحبه ثم لم أقدر على دفع القتل عنه إلا بنقص بعض عمري لأحببت أن أدفعه عنه!!^(٢).

إن كان يزيدُ فعلاً قد قال هذا الكلام، فإنَّ سَكينةَ وهي نموذجٌ من نهاج الطُّهر والشرف والكمال، قد رأت من شيطنة يزيد في هذه الكلمات العجب! فهو مع تصريحه بأنَّ قتله لسيد الشهداء كان ثأراً لأشياخه في بدر، وانتقاماً من بني أحمد صلى الله عليه وآله! يعود ويزعم أنَّ قتل الحسين عليه السلام كان أشدَّ عليه منه على ابنته سَكينة! وأنَّ كان يود لو ينقص عمره ليدفع عن سيد الشهداء!

(١) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٨٨.

(٢) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٨٩.

هي شيطنةٌ من يزيدٍ إن كان قال هذا القول.. أو من مؤرخي البلاط، الذين ضلُّوا وأضلُّوا، وكذبوا على الله ورسوله، أفلا يكذبون وينسبون ليزيد ما لم يقله ليخففوا من وطأة ما فعله بالحسين عليه السلام؟!!

في رَكْبٍ يزيدٍ إذاً أبالسةٌ كُثُرٌ، تُسَمِّعُ من لسانهم كثيراً من كلمات الدَّجَلِ والنِّفاقِ والكذبِ!

منهم مروان الذي زعم أنَّ يزيد: بِوَجْهِهِ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ!^(١)

ومنهم الضَّحَّاكُ بن قيس، حيث زعم أنَّ يزيد: في هَدْيِهِ وقصد سيرته مِن أَفْضَلِنَا حَلِماً! وأكرمنا علماً.. تَسْكُنُ به القلوب، ونأمن به الفتن!^(٢)

لقد زعموا أنَّ صاحب القلب الممسوخ مَن تَسْكُنُ به القلوب! وأنَّ صاحب النَّفْسِ القبيحة مَن يُسْتَسْقَى به الغمام! بدلاً من رسول الله صلى الله عليه وآله! وأنَّ صاحب أعظم فتنةٍ أودت بسيدِّ شباب أهل الجنة، في أعظم مصيبةٍ في التاريخ، هو مَن تُؤَمِّنُ بهم الفِتن!

ثمَّ نسبوا له الحلم والعلم! وطول الباع وسعة الصِّدر! ورفيع الذِّكر! فهذا عمرو الأشدق يقول: والله إنَّ يزيدَ لطويل الباع! واسع الصدر! رفيع الذِّكر! إن صرتم إلى عدله وَسِعَكُمْ! وإن لجأتم إلى جوده أغناكم!^(٣)

هل صار قتلُ الحسينِ عدلاً أيُّها الأراذل؟! أَيْمَتَدَحُ يزيدُ بالعدل وقد

(١) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام ج ٤ ص ٣٩.

(٢) الفتوح ج ٤ ص ٣٣٣.

(٣) الفتوح ج ٤ ص ٣٣٣.

ارتكب أعظم فاجعة أبكت السماوات بمن فيها والأرض ومن عليها؟!
 أي انحرافٍ عن صراط الله هذا؟!
 أمّا العقول التي وهبها الله لهؤلاء، فقد صارت أسيرة الهوى.
 وأمّا القلوب التي أودعها فيهم، فقد قست فصارت كالحجارة أو أشدَّ
 قسوة.

لقد استنَّ هؤلاء بسنة معاوية بن أبي سفيان عليه وعليهم لعائن الله، فهو
 القائل للحسين عليه السلام أن يزيد خيرٌ منه لهذه الأمة!
 قال للحسين: وأمّا أنت وهو، فهو والله خيرٌ لأمة محمد صلى الله عليه (وآله)
 وسلم منك.

فقال الحسين: من خيرٌ لأمة محمد؟! يزيد الخمر الفجور؟!^(١)
 إذا كان الله تعالى قد فضّل الحسين عليه السلام على كل من في الأمة، بل على سائر
 الأمم، وجعله من النبي صلى الله عليه، وجعل النبي منه، وجعله سيد شباب أهل الجنة،
 ثم جاء معاوية ليقسم بكل جرأة بالله تعالى أن يزيد خيرٌ من الحسين! فلا عجب
 حينها أن يقول مروان والضحاك والأشداق ما قالوا!
 ولا عجب حينها أن تصدّر كل القبائح من أتباع معاوية ويزيد، فهؤلاء هم
 الذين كفروا وكذبوا بآيات الله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ
 أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(٢).

(١) الفتوح ج ٤ ص ٣٣٩.

(٢) المائدة ١٠.

لقد كَذَّبَ هؤلاء بكلِّ آياتِ الله، وأَعْظَمَ الآياتِ نَبِيَّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وكَذَّبُوا
 بالأوصياءِ ﷺ، بل كفروا بالله تعالى وإن أظهروا الإسلام.
 لقد أتوا بأقبح القبائح، وقتلوا الحسينَ ﷺ، فكيف يحجبهم عن الانتقاص
 منه شيء؟! وما الذي يمنعهم من تعظيم رموز الضلال، وأعداء الحسينِ ﷺ.
 لقد أرادوا تشويه صورته، والحطَّ من مكانته، وهم يظنون أنهم سينجحون
 في ذلك!

جهلوا أنَّ الله يَأْبَى إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نوره..

ظنوا أنَّهم بقتلهم الحسينِ ﷺ، واتهامه بالظلم يقدرُون على محو أمره! فقال
 قائلهم، عبيد الله بن زياد لابن سعد، عن الحسين وأصحابه:
 فَارْزَحْ إِيَّاهُمْ حَتَّى تَقْتُلَهُمْ وَتُمَثِّلَ بِهِمْ! فَإِنَّهُمْ لِدَلِكِ مُسْتَحِقُّونَ! فَإِنْ قُتِلَ
 حُسَيْنٌ فَأَوْطِئِ الْخَيْلَ صَدْرَهُ وَظَهْرَهُ! فَإِنَّهُ عَاقٌ شَاقٌّ، قَاطِعٌ ظُلُومٍ!^(١)
 الحسين وأصحابه مُسْتَحِقُّونَ للقتل عند هؤلاء! وللتَّمثيل!
 لقد نهى النبيُّ أن يُمَثَّلَ حتى بالكلبِ العَقور! وهؤلاء يزعمون أنَّ الحسين
 يستحقُّ أن يُمَثَّلَ به! فَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون.

الله تعالى يأمر بطاعة الحسين، ومودَّته، وأتباع أمره، وينهى عن مخالفته،
 ويزعم الأرجاس أنَّ الحسين هو العاق!
 لقد وقع من الظلم على الحسينِ ﷺ ما أبكى ملائكة السماوات، وهؤلاء
 يزعمون أنَّه ظلومٌ ﷺ! فَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون!

(١) وقعة الطف ص ١٨٨، جمل من أنساب الأشراف ج ٣ ص ٣٩١.

إنَّ من هوان الدُّنيا على الله أن يُقال ذلك للحسين عليه السلام.. ومن هوان الدُّنيا
أن يُنسب الحسين عليه السلام للكذب!

ومن مفارقات يوم عاشوراء أن رجلاً أنصاريّاً قاتل مع الحسين عليه السلام،
وأحبَّ أن يبذل مهجته فيه، فقتل دفاعاً عن سيّد الشهداء، وكان له أخٌ في معسكر
الشیطان، مع عمر بن سعد، فقال للحسين عليه السلام:

يَا حُسَيْنُ! يَا كَذَّابُ! يَا بَنَ الْكَذَّابِ! أَضَلَّكَ أَخِي وَغَرَّرْتَهُ حَتَّى قَتَلْتَهُ؟! (١).
فلا حول ولا قوَّة إلا بالله.

أي خيرٍ يُرتجى من هؤلاء الأرجاس! حين يُنسبُ الحسين وأبوه للكذب؟!
والحقُّ لا يفارقهم بحال، فهم ميزانه وعلامته، وبهم يعرف الحقُّ والصدق، ثمَّ
يُنسب لهم الإضلال! وقتل من دافع عنهم دفاعه عن الحق!

وهكذا يُتهم الإمام عليه السلام تارةً بأنّه: مَرَقَ مِنَ الدِّينِ وَخَالَفَ الإِمَامَ!! (٢).
وأخرى بأنَّ أهل بيته: أهل بيت ملعونون!! (٣).

وثالثة يُقال له: نَحْنُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ الطَّيِّبُونَ! مُيِّزَنَا مِنْكُمْ!! (٤).

ورابعة يقول ابن زياد: الحَمْدُ لله الَّذِي أَظْهَرَ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ، وَنَصَرَ أَمِيرَ
المُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ وَحِزْبَهُ! وَقَتَلَ الْكَذَّابَ ابْنَ الْكَذَّابِ: الحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ

(١) جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ص ٤٠٠.

(٢) وقعة الطف ص ٢٢٤.

(٣) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٠٣.

(٤) الإرشاد ج ٢ ص ٩٥.

وَشِيعَتُهُ! (١).

وخامسةً يقول يزيد لزينب عليها السلام: **إِنَّمَا خَرَجَ مِنَ الدِّينِ أَبُوكِ وَأَخُوكِ!** (٢) ثمَّ يزعم أنَّها عليها السلام عدوة الله!!

وسادسةً يقول والي المدينة عن الزَّهراء والحسين عليهما السلام: لو كانت حيةً لأحزنها قتله. ثم لم تَلْم من قتله يدفع عن نفسه!! (٣).

وهكذا تتكثَّر كلمات الأبالسة، في أيام معاوية ويزيد ومن تلاهم. كلُّ واحدةٍ من هذه الكلمات وسواها ممَّا أعرضنا عن ذكره تورثُ عند المؤمن أذيةً عظيمة، حيثُ تُنسَبُ فيها القبائح والنقائص والرذائل للأطهار، لسادة الخلق والوجود، ويُنتَقَصُ منهم!

ثمَّ يأتي دور علماء البلاط، فيبرِّأ يزيد! فهذا الغزالي ينكر قتل يزيدٍ للحسين عليه السلام! ويمنع من لعنه! (٤).

وذاك ابن حجر يُخطِئ من يتَّخذ يوم عاشوراء مأتمًّا على الحسين! (٥).
وثالثٌ يعدُّ إقامة المأتم وإظهار الحزن يوم عاشوراء بدعةً ابتدعها الرافضة! (٦).

(١) الإرشاد ج ٢ ص ١١٧.

(٢) الأمالي للصدوق ص ١٦٧.

(٣) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٩٢.

(٤) إحياء علوم الدين ج ٩ ص ١٩.

(٥) الصواعق المحرقة ص ١٨٤.

(٦) حاشية رد المختار ج ٢ ص ٤٦٠.

فإذا كان هذا حال ولادة أمة الإسلام وقادتها، وجيوشها وجمهورها،
وعلمائها وفقهائها.. لم يكن عجباً أن يُلعن عليٌّ على المنابر، ويقال عنه أنه: لِيَصَّ
من لصوص الفتن!

وأن يُقال أن: معاوية بن الخطاب.. قاتل عليَّ بن العاص!!
وأن يقول أحمق آخر أن علياً: هو أبو فاطمة! وأنه قُتِلَ في غزاة حنينٍ مع
النبي!!

وأن فاطمة عليها السلام: امرأة النبي صلى الله عليه وآله! بنت عائشة! أخت معاوية!!^(١).
لقد طال ما سردناه عن هؤلاء.. وأتعب القارئ كثرة الافتراء على الحسين
وآله الأطهار، وهاله مقدار الجهل الذي عاشته أمة الإسلام في تلك الأيام ولا
ترال.

وفي بطون الكتب مما لم نذكر أضعاف ما ذكرنا.

لكن اللافت هنا أمور:

أولها: أن حال الأمة اليوم لا يزال كحالها بالأمس، ففي ذلك اليوم قتلوا
الحسين عليه السلام، وأسألوا الدماء الطاهرة وهم يزعمون التقرب إلى الله في ذلك! فيما
كانوا يسألون عن حكم دم البعوضة! ويتورعون عن قتلها لو ثبتت حرمة!^(٢).
واليوم تُرتكبُ أفظع الجرائم بحق المؤمنين وغيرهم، من قبل من يزعمون
أنهم أتباع سنة النبي صلى الله عليه وآله.

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٢-٣٣.

(٢) الأماي للصديق ص ١٤٤.

ثانيها: أن الجهل إذا عمَّ في أمةٍ لم يرتج منها الخيرُ أبداً.. فلقد أرسل الله رسوله على حين انبساطٍ من الجهل، فأثار للناس طريقهم، ثم ما لبثوا أن عادوا لجهلهم بإعراضهم عن أبواب العلم والهداية، بل آذوهم وظلموهم وقتلوهم وشرّدوهم، واليوم لا يزال الجهل في أمة الإسلام عمياً، لإعراضهم عن الإمام المعصوم المطهر الذي لا خلاص لهم إلا به.

ثالثها: أن لا نجاة للأمة من تلبسات إبليس، ومن فخاخه، وفخاخ شياطين الإنس، إلا بالتمسك بآل محمد ﷺ، وقد قال أمير المؤمنين عن فخاخ الشياطين: يَا كُمَّيْلُ، إِنَّ الْأَرْضَ مَمْلُوءَةٌ مِنْ فِخَاخِهِمْ! فَلَنْ يَنْجُوا مِنْهَا إِلَّا مَنْ تَثَبَّتْ بِنَا! (١).

ليس هؤلاء إلا الشيعة، الذين يُحْيُونَ أَمْرَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ويسيرون على هديهم.

وهذه عاشوراء، فيصلُ بين الحقِّ والباطل.

يُحْيِيهَا أَحِبَابُ الْحُسَيْنِ بِكُلِّ نَحْوٍ قَدَرُوا عَلَيْهِ: فَيَكُونُ الْحُسَيْنُ ﷺ، ويلبسون السواد، ويطعمون الطعام، ويقىمون المآتم، ويشججون الرؤوس، ويجعلونها أيام حزنٍ طويل.. ليجزيهم الله أحسن جزاء العاملين.

ثَبَّتْنَا اللَّهُ عَلَى وَايَةِ آلِ مُحَمَّدٍ، وَعَظَمَ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ الْأَجْرَ بِهِمْ.

وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٢).

(١) بشارة المصطفى ج ٢ ص ٢٨.

(٢) ليلة الخميس، الليلة الثامنة من محرم ١٤٤٥ هـ الموافق ٢٦ - ٧ - ٢٠٢٣ م.

٣٧. لا نريدكم مع الحسين!!

بسم الله الرحمن الرحيم

كوفة الجند.. عام ٦١ للهجرة..

خطبت زينب بنت عليّ عليه السلام، أفرغت عن لسان أبيها قائلة: ابكوا كثيراً
واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها، وبؤتم بشنارها^(١).

يقوم بعد ذلك السجاد زين العابدين عليه السلام، يومئ للناس بالسكوت
فيستكوا، يُعرّف عن نفسه وأنه ابن الحسين عليه السلام، المذبوح بشطّ الفرات من غير
ذحل (ثار) ولا ترات، ويقول فيما يخاطبهم به:

أيها الناس: ناشدْتُكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ كَتَبْتُمْ إِلَى أَبِي وَخَدَعْتُمُوهُ؟
وَأَعْطَيْتُمُوهُ مِنْ أَنْفُسِكُمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ وَالْبَيْعَةَ ثُمَّ قَاتَلْتُمُوهُ وَخَدَلْتُمُوهُ؟ فَتَبَّ لَكُمْ
مَا قَدَّمْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ^(٢).

ترتفع أصوات الناس بالبكاء، هم أنفسهم الذين قالت لهم زينب سلام الله
عليها: ابكوا كثيراً وضحكوا قليلاً..

يستكمل الإمام نصحه للقوم، فيصدر منهم موقف مفاجئ:

فَقَالُوا (بِأَجْعِهِمْ): وهذا جواب جماعي غريب من هؤلاء القوم:

نَحْنُ كُلُّنَا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ سَامِعُونَ مُطِيعُونَ حَافِظُونَ لِذِمَامِكَ، غَيْرُ

(١) اللهوف ص ١٤٧.

(٢) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٠٦.

زَاهِدِينَ فِيكَ وَلَا رَاغِبِينَ عَنْكَ، فَمُرْنَا بِأَمْرِكَ رَحِمَكَ اللَّهُ، فَإِنَّا حَرْبُ حَرْبِكَ،
وَسِلْمٌ لِسِلْمِكَ، لِنَأْخُذَنَّ تِرَتَكَ وَتِرَتَنَا مِمَّنْ ظَلَمَكَ وَظَلَمَنَا!!^(١).

وفي نص آخر:

فَمُرْنَا بِأَمْرِكَ يَرْحَمَكَ اللَّهُ! فَإِنَّا حَرْبُ حَرْبِكَ وَسِلْمٌ لِسِلْمِكَ! لِنَأْخُذَنَّ يَزِيدَ
لَعْنَهُ اللَّهُ وَنَبْرًا مِمَّنْ ظَلَمَكَ!^(٢).

ههنا زعم هؤلاء كلهم أنهم:

١. سامعون مطيعون له!

٢. حافظون لعهدده!

٣. مؤتمرون بأمره!

٤. حربٌ لحربه وسلمٌ لسلمه!

٥. مظلومون موتورون كالإمام!!

هؤلاء أنفسهم الذين وصفتهم زينب عليها السلام بأنهم: أَهْلَ الْخَتْلِ وَالْخَذْلِ!^(٣).

وقال عنهم السجاد عليه السلام: إِنَّ هَؤُلَاءِ يَبْكُونَ عَلَيْنَا فَمَنْ قَتَلَنَا غَيْرُهُمْ؟!^(٤).

ووصفهم بأنهم: الْغَدْرَةُ الْمَكْرَةُ!^(٥).

(١) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٠٦.

(٢) اللهوف ص ١٥٨.

(٣) الأمالي للمفيد ص ٣٢٢.

(٤) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٠٤.

(٥) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٠٦.

قال لهم عليه السلام: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ كَمَا أَتَيْتُمْ إِلَى آبَائِي مِنْ قَبْلُ؟^(١).

لم يطلب ولم يقبل الإمامُ النصرَةَ التي عرضها هؤلاء القوم عليه، لقد عرضوا أن يحاربوا لحربه، وأن يأخذوا يزيد لعنه الله، وهم يزعمون أنهم يريدون أن يأخذوا تِرْتَهُمْ من ظلم الإمام وظلمهم! فهم شركاء الإمام في الظُّلْمَةَ بزعمهم!!

فهل من وقاحة أعظم من هذه؟!

يقول الإمام: فَمَنْ قَتَلْنَا غَيْرَهُمْ؟!

وهم يزعمون أنهم مظلومون موتورون كما الإمام؟!

حينها يُعْرِضُ زَيْنُ الْعُبَّادِ عليه السلام عن طلبهم بذل النصرَةَ له، وهو العالمُ بأن ما فعلوه مع الحسين عليه السلام سيتكرر معه، وينطق بكلمةٍ ذهبيةٍ نصُّها:

مَسْأَلَتِي أَنْ لَا تَكُونُوا لَنَا وَلَا عَلَيْنَا!^(٢).

الإمام عليه السلام زاهدٌ في نصرَةَ هؤلاء له، يعرف أنهم لن يكونوا معه حقاً، فيطلب منهم أن لا يكونوا معه ولا عليه!

يكفي الإمامَ والعترة الطاهرة أن يكفَّ هؤلاء شرَّهم وسوءهم عنه عليه السلام، ألم يُجَرِّعوه الغصص بقتل أبيه من قبل؟!

ثمَّ تمرُّ القرون تلو القرون، ونصل الى عامنا هذا، عام ١٤٤٢ للهجرة، ونحاول أن نتمثَّل تلك الأيام الكئيبة.. لنعتبر..

(١) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٠٦.

(٢) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٠٦.

يَلْهَجُ الْيَوْمَ جُلُّ الْمُسْلِمِينَ بِحُبِّ الْحُسَيْنِ وَأَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَجَدِهِ وَبَنِيهِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَكِنْ.. كَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا مِنْ: (أَهْلَ الْخَتْلِ وَالْخَذْلِ)؟!

أَلَا يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ أَنَّ الْمَحَبَّ لَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَأَعْدَائِهِمْ (أَعُور)، فِيمَا أَنْ يَعْمَى وَإِمَا
أَنْ يَبْصُرَ؟!

إِنَّ أَبْوَابَ التَّشْكِيكِ فِي دِينِ اللَّهِ مَفْتُوحَةٌ الْيَوْمَ عَلَى مَصْرَاعِيهَا، وَطَهَارَةُ طِينَةِ
الشَّيْعَةِ رَغْمَ ذَلِكَ تَدْفَعُ كَثِيرًا مِنْهُمْ إِلَى حَسَنِ الظَّنِّ حَتَّى بِالْمُخَالَفِينَ، لِأَنَّهُمْ
يَذْكُرُونَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَحَبَّةِ وَالْمُودَةِ.

لَكِنَّا نَتَمَثَّلُ مَعَ هَؤُلَاءِ كَلَامَ السَّجَادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَقُولُ لَهُمْ أَنْ مَسَأَلْتَنَا: أَنْ لَا
تَكُونُوا لَنَا وَلَا عَلَيْنَا!

نَعَمْ، لَا نُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا مَعَنَا! كَمَا لَمْ يَرِيدِ السَّجَادُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَكُونَ أَوْلَتْكَ الْقَوْمَ
مَعَهُ!

لَا تَكُونُوا مَعَ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ!

وَهَلْ انْدَمَلَتْ جِرَاحَاتُنَا مِنْ سَيُوفِهِمْ الَّتِي مَا جَفَّتْ مِنْ دِمَاءِ الشَّيْعَةِ؟! وَمِنْ
افْتِرَاءَاتِهِمُ الَّتِي شَوَّهَتْ صُورَتَنَا وَأَلْصَقَتْ بِنَا كُلَّ رَذِيلَةٍ؟!

نَعَمْ.. لَا نُرِيدُكُمْ مَعَ الْحُسَيْنِ!

لَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِمَّنْ يَنْصُرُ الْحُسَيْنَ إِنْ سَمِعَ وَاعِيَتَهُ.. فَالْقَوْمَ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ.

نَعُودُ لِحُطَابِ الْقَوْمِ لِلْسَّجَادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِينَمَا قَالُوا لَهُ: فَمُرْنَا بِأَمْرِكَ رَحِمَكَ اللَّهُ،
فَإِنَّا حَرْبٌ لِحَرْبِكَ، وَسَلْمٌ لِسَلْمِكَ!

إِنَّ الذَّبَّ عَنِ الإِمَامِ مِنْ أَوْجِبِ الْوَاجِبَاتِ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى إِذْنٍ مِنَ الإِمَامِ^(١)، لَكِنَّ الْقَوْمَ يَرِيدُونَ أَنْ يَسْتَأْذِنُوهُ، لِأَنَّهُمْ مُصَدِّقُ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٢﴾.

إِنَّ اسْتِئْذَانَ هَؤُلَاءِ كَاشِفٌ عَنْ أَتَمِّهِمْ غَيْرَ مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، لَقَدْ شَهِدُوا قَتْلَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَقَّعَ الظُّلْمَ عَلَى السَّجَادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا تَحَرَّكُوا لِلذَّبِّ عَنْهُمْ، وَإِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَسْتَأْذِنُوا السَّجَادَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الذَّبِّ عَنْهُ بَعْدَ الْوَاقِعَةِ!!
أَيْسْتَأْذِنُ الإِمَامَ فِي أَحَدِ أَعْظَمِ التَّكَالِيفِ الإِلَهِيَّةِ وَهُوَ الذَّبُّ عَنْهُ؟! هَلْ يَخْتَلِفُ هَذَا عَنِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؟!
فَبَعْدَ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى الْمُسْلِمِينَ بِالنَّفِيرِ أَثَاقَلَتْ فِئَةٌ إِلَى الْأَرْضِ وَرَضِيَتْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَخَاذَلَتْ عَنِ نَصْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ، وَجَاءَ الْمُسْتَأْذِنُونَ لِلخُرُوجِ لِأَمْرِ اللَّهِ!

وَلَقَدْ أَخْبَرْنَا لِسَانَ الْغَيْبِ عَمَّا سَيَحْصِلُ لَوْ خَرَجُوا مَعَ الْخَارِجِينَ: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْعُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ

(١) وليس هذا كاستئذان أصحاب الإمام عليه السلام في يوم عاشوراء، فإنه لم يكن استئذاناً في أصل الذب عنه والوقوف تحت رايته، بل كانوا معه ولو قتلوا ألف قتلة، إنما كان استئذان أحدهم للبراز في وقتٍ وموقفٍ معيّن.. وهو يكشف عن شديد اعتقادهم بالإمام وتعظيمهم وانقيادهم له عليه السلام.

سَمَّاعُونَ هُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١﴾.

واليوم كذلك.. لو خرجوا فينا ما زادونا إلا خبالاً ووبالاً وشرّاً وسوءاً،
ولبغوا لنا الفتنة، وفينا سمّاعون لهم!!

فالناس هي الناس.. والأيام تُكرّر نفسها!

وهذه أصوات الفساد والنّشاز والفتنة تُسمع اليوم من كلّ حدبٍ وصوب،
من (أهل الحتل والغدر) أولاً، ومن (السمّاعين لهم) ثانياً.

أمّا المؤمنون أهل الولاية فيعلمون أن أهل الحتل والغدر هؤلاء ليسوا بمن
نأسى عليهم، ولا بمن تُغرّينا كلماتهم فنطلب مودّتهم وقربهم، لأنّ بعدهم خيرٌ
من قربهم، ولو زعموا مودة الحسين ومحبه وأهل بيته عليه السلام، فالقوم أبناء القوم!
ولكنّ المؤمنين يحدرون منهم، وممن قال عنهم تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ
هُمُ﴾! وقد روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قوله:

مَنْ أَصْغَى إِلَيَّ نَاطِقٍ فَقَدْ عَبَدَهُ:

١. فَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ عَبَدَ اللَّهَ.

٢. وَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ الشَّيْطَانِ فَقَدْ عَبَدَ الشَّيْطَانَ ^(٢).

لئن أخذ الحماسُ بعضنا يوماً وحاول التقرّب من هؤلاء، فقد آن الأوان
ليقول لهم كما قال إمامنا زين العابدين عليه السلام: مَسَأَلْتِي أَنْ لَا تَكُونُوا لَنَا وَلَا عَلَيْنَا!

نعم.. مسألتنا أن لا يكونوا لنا ولا علينا..

(١) التوبة ٤٧.

(٢) الكافي ج ٦ ص ٤٣٤.

لا نريد منهم ولا من السَّمَّاعين لهم إصلاحاً في دين الله، إنما المصلح في دين الله هو الإمام المعصوم عليه السلام.

لا نريد منهم ولا من السَّمَّاعين لهم أن يكونوا أصحاب غيرة على العقيدة والتراث والشعائر ومنابر العزاء والمقدّسات!

ليسوا منا ولسنا منهم.. فليكفوا شرهم عنا.. وكفى!

نعم.. لا نريدكم مع الحسين..

نريدكم أن لا تكونوا عليه وعلينا..

نريدكم أن تكفوا أذاكم عن أتباع الحسين عليه السلام وشيعته ومُحبّيه والباكين

عليه والمحيين لأمره والذاكرين له، وأن تصمت أبواقكم عنا وتنشغل بسوانا، فلا تكونوا علينا.. والحمد لله رب العالمين^(١).

٣٨. حسين زماننا.. في عاشوراء!!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حسين زماننا! حسيننا في هذا الزمان!

حسين العصر! حسينٌ صغير!

كلماتٌ وتسجيلاتٌ تنتشر في أيام العزاء الأليم، لأخوة لنا في المذهب، بِحَقِّ رموزٍ يُقدسونها ويحبونها ويريدون تعظيم أمرها ورفع شأنها، في العراق وإيران، أو في سوريا ولبنان.

ثم يأخذ الحماس بعضهم فيضيف إلى ذلك (إمامنا.. في هذا الزمان)! ويذهب آخرون إلى انطباق الآية الشريفة ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾^(١) في جانب الحق على غير الإمام المعصوم! فتثور نائرة فتنة ثانية من الأخوة المؤمنين، فيقال:

هذا خروجٌ عن قواعد الشريعة ومسلّماتها العقديّة، فأهل البيت لا يُقاس بهم أحدٌ، وكلُّ الناس من مائدتهم تقنات! فأين الثرى من الثريا؟!

تجيب الفئة الأولى: لا نقصد من كلامنا وصول أحدٍ إلى مرتبة الإمام الحسين عليه السلام، بل نريد تشبيهه بالإمام عليه السلام إما في علمه أو في ثورته ونضاله أو غير ذلك.

تقول الفئة الثانية: التشبيه ممنوعٌ مطلقاً، ولو بهذا المقدار.. ثم لماذا استعمال مثل هذه الألفاظ الموهمة والمشككة بالعقيدة؟

تجيب الفئة الأولى: لا مانع من التشبيه بهذا المقدار.. ولسنا نريد التشكيك بالعقيدة فنحن نؤمن بعصمة المعصومين أيضاً.
وهكذا يستمر الجدل ويطول..

لكن.. من يستعمل هذه التشابيه؟ وما المراد منها؟ ومن أين جاءتنا؟
ولماذا انتشر استعمالها بين اخوتنا وأحبائنا؟ وما هو الموقف الحق منها؟

أولاً: من يستعمل هذه التعابير؟

لقد استعملت هذه التعابير من قبل فئات شتى:

١. فتارة استعملت في مُدَّعي المهدوية (كأحمد الحسن اليماني) الذي يدَّعي أنه ابن الامام المهدي عليه السلام! فيقول فيه أصحابه: سيدي يا أبا عبد الله هذا فرختك حسين العصر أحمد الحسن (ع)!
٢. وثانية استعملت في بعض مُدَّعي السفارة الخاصة في زمن الغيبة.
٣. وثالثة في بعض العلماء الماضين في العراق وإيران ولبنان، وبعض العلماء المعاصرين.
٤. ورابعة في بعض قادة الدول المعاصرين.. وهكذا.

ثانياً: ما المراد من هذه الألفاظ؟

قد يختلف المراد من هذه الألفاظ بين فئةٍ وأخرى، إذ قد يُقصد بها تارة بيان عقيدةٍ توضع (العلماء والأولياء) في مصاف (الأنبياء والأئمة)، وهو باطل قطعاً.

وقد يُراد منه ما دون ذلك من كون العلماء طريقاً لتعريف الناس بالإمام مثلاً، أو أنهم يقتفون أثر الإمام عليه السلام، أو ما شابه. وعليه فإن هذه التعبيرات من المشتركات أو المتشابهات على أحسن تقدير.

ثالثاً: من أين نشأت هذه الأفكار والاستعمالات؟

يظهر أن جذور هذه الأفكار قد نشأت في أحضان التصوف، حيث أثبت المتصوفة لموزهم مرتبة النبوة والرسالة!

فقد زعم ابن عربي ثبوت هذه المرتبة لعمر بن الخطاب! حين قال: ففي زمانه صلى الله عليه كان عمر معصوماً.. بل كان بمرتبة النبوة والرسالة وإن انقطعت أحكام التشريع! فهو وارث النبوة والرسالة من النبي الأكرم صلى الله عليه.^(١) ثم انتقل ذلك إلى العرفاء الشيعة، فنسبوا إلى عرفائهم (كالحداد) أنه: في مقام لا يقدر جبرائيل على الدنو منه^(٢).

ثم جعلوا شخص العارف منهم: كنفس أمير المؤمنين عليه السلام.^(٣)

فصار عندهم: اشتباه العارف يعني اشتباه الله^(٤) (تعالى الله عن ذلك).

وصار العارف نسخة عن الإمام، حيث قالوا عنها: هما حقيقة واحدة قد تجلّت وبرزت في ظهورين وتجلّين!!.. لا فرق بين الأستاذ والإمام!.. من

(١) الفتوحات المكية ج ٢ ص ٥٧٣.

(٢) حريم القدس ص ٥٧.

(٣) أسرار الملكوت ج ٢ ص ٨٥.

(٤) أسرار الملكوت ج ٢ ص ٣٢٥.

هذا المنظار يمكننا إدراك حقيقة ما يذكره المرحوم العلامة الطهراني مراراً حيث كان يقول: كنت أنظر إلى أستاذه وكأنه النبي الأكرم ﷺ أو الإمام عليّ عليه السلام^(١).
بهذا يتضح أن المقارنة بين النبي ﷺ والإمام عليّ عليه السلام ومن دونهم من الرموز نشأ في أحضان (متصوِّفة العامة)، ثم تسرَّب إلينا عبر (عُرفاء الشيعة)، فصار العالم أو القائد أو الفقيه (كالنبي الأكرم) أو (كالإمام المعصوم)، أمره أمر الإمام! ونفسه كنفس أمير المؤمنين عليّ عليه السلام!

رابعاً: لماذا انتشرت هذه الألفاظ بيننا؟

يبحث الإنسان عن رمز يتلمَّس فيه الكمال، ويأخذ عنه معالم الدين، وقد التزم المخالفون بإمامة المقتدر القويِّ الظالم!
لكن الشيعة خالفوهم وحصروا الإمامة بالأئمة الاثني عشر عليّ عليه السلام، ثم غاب الإمام الثاني عشر عليّ عليه السلام، فوقع كثيرٌ من الشيعة في الشكِّ والحيرة لغيبة الإمام عنهم.

يقول الشيخ النعماني رحمه الله (المتوفي سنة ٣٦٠ هـ) في كتاب الغيبة: فإننا رأينا طوائف من العصابة المنسوبة إلى التشيع.. ممن يقول بالإمامة.. شكوا جميعاً إلا القليل في إمام زمانهم وولي أمرهم وحجة ربهم.. حتى أذاهم ذلك إلى التيه والحيرة والعمى والضلالة، ولم يبق منهم إلا القليل النزر^(٢).

إنَّ البحثَ عن إمامٍ معاصرٍ (ظاهرٍ) هو ديدنُ الناسِ عموماً، ولما رأى

(١) الشمس المنيرة ص ٢٨-٣٠.

(٢) الغيبة ص ٢٠-٢١.

بعض العوام أنّ من العلماء المعاصرين من انفراد بعقيدة تنصّ على أنّ دليل الإمامة بعينه دليل على لزوم الحكومة بعد غيبة وليّ الأمر^(١).

وأن الفقيه: يلي من أمور المجتمع ما كان يليه النبي ﷺ منهم^(٢).

تَوَهَّمَهُمْ هُوَ لَاءِ الْعَوَامِ أَنَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَقْرَنُ نَفْسَهُ بِالْمَعْصُومِ!

والحال أن القائل نفسه ينفي ذلك فيقول: ولا ينبغي أن يُساء فهم ما تقدم، فيتصور أحد أن أهليّة الفقيه للولاية ترفعه إلى منزلة النبوة أو إلى منزلة الأئمة^(٣).

فَحَتَّى وَفَقَّ هَذَا الْقَوْلُ الْفَقْهِيَّ الْمُخَالَفَ لِمَشْهُورِ الْفُقَهَاءِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَارَنَ الْفَقِيهَ بِالْإِمَامِ أَبَدًا، فَأَيْنَ الْإِمَامُ مِنَ الْمَأْمُومِ؟!

خامساً: أين هو الحق؟!

لا ريب أن من أراد بمقولاته السابقة (حسين العصر) نسبة الإمامة لغير أهلها (كاتباع أحمد الحسن) صار مصداقاً لمن يدّعي الإمامة وليس من أهلها، وقد ورد عن الصادق عليه السلام: **مَنْ ادَّعَى الْإِمَامَةَ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا فَهُوَ كَافِرٌ**^(٤).

وأن من جعلها ملازمة للسفارة الخاصة كان مكذباً للإمام عليه السلام الذي أكد على انتهاء السفارة الخاصة بموت السُّفَرَاءِ الأربعة.

أَمَّا مَنْ أَرَادَ مِنْهَا التَّكْرِيمَ وَالتَّجْلِيلَ لِلْعُلَمَاءِ دُونَ الْمَسِّ بِمَقَامِ الْإِمَامَةِ أَوْ ادِّعَاءِ

(١) كتاب البيع ج ٢ ص ٦١٩.

(٢) الحكومة الإسلامية ص ٥٢.

(٣) الحكومة الإسلامية ص ٥٢.

(٤) الكافي ج ١ ص ٣٧٢.

الإمامة لغير أهلها، سلّمت عقيدته من هذه الجهة، وإن كان فعله مرجوحاً في غير محله، أو باطلاً لما يجعل غير المعصوم في محل المعصوم مصداقاً للآية المباركة ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ وسواها.

أما وجه المرجوحية والبطلان فيظهر في أمور منها:

١. أنه نوعٌ تشبيهٍ باطلٍ ولو أريد منه التشبيه في جهة من الجهات فقط، ذلك أن الشيعة يعتقدون بما ورد على لسان الرضا عليه السلام: الإمام واحدٌ دهره، لا يدانيه أحدٌ، ولا يعادله عالمٌ، ولا يوجد منه بدلٌ، ولا له مثلٌ ولا نظيرٌ. ويعتقدون بأن: الإمامة أجلُّ قدرًا وأعظمُ شأنًا وأعلى مكانًا وأمنع جانبًا وأبعدُ غورًا من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بأرائهم، أو يقيموا إمامًا باختيارهم.

فعقول الناس كلها لا يمكنها أن تبلغ مرتبة الإمامة، بل: صَلَّتِ الْعُقُولُ.. عَنْ وَصْفِ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِهِ أَوْ فَضِيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ^(١). فكيف يتشبهه غيره به وهذا الغير وسواه عاجزٌ عن إدراك حقيقة الإمامة، وعن وصف فضيلة من فضائل الإمام؟!

وكيف يسوغ التشبيه بين ضوء الشمعة وبين نور الشمس؟! وتنزيل إحداهما منزلة الأخرى؟! ولو في جهة من الجهات؟!

نعم هناك أمرٌ آخر.. وهو أن الشيعة جميعاً يقتدون بالإمام عليه السلام، لكنهم يفرقون بين الاقتداء بالإمام وبين التشبه به، فكلهم يقتدي ولا يشبه!

(١) الكافي ج ١ ص ٢٠١.

٢. أنه ما المراد من التشبيه؟ هل هو استلهاام القيام على كل ظالمٍ في أيامنا ورفع السيف بوجهه سيراً على خطى الحسين عليه السلام؟

إن كان كذلك فهو باطلٌ لأن الإمام عليه السلام لم يرفع السيف على كل ظالم، فقد عاش في أيام حكم معاوية ولم يُحرِّك ساكناً، وفي أيام يزيد لم يبتدئ القوم بالقتال، ولم يصرَّ عليه، بل أصروا على قتاله وقتله بعدما قال لهم مراراً: وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَكُنْتُمْ لِمَقْدَمِي كَارِهِينَ انصرفتُ عَنْكُمْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي جِئْتُ مِنْهُ إِلَيْكُمْ^(١).

ثم لما خيروه بين أمرين: القتال (السلة) والنزول على حكم يزيد (الذلة) اختار القتال، ف: (هيهات منا الذلة) هو شعاره.

وليس الإمام عليه السلام ممن حمل لواء الثورة والقتال والحرب كيفما كان كي نتشبهه به في ذلك، إلا أنه قد فرض عليه، ويأبى الله له طاعة اللئام على مصارع الكرام.

٣. أنه على فرض التنزل والتسليم بأن الإمام كان (ثائراً)، وأن المراد هو التشبه به في (قيامه ونضاله)، فهو باطلٌ أيضاً!

ذلك أن لنا في عصر الغيبة إماماً لا ينبغي أن نصدر إلا عن أمره، وإمامنا غائبٌ أي غير ناهض بالسيف، فإن في قيامنا ونهوضنا حال قعوده وغيابه تقدماً عمّن حقه التقدم، وسلباً لحق الإمام في أن يكون القدوة والأسوة، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في نهجه: الزموا الأرضَ واصبروا على البلاءِ ولا تحركوا بأيديكم وسؤوفكم في هوى السنتكم ولا تستعجلوا بما لم يُعجله الله لكم^(٢).

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٧٩ و ٨٠ و ٨٥.

(٢) نهج البلاغة ص ٢٨٢.

فأَيُّ تَقَدُّمٍ عَلَى الْإِمَامِ هُوَ اسْتَعْجَالٌ لِمَا لَمْ يَعْجَلْهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ وَرَدَ عَنْهُمْ
عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا سَدِيرُ الزَّمِّ بَيْتِكَ، وَكُنْ جَلْساً مِنْ أَحْلَاسِهِ، وَأَسْكُنْ مَا سَكَنَ اللَّيْلُ
وَالنَّهَارُ، فَإِذَا بَلَغَكَ أَنَّ السُّفْيَانِيَّ قَدْ خَرَجَ فَارْحَلْ إِلَيْنَا وَلَوْ عَلَى رَجْلِكَ^(١).

وعن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: اسْكُنُوا مَا سَكَنَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ،
أَيُّ لَا تَخْرُجُوا عَلَى أَحَدٍ، فَإِنَّ أَمْرَكُمْ لَيْسَ بِهِ خَفَاءً^(٢).

وقال أبو الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّمَا عَنَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ: مَا سَكَنَتِ السَّمَاءُ
مِنَ النَّدَاءِ بِاسْمِ صَاحِبِكُمْ، وَمَا سَكَنَتِ الْأَرْضُ مِنَ الْخَسْفِ بِالْجَيْشِ^(٣).
فلا يصحُّ القيام قبل النداء باسم الإمام المنتظر عَلَيْهِ السَّلَامُ، وخروج السُّفْيَانِي،
والخسف بجيشه.

فهل صار التقدُّم على إمام الزمان واستعجال ما أجَّله الله فخراً وشرفاً وعزاً
وتشبهاً بالإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ؟!

إِنَّ حَقَّ إِمَامِ زَمَانِنَا عَلَيْنَا أَنْ نَصْبِرَ وَنَرَابِطَ وَنَنْتَظِرَ ظَهْرَهُ، لَا أَنْ نَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ
بِمَا نَظَنَّهُ تَشْبِهاً بِالْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٤. أَنَّ فِي هَذِهِ الْأَلْفَاظِ فَتْحَ بَابِ التَّشْكِيكِ عِنْدَ النَّاسِ، لِأَنَّهَا مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ
الَّتِي قَدْ تَوَرَّثَ اللَّبْسَ وَالتَّغْرِيرَ، فَأَيُّ ثَمَرَةٍ فِي تَشْبِيهِهِ غَيْرَ الْمُعْصُومِ بِالْمُعْصُومِ إِلَّا
تَشْوِيشَ أَذْهَانِ عَامَةِ النَّاسِ حَوْلَ عَقِيدَةِ الْإِمَامَةِ وَعِظْمَةِ الْإِمَامِ؟!

(١) الكافي ج ٨ ص ٢٦٤.

(٢) الغيبة للنعمان ص ٢٠٠.

(٣) عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ ج ١ ص ٣١١.

ولو كان في كلِّ زمانٍ حسينٌ لذلك الزمن لتكثَّرَ الحسين وتعدَّد، ولأورث ذلك حيرةً عند ضعفاء الشيعة ولو بعد حين، كما ابتلينا بالمتصوفة والعرفاء، فإن تَسْرُبَ العقائد الفاسدة منهم إلينا لم يحصل بين ليلة وضحاها، وهكذا كلُّ فسادٍ في العقيدة يتأتى رويداً رويداً.

وهناك نماذج الانحراف عند هؤلاء العرفاء الشيعة ماثلة فيما قدّمنا، حيث صار العارف والولي عندهم كنفس أمير المؤمنين عليه السلام! معصوماً مُسَدِّداً عن الخطأ! بل صارت حقيقته هي نفس حقيقة الإمام! فمن يتحمّل وِزَرَ حصول انحرافٍ عَقْدِيٍّ يتطوّر يوماً بعد يوم؟! ومن يتحمل وِزَرَ بَثِّ ما يورث الحيرة عند ضعاف الشيعة!؟

وقد سعى الأئمة لإغلاق كل بابٍ يفتح حيرةً على ضعاف الشيعة، فهل نفتح أبواباً أغلقها أئمتنا!؟

لقد كتب الإمام الكاظم عليه السلام لعلي بن سويد: رَأَيْتُ أَنْ أُفَسِّرَ لَكَ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ مَخَافَةَ أَنْ يَدْخُلَ الْحَيْرَةُ عَلَى ضُعَفَاءِ شِيعَتِنَا مِنْ قِبَلِ جَهَالَتِهِمْ! ^(١).

أفندخل الشيعة بأيدينا في الحيرة والجهالة ونفتح عليهم أبواب التشكيك!؟

ثمّ على فرض عدم كون ما ذكرناه بيّناً تامّاً.. ألا يكفيننا حديث النبي صلى الله عليه وآله

أن الأمور:

١. حَلَالٌ بَيْنٌ.

٢. وَحَرَامٌ بَيْنٌ.

٣. وَشُبُهَاتٌ بَيْنَ ذَلِكَ، فَمَنْ تَرَكَ الشُّبُهَاتِ نَجَا مِنَ الْمَحْرَمَاتِ^(١).

فما بالناس صرنا نتمسك بكل شبهة؟! أنحب أن نرتطم بالمحرمات من حيث
نشعر أو لا نشعر؟!!

حاشا للشيعي المؤمن ذلك.

جمع الله كلمتنا على الحق خلف إمامنا المنتظر عليه السلام، الآخذ بثأر الحسين
عليه السلام، وألف بين قلوبنا إنه مجيب الدعاء. والحمد لله رب العالمين^(٢).

(١) الكافي ج ١ ص ٦٨.

(٢) رابع أيام العزاء.. ١٤٤٢ للهجرة.

٣٩. (بَصَائِرُ) الشُّهَدَاءِ.. فِي يَوْمِ عَاشُورَاءِ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ مَعِيَ لَبَصِيرَتِي..

هذه كلمة خالدةٌ لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في نهجه الشريف، كَثُرَ التَّدَاوُلُ بها في سِنِينَا الْأَخِيرَةِ، لَكِنَّ مَفْهُومَهَا مُحْمَلٌ مَا لَا يَحْتَمِلُ، وَاسْتُثْمِرَ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ، حَتَّى صَارَتْ عِلَامَةً تَفْرِقُهُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ بَدَلًا مِنْ أَنْ تَجْمَعَ الشَّيْعَةَ وَتُوَحِّدَهُمْ كَمَا هُوَ حَقُّهَا أَنْ تَكُونَ.

فَصِرَتْ تَرَى مِنَ الشَّيْعَةِ مَنْ يَزْعَمُ أَنَّ (البصيرة) حَكْرٌ عَلَيْهِ! أَوْ عَلَى مَنْ يُمَثِّلُ!

وَأَنَّ غَيْرَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسُوا مِنْ أَصْحَابِ الْبَصَائِرِ مَا لَمْ يَتَلَوَّنُوا بِلَوْنِهِ! وَيَنْتَمُوا إِلَى فِتْنَتِهِ أَوْ جِهَتِهِ!

حَتَّى غَدَا لَفْظَ (البصيرة) مَدْعَاةً (لِلْفَخْرِ) وَ(الِافْتِخَارِ) تَارَةً، وَ(لِلتَّكَبُّرِ) أُخْرَى! وَسَبَبًا لِحَسَاسِيَّةٍ لَيْسَ لَهَا مِنْ مُبَرَّرٍ، أَوْ فِتْنَةٍ وَقَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ شَرَّهَا. فَمَا قِصَّةُ هَذِهِ الْعِبَارَةِ؟ وَمَا أَصْلُهَا؟ وَمَا رَبَطُهَا بِشُهَدَاءِ الطِّفْلِ؟! وَمَا صَلَّتْهَا بِأَيَامِنَا الْمَعَاصِرَةَ؟

أَوَّلًا: الْبَصِيرَةُ.. مَعَ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ!

إِنَّ لِلْبَصِيرَةِ أَصْلًا قُرْآنِيًّا، حِينَ خَاطَبَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ

وما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾.

إِنَّ البَصِيرَةَ فِي اللِّغَةِ تَنْصَبُ عَلَى الإِعْتِقَادِ وَالدِّينِ أَوْلَى.

يقول الخليل بن أحمد: وَالبَصِيرَةُ اسْمٌ لِمَا عِتْقَدَ فِي القَلْبِ مِنَ الدِّينِ وَحَقِيقِ الأَمْرِ (٢)، وَفِي لِسَانِ العَرَبِ: البَصِيرَةُ: الثَّبَاتُ فِي الدِّينِ (٣).

وَقَدْ يُقْصَدُ بِالبَصِيرَةِ العِلْمُ وَالوُضُوحُ وَالبَرهَانُ وَالتَّفَقُّهُ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ. البَصِيرَةُ إِذَا مَقْرُونَةٌ بِالتَّمَسُّكِ بِالسَّبِيلِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِالتَّمَسُّكِ بِهِ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾. وَليس إِلا وَلايَةَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَعَنِ الصَّادِقِ ﷺ فِي هَذِهِ الآيَةِ: هِيَ وَاللهُ وَلايَتُنَا أَهْلَ البَيْتِ (٤).

وَعَنِ البَاقِرِ ﷺ: عَلِيٌّ هُوَ السَّبِيلُ (٥).

وَعَنهُ ﷺ: ذَاكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمِيرُ المُؤْمِنِينَ ﷺ وَالأَوْصِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِمْ (٦).

مِنْ ثَمَّ وَرَدَ فِي زِيَارَةِ يَوْمِ الغَدِيرِ فِي عَلِيٍّ ﷺ:

رَبَّنَا.. اتَّبَعْنَا مَوْلَانَا.. الدَّاعِيَ اليكَ عَلَى بَصِيرَةٍ هُوَ وَمَنْ اتَّبَعَهُ (٧).

(١) يوسف ١٠٨.

(٢) العين ج ٧ ص ١١٧.

(٣) لسان العرب ج ٤ ص ٦٥.

(٤) تفسير فرات ص ٢٠١.

(٥) تفسير فرات ص ٢٩١.

(٦) الكافي ج ١ ص ٤٢٥.

(٧) المزار للمفيد ص ٩١.

فَقَرَنْتَ الزِّيَارَةَ كَمَا الْآيَةَ بَيْنَ اتِّبَاعِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَيْنَ الْبَصِيرَةِ، فَمَنْ كَانَ لَهُ مُتَّبِعًا كَانَ مِنْ أَهْلِهَا، فَهُوَ إِمَامُ الدِّينِ وَبَابُهُ وَطَرِيقُهُ.

لِذَا أَشَارَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَنَّ مَعْرِفَةَ دِينِ اللَّهِ مَوْقُوفَةٌ عَلَى مَعْرِفَةِ الْأُئِمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهِيَ: مَعْرِفَةٌ ثَابِتَةٌ عَلَى بَصِيرَةٍ، يُعْرَفُ بِهَا دِينُ اللَّهِ، وَيُوصَلُ بِهَا إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ^(١).

ثانياً: البصيرة.. وسيد الشهداء

إِنَّ الْمُعْصومِينَ هُمُ أَصْحَابُ الْبَصِيرَةِ الْمَطْلُوقَةِ، هُمُ الَّذِينَ إِذَا كُشِفَ لَهُمُ الْغَطَاءُ مَا أَزْدَادُوا يَقِينًا.

فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَهَمْنَا لِمَاذَا يَخَاطِبُ الصَّادِقُ جَدَّهُ سَيِّدَ الشَّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ.. مَضَيْتَ عَلَى بَصِيرَةٍ لِلَّذِي كُنْتَ عَلَيْهِ^(٢).

فَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَائِرِ الْأُئِمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كَوْنِهِ مُصَدِّقَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، ثُمَّ يَلِيهِمُ الْمُؤْمِنُونَ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ مَعْرِفَةٍ وَعَقِيدَةٍ رَاسِخَةٍ، وَيَقِينٍ وَبِرْهَانٍ، يُصَدِّقُهَا الْعَمَلُ الصَّالِحُ.

فَعَنَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ لَمْ يَعْقِلْ عَنِ اللَّهِ لَمْ يَعْقِدْ قَلْبَهُ عَلَى مَعْرِفَةٍ ثَابِتَةٍ يُبْصِرُهَا، وَيَجِدُ حَقِيقَتَهَا فِي قَلْبِهِ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ كَذَلِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ قَوْلُهُ لِفِعْلِهِ مُصَدِّقًا، وَسِرُّهُ لِعَلَانِيَتِهِ مُوَافِقًا^(٣).

(١) بصائر الدرجات ج ١ ص ٥٢٦.

(٢) كامل الزيارات ص ١٩٩.

(٣) الكافي ج ١ ص ١٨.

حينها أيضاً نفهم كيف يكون العباس عليه السلام من أهل البصيرة كما في زيارته:
أَشْهَدُ أَنَّكَ.. مَضَيْتَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِكَ^(١).

بل أن يكون نافذ البصيرة كما عن الصادق عليه السلام: كان عمنا العباس بن علي عليه السلام نافذ البصيرة، صلب الايمان^(٢).

ولقد أدرك أعداء الحسين عليه السلام بعض هذه المعاني، فوصفوا أصحاب الحسين بأنهم: أهل البصائر^(٣).

لقد كان أصحابه عليه السلام من أهل الولاية لآل محمد عليه السلام، وأهل طاعتهم، فصاروا بذلك من أهل البصيرة.

ولقد تسامى هؤلاء بقدر معرفتهم واعتقادهم ويقينهم بإمامهم، فليست البصيرة شيئاً آخر سوى قوّة الاعتقاد واليقين والثبات على ولاية الأئمة عليهم السلام.

لقد دعّتهم معرفتهم بالإمام للدّبّ عنه حين قالوا: لَا نَخْتَارُ الْعَيْشَ بَعْدَكَ؟!^(٤)، فأحبّوا القتل معه مراراً وتكراراً على الحياة دونه، بل بلغ حال بعضهم أنّه كان يترقّب تلك الساعة وينتظرها!

فهذا رجلٌ أسديٌّ لازمٌ كربلاء قبل وصول الإمام الحسين عليه السلام إليها! ولما سئل عن ذلك قال: بلغني أنّ حسيناً يُقتل هاهنا. فأنا أخرج لعمري أصادفه فأقتل معه!

(١) كامل الزيارات ص ٢٥٧.

(٢) عمدة الطالب ص ٣٥٦.

(٣) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٩.

(٤) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٢٥٤.

وكان له ما أراد.. فلقد وجدوه بين القتل بعد واقعة الطف! (١).

هي بصائر قوم كُشِفَ لهم الغطاء: حَتَّى رَأَوْا مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ (٢).
فقلنا لهم: أَشْهَدُ لَقَدْ كُشِفَ لَكُمْ الْغِطَاءُ (٣).

هنيئاً لهم، ما أعظم منزلتهم، وأرفع مكانتهم، لقد صاروا أوفى أصحاب،
فلا يُقَرَّنُ بهم سواهم، ولا يُشَابَهُهم مَنْ عداهم.

ثالثاً: البصيرة.. في أيامنا

إذا كان معيارُ تحققِ البصيرةِ وعدمه هو الانتماءُ لعليٍّ عليه السلام، وتصديقُ ذلك
بالفعال، كان لزاماً علينا أن نُعاملَ كلَّ مؤمنٍ موالٍ له عليه السلام على أنه من أهل
البصيرة، وليس لنا أن نُصَيِّقَ الدائرة، ونحصُرَها بفتنةٍ من الشيعة، بغير وجهِ حق،
كما يجري في أيامنا.

لقد صرّت ترى اليوم مَنْ يزعم أن الله اختصّه بالبصيرة، وحرّمَ منها سائر
الشيعة!

وكانَّ الآية نزلت فيه وفي مَنْ تلوَّنَ بلونه! لا في آل محمدٍ عليهم السلام ومن اتَّبَعَهُمْ!
لم يُعد القارئ الكريم يفاجأ بمثل هذه الكلمات، فهي لم تُعد رهينة جلساتٍ
خاصّةٍ صبيّقة!

(١) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٣٥.

(٢) علل الشرائع ج ١ ص ٢٢٩.

(٣) المزار الكبير ص ٤٩٥.

بل صارت تُحكى على المنابر! وفي الندوات والجلسات العامة، ويسمعاها المؤمنون مراراً، وصارت تُنشر في كتبٍ ومؤلفات يُروَّج لها بين المؤمنين!
يُذكرُ في بعضها مسائل لم يتفق عليها الشيعة، على أنَّها من مبادئ كسب البصيرة! وتشخيص الحق والباطل، سوى القرآن والنبىِّ والعترة!
وكأنَّ الاختلافَ بين الشيعة في مسائلهم الفقهية، أو في رجوعهم لعالمٍ دونَ آخر، علامةٌ فارقةٌ على إخراج كثيرٍ منهم من دائرة البصيرة!
وهذا أمرٌ غريبٌ على بيئتنا الشيعية، قد يفتح باب الفتنة بين المؤمنين، ما يوجب تداركه قبل فوات الأوان.

فليس من الصحيح أن يُروَّج لجهاتٍ مُحدَّدةٍ على أنَّها تمثل الإمامة! أو على أنَّها طريقٌ حصريٌّ لمعرفة الإمام! ويتمُّ إقصاءُ من عداها من المؤمنين الموالين عن دائرة الولاية!

فإذا كان سبيلُ الله هو طريقُ محمدٍ وعليٍّ والأئمة المعصومين عليهم السلام، كيف يسوغ لنا أن نُضيقَ هذه الطريق ونقصرها على أنفسنا ونُخرج منها فئاماً من المؤمنين الموالين العارفين بإمامهم؟!

ثمَّ كيف لنا أن نُعاملَ غيرَ الإمام معاملةَ الإمام وننزله محلَّه وقد نُهينا عن ذلك على لسان الصادق عليه السلام: **إِيَّاكَ أَنْ تَنْصِبَ رَجُلًا دُونَ الْحُجَّةِ فَتُصَدِّقَهُ فِي كُلِّ مَا قَالُ** ^(١).

وكيف يسوغ لنا في أيام سيِّد الشهداء أن ننسبَ العصمة لغير الأئمة الإثني

عشر عليه السلام؟! أو نُنزَل سواهم منزلتهم في لزوم الطاعة المطلقة مع عدم عصمته؟! فننقض بأيدينا أهم دليل من أدلة الإمامة! وهو لزوم كون الإمام معصوماً! ونساوي الإمام بغيره!

أليس في هذا بخس لحقهم عليه السلام؟! وخط من شأنهم وقدرهم؟! مع أن إمامتهم أجل قدراً من أن يناها الناس بأرائهم. وفوق هذا..

كيف ندعى لتعطيل العقول بحجة البصيرة؟! وإيكال التفكير إلى غيرنا؟! وقد ورد عنهم عليه السلام: مَا يُعْبَأُ مِنْ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ^(١). أليس العقل أغنى الغنى؟! فهل ساغ لنا أن نُخرجه عن حدّه وهو حجة الله الباطنة على العباد؟!!

ثم كيف يتناول بعضنا على بعض، ويتجاوز بعضنا على بعض، ويُحقر بعضنا بعضاً لو كُنّا من أهل البصائر المؤمنين! والله يصف المؤمنين بأنهم ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٢).

فمن أراد أن يكون من أهل البصيرة عليه أن يكون رحيماً بإخوانه، فإن المؤمن أخو المؤمن، خُلِقَا من طينة واحدة، وعلى المؤمن أن يكون براً ووصولاً بأخيه، عطوفاً عليه.

كم يعجب المؤمن حين يرى أخاً له في ولاية آل محمد شديداً عليه! رحيماً

(١) المحاسن ج ١ ص ١٩٤.

(٢) الفتح ٢٩.

بأتباع السَّقيفة!

هكذا تصيرُ البصيرةُ في أيامنا مادةً للسَّجالِ والنفرة، بدلاً من أن تكون باباً للعودِ الى المعصومين، والتعرُّفِ عليهم حقَّ معرفتهم، لتسمو بذلك نفوسنا، وتتنوَّرَ قلوبنا، فنكون على بصيرةٍ من ديننا.

البصيرةُ تدعونا إلى أن نتورَّعَ عن اتهام أخوةٍ لنا في الدين، ونكفَّ عن أذاهم، علَّ نظرات الإمام الحجة تعمرونا بالتوفيق.

لقد ورد في زيارة يوم الغدير بعد التوجه لله تعالى:

رَبَّنَا.. أَسْأَلُكَ.. أَنْ تُتِمَّ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ.. وَارْزُقْنَا مُرَافَقَةَ وَلِيِّكَ الْهَادِي الْمُهْدِيِّ
إِلَى الْهُدَى، وَتَحْتَ لَوَائِهِ، وَفِي زُمْرَتِهِ، شُهَدَاءَ صَادِقِينَ، عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ دِينِكَ، إِنَّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(١).

اللهم اجعلنا من أهل هذا الدعاء، واختم لنا بحسن العاقبة. والحمد لله رب العالمين^(٢).

(١) المزار للمفيد ص ٩٥.

(٢) الإثنين ١٢ محرم ١٤٤٥ للهجرة الموافق ٣١-٧-٢٠٢٣ م.

٤٠. حَذَارُ حَذَارٍ.. يَا قِرَاءَ الْعِزَاءِ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَهَلَّ الْهَلَالُ الْحَزِينُ..

هَلَالٌ مَحْرَمٌ هَذَا الْعَامَ عَلَى غَيْرِ مَا عَهَدْنَا فِي سَالِفِ الْأَيَّامِ!^(١)

عَاشُورَاءُ لَيْسَتْ كَمَا كَانَتْ، وَإِنْ لَفَّ السَّوَادُ الْقُرَى وَالْبُلْدَاتِ!

إِحْيَاءٌ مُتَوَاضِعٌ فِي بَعْضِ الْقُرَى، وَإِلْغَاءٌ لِلْمَجَالِسِ وَالْمَأْتَمِ وَالْمَرَامِسِ الْعَامَةِ فِي قَرْيٍ أُخْرَى! هَذَا حَالُ الشَّيْعَةِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ لَا فِي بِلَادِنَا فَحَسَبِ، وَالسَّبَبُ مَعْرُوفٌ: تَوَقُّيًّا مِنَ الْوَبَاءِ الْمُنْتَشِرِ..

وَكَمَا أَنَّ الْحَذَرَ لَا زَمَّ حَفْظًا لِلنَّفْسِ الْمُحْتَرَمَةِ، فَإِنَّ الْإِحْيَاءَ لَا زَمَّ لِمَنْعِ تَعْطِيلِ

شَعَائِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَلِئِنْ كَانَ مِنَ الْمَفْهُومِ أَنْ يُحْجَمَ عَنِ الْمَشَارَكَةِ فِي مَرَامِسِ الْعِزَاءِ مِنْ خَافٍ عَلَى نَفْسِهِ الضَّررَ وَتَعَدَّرَتْ عَلَيْهِ الْوَقَايَةُ، وَأَنْ تُلْغَى بَعْضُ الْمَرَامِسِ الَّتِي تَصْعَبُ الْوَقَايَةُ فِيهَا، وَأَنْ تُلْغَى بَعْضُ الْجَمْعِيَّاتِ وَالْمَهْيِئَاتِ وَالْأَحْزَابِ مَأْتَمَهَا، فَإِنَّ الْعِزَاءَ لَيْسَ مَوْقُوفًا عَلَى أَحَدٍ كِي يُعْطَلَ بِتَعْطِيلِهِ، وَكُلُّ مَعْدُورٍ فِيهَا يَفْعَلُ، وَمُثَابٌّ بِإِذْنِ اللَّهِ عَلَى طَرَقِهِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي الْإِحْيَاءِ وَلَوْ فِي الْبُيُوتِ.

فَإِنَّ مِنْ غَيْرِ الْمَفْهُومِ أَوْ الْمَقْبُولِ أَنْ تَقَعَ أُمُورٌ مِنْهَا:

- أَنْ يَبَادِرَ مِنَ الْغَى مَأْتَمًا إِلَى الْعَمَلِ الْحَثِيثِ عَلَى إِغْيَاءِ كُلِّ الْمَأْتَمِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ

(١) يعرضُ هذا المقال لبعض ملاحظات إحياء العزاء في أيام الوباء (فيروس كورونا).

فيها أدنى خطر!

- وأن يسعى من عطّل مجلساً ولو معذوراً إلى تعطيل كلّ المجالس دون
عُذر!

- وأن تُوجّه الدعوات إلى كل المؤمنين بالامتناع عن حضور المآتم بحجة
(الالتزام بقرار القيادات الشيعية الحكيمة)!

- وأن يُطلب من خطباء المنبر عدم تلبية أية دعوة لمجلسٍ عام!

- ثم تصل الأمور ببعضهم لتوسّل التهديد والوعيد لبعض أصحاب
المآتم، وخطباء المنبر! تهديداً مباشراً أو عبر القوى المخوّلة حفظ النّظم العام!
كلّ هذا يدعو إلى التّوقُّفِ مليّاً!

فهل صرتم يا شيعة الحسين عليه السلام، ويا خطباء المنبر وقراء العزاء على سيّد
الشهداء، هل صرتم مُتّهَمين بإثارة الفتنة؟! ومخالفة شرع الله والتفريط بأرواح
المؤمنين؟! وأنتم أكثر الناس حرصاً على امتداد الأوطان..

هل أنّ مشاركتكم وتلييتكم لإقامة المآتم التي يحبّها الله ورسوله صارت
سبباً للتخاصم فينبغي علينا أن نلغيها؟!

تعالوا أيها الأحبة لنرى إلى أين يمكن أن يوصلنا (الخوف الموهوم)
والمصطنع من الفتنة وإثارة الشقاق والتفرقة وشقّ العصا.

تمرّ القرون بعد القرون، ويستغلّ فيها المخالفون عنوان (شقّ عصا
المؤمنين) للدّعوة إلى الكفّ عن تناول الصحابة أبداً! بحجّة أنهم أعلام الدين!
فيكون الطعنُ فيهم طعنًا في الدين بزعمهم!

أودى بهم ذلك إلى المنع عن أهمّ مفردة من مفردات الشعائر الحسينية، وهي ذكر مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، والبكاء والتفجّع على مقتله، فَحَرَّمُوهُ وَمَنَعُوهُ! ينقل ابن حجر (في القرن العاشر) في صواعقه عن الغزالي (في القرن الخامس) وغيره قولهم:

(يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكاياته! وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم! فإنه يُهَيِّجُ على بغض الصحابة والظعن فيهم! وهم أعلام الدين!)^(١).

لقد صارت رواية مقتل الحسين عليه السلام في بطون الكتب وعلى المنابر وفي الجلسات، ونقل (حكاياته) أمراً محرّماً! يرى هؤلاء أن للحسين عليه السلام (حكايات) يجب أن تُطَمَسَ لئلا تُهَيِّجَ على (بُغْضِ الصَّحَابَةِ وَالظُّعْنِ فِيهِمْ)!

لماذا يا ابن حجر؟

لأن هذا يخالف الاعتقاد في جلاله الصحابة وبراءتهم من كلّ نقص! يقول: (بخلاف ما يفعله الوعاظ الجَهْلَةُ، فإنهم يأتون بالأخبار الكاذبة الموضوعة ونحوها، ولا يُبَيِّنُونَ المحامل والحقّ الذي يجب اعتقاده، فيوقعون العامة في بغض الصحابة وتنقيصهم!)^(٢).

فحذار حذار يا خطباء المنبر.. وقرّاء العزاء على سيّد الشهداء!

(١) الصواعق المحرقة ص ٢٢٣.

(٢) الصواعق المحرقة ص ٢٢٤.

حذار من أن تكونوا من الوعّاظ الجهلة! الذين لا يبيّنون المحامل الحسنة
ليزيد بن معاوية وقتل سيّد الشهداء!

هكذا تصير النتيجة وفق كلام علماء السوء!

يقولون:

إن أردتم ذكر مقتل الإمام الحسين عليه السلام فلا يجوز لكم ذلك إلا في مقام
الدفاع عن الصحابة وتبرئتهم من كلّ نقص!

ماذا حلّ بمن بكته السماء والأرض؟ والإنس والجن؟! وما يرى وما لا
يرى من خلق ربنا؟! ماذا جرى على من بكاه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله والعترة
الطاهرة والأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون عليهم السلام؟!!

يقولون:

ليس علينا أن نغوص فيه ونتعمّق إلا لتبرئة الصحابة! حفظاً للدين! ومنعاً
لشق عصا المسلمين!

تبدأ (الحكايات) من ههنا..

حينما نصب المخالف لنا إماماً لم (ينصبه الله تعالى) وأتبعه اتباعاً أعمى زاده
الله مرضاً وأعمى قلبه عن الهداية، فأل به الأمر إلى منع ذكر مقتل الحسين عليه السلام!
لكنّ الشيعيّ مُنزّه عن أن يتخذ إماماً دون المعصوم فيطيعه في كلّ ما قال،
ولو خالف أمر الله، والشيعي مبرّأ عن أن يتكلّف لغير المعصوم ما يجعله به في
منزلة المعصوم.

ولا يخاف الشيعي من التهويل، فإنه يعلم أن خطاب التحذير من الفتنة

وشقَّ العصا لا يوجَّه لمن يقيم المآتم، بل يوجَّه لقلَّةٍ مشتبهةٍ تسعى لإلغاء كلِّ مآتم..

يُوجَّهُ هذا الخطاب لمن يحاول أن يفرض رأيه على أخوته المؤمنين انتصاراً أعمى لمن يجبَّ.

المؤمن لا يُلزمُ أحداً بالحضور في المآتم.. لكنه يعلم أن البشرية كلها أعجز من أن تمنعه من إقامة مآتمٍ أو حضوره!

مآتم الحسين أيها الأحبة أكبر من المؤمنين جميعاً، ومن ترونيهم (كباراً وقيادات شيعية) يرون أنفسهم صغاراً أمام ذكرى الحسين عليه السلام، وهو الحق الذي لا ريب فيه!

لا تستفزكم العصبية والحمية، فيعز عليكم أن لا تطاعوا في رأيكم.
لقد عَصِيَ اللهُ تعالى فما ثارت ثائرة بعضكم كما هو الحال لما عَصِيَ قولكم!
أفأنتم أعزُّ من الله تعالى وأمنع وأقدر؟!
إن الله تعالى (لم يُعصَ مغلوباً)، فهل أمركم أن تنتصروا له بمحاولة منع مجالس حبيبه الحسين عليه السلام؟!!

لا تُسَخِّطُوا الحسين بالحماقات أيها الأحبة!

فتستجلبوا العداوة في المناسبة التي ستجمع الشيعة بعد الشتات!
إن ذكرى الحسين عليه السلام هي التي يجمع الله تعالى عليها الشيعة للانتقام من بني أمية، فهل عندنا ثأرٌ من بني أمية أعظم من قتل الحسين عليه السلام؟!
يقول أمير المؤمنين عليه السلام: سَيَجْمَعُ هَؤُلَاءِ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمِيَّةٍ كَمَا يَجْمَعُ قَزَعٌ

الْخَرِيفِ، يُؤَلَّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ.. وَلَعَلَّ اللهُ يَجْمَعُ شِيعَتِي بَعْدَ التَّشْتِ لِشَرِّ يَوْمٍ هُوَ لَاءٍ^(١).
 فلنحافظ على القلوب المؤتلفة في ذكرى عاشوراء، وليكفَّ كلُّ منا لسانه
 عن أخوته الموالين، وليعذر كلُّ منا الآخر في فعله، وكلُّ يحيي ذكرى الحسين عليه السلام
 كما يراه الأصوبَ في كل عام.

وحذارٍ حذارٍ من إثارة الشقاق بالسعي لمنع المجالس بالقوَّة مهما كانت
 التبريرات، حيث يستوي المانع المحبِّ مع المبغض إن كان المنع بالغلبة.. مع أنهما
 معاً عاجزان عن ذلك المنع.

سيدي يا صاحب العصر والزمان، أنت المعزى، عظم الله لك الأجر في
 جدِّك الحسين عليه السلام، وجعلنا الله ممن يسير في ركبك للثأر من قاتليه، وجمع الله
 كلمة الشيعة تحت رايتك، وعَجَّلْ لنا في ظهورك. وأنا لله وإنا إليه راجعون^(٢).

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٤-٦٦.

(٢) ثاني أيام المحرم ١٤٤٢ للهجرة.

٤١. كُلُّ الْبَرَكَتِ.. فِي عِزَاءِ الْحُسَيْنِ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعتادُ المؤمنون على بَدَلِ الطَّعَامِ فِي عِزَاءِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَلَى تَنَاوُلِ الطَّعَامِ الْمَبْذُولِ، رَجَاءَ نَزُولِ الْبَرَكَةِ بِسَبَبِهِ، حَيْثُ بُدِّلَ حُبًّا بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِي مَجَالِسِهِ وَأَيَّامِهِ.

بَلْ إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الشِّفَاءَ فِيهِ، فَهُوَ مَحَلُّ نَزُولِ الْبَرَكَاتِ وَالرَّحْمَاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَمَنْ شَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَتَعَجَّبْ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ عَدَّ ذَلِكَ مِنْ بَرَكَاتِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمِنْ كِرَامَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

إِنَّ الْبَرَكَةَ تَارَةً يُرَادُ مِنْهَا الزِّيَادَةُ وَالنَّمَاءُ فِي الشَّيْءِ، وَتَارَةً تُثَبِّتُ الشَّيْءَ وَاسْتِدَامَتَهُ، أَمَّا التَّبَرُّكُ فَيَكُونُ بِمَعْنَى طَلْبِ الْبَرَكَةِ وَالْيُمْنِ وَالنَّفْعِ وَالزِّيَادَةِ.

لَكِنَّ بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ ظَنُّوا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي التَّبَرُّكُ بِمَا يُبَدَّلُ فِي مَجَالِسِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَوَهَّمُوا أَنَّ هَذَا يَنَافِي مَا وَرَدَ فِي زِيَارَةِ عَاشُورَاءَ: (اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ تَبَرَّكَتُ بِهِ بَنُو أُمَّيَّةَ وَابْنُ آكَلَةِ الْأَكْبَادِ)^(١).

وَيَنَافِي مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنِ الْإِمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَمَنْ سَمَّى يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَوْمَ بَرَكَتٍ، وَادَّخَرَ فِيهِ لِنَزْلِهِ شَيْئًا، لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهَا ادَّخَرَ، وَحَشِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ يَزِيدٍ^(٢).

لَكِنَّ الْمَتَأَمِّلَ فِي تَرَاثِ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْعَارِفَ بِلَحْنِ قَوْلِهِمْ، يَعْلَمُ أَنَّ تَبَرُّكَ

(١) مصباح المتعجد ج ٢ ص ٧٧٥.

(٢) الأمايلي للصدوق ص ١٢٩.

المؤمنين بما يُبذل على سيّد الشهداء في محله تماماً.
 وأنّ تبرّكهم بالطعام المبذول على حبّ الحسين يُدخلُ الغيظ على أعداء آل
 محمد ﷺ، الذين جعلوا يوم عاشوراء يوم بركة!
 فكيف ذلك؟

لقد عدّ بنو أمية هذا اليوم يوم بركةٍ (لقتل سيد الشهداء فيه)! وجعلوه يوم
 عيد، ووضعوا الأحاديث المكذوبة في بيان فضله! والسبب في ذلك: الفرحُ بقتل
 سيد الشهداء! والشهامة بآل محمد ﷺ! فتبرّكوا فيه فرحاً!
 فيما عدّه المؤمنون يوم حزنٍ وألمٍ وتفجّعٍ وبكاء..
 ولما كان المقتول فيه هو أعظم خلق الله تعالى، ومحل البركات الإلهية، اعتقد
 المؤمنون بحلول البركة منه ﷺ إلى الأرض التي حلّ فيها، وانتقالها إلى زائريه،
 وحلوها في كلّ ما يبذل لأجله وعلى اسمه وفي سبيل إحياء أمره.
 والطعام مصداقٌ من مصاديق ما تناله البركة عندما يُبذل في محبة سيّد
 الشهداء ﷺ.

ففي الحديث القدسيّ عن الله تعالى:

وَمَا مِنْ عَبْدٍ أَنْفَقَ مِنْ مَالِهِ فِي مَحَبَّةِ ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّهِ طَعَاماً وَغَيْرِ ذَلِكَ دِرْهَمًا أَوْ
 دِينَارًا، إِلَّا وَبَارَكْتُ لَهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا الدَّرْهَمَ سَبْعِينَ! وَكَانَ مُعَافَاً فِي الْجَنَّةِ، وَغَفَرْتُ
 لَهُ ذُنُوبَهُ^(١).

هو نصٌّ صريحٌ من الله تعالى، في إسباغ البركة على من بذل المال وأطعم

(١) مجمع البحرين ج ٣ ص ٤٠٦.

الطعام في محبة الحسين عليه السلام.

يشارك معهم في ذلك كلُّ من أحيا أمر الحسين عليه السلام.

لقد صار ما ينسب للحسين عليه السلام مباركاً، كما صار البيتُ مباركاً في كتاب الله، وكما ذكر الله في القرآن أرضاً مباركةً، وشجرةً وليلةً مباركةً، وهكذا. هي بركةٌ بكلِّ معانيها:

فالباذلُ يزيدُه الله من عطائه عندما يبذل على محبة سيد الشهداء عليه السلام.

والآكل يبارك الله له في ما طعم.

فإذا كان الله تعالى قد جعل البركة في الطعام البارد كما ورد عن الأطهار.

وجعلها في أول الطعام وآخره إذا غُسِّلت اليد قبله وبعده.

وجعل البركة في الطعام عند تناوله مع نداوة اليد دون مسحها، وعند

الأكل من أطراف الطعام لا من وسطه.

وإذا كان الله تعالى قد جعل البركة في بيت من يطعم الطعام.

فلا عَجَبَ أن يجعل الله أعظم البركة في الطعام الذي يُبذل في محبة الحسين

عليه السلام، ولن تجد من المؤمنين من يطلب البركة واليمن والنفع بطعامٍ كما يطلبه من طعامٍ بذل على محبة الحسين عليه السلام.

إنَّ الحسين كالنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُبارك الله له في كلِّ ما يضع يده عليه، أو يُنسب

إليه!

ففي الحديث القدسيُّ أنَّ الله تعالى أخبر نبيَّه موسى عن خاتم الأنبياء محمدٍ

ﷺ وأنه: يُبَارِكُ لَهُ فِيهَا وَضَعَ يَدُهُ عَلَيْهِ! وَيُبَارِكُ عَلَيْهِ! (١).

فما كان النبي ﷺ يضع يده على شيء إلا حلت فيه البركة، طعاماً كان أو شرباً أو غير ذلك، وكانت البركة تحل في كل شيء بحسبه.

والحسين من النبي ﷺ.. وحاله كحاله.

فقد بوركت الأرض التي حل فيها بدنه الطاهر، كما دلّت عليه الأحاديث الشريفة المتكثرة، ففي الحديث الشريف عن الباقر عليه السلام:

خَلَقَ اللَّهُ أَرْضَ كَرْبَلَاءَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ أَرْضَ الْكَعْبَةِ بِأَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ فَامًا، وَقَدَّسَهَا وَبَارَكَ عَلَيْهَا، فَمَا زَالَتْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ الْخَلْقَ مُقَدَّسَةً مُبَارَكَةً، لَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَجْعَلَهَا اللَّهُ أَفْضَلَ أَرْضٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَفْضَلَ مَنْزِلٍ وَمَسْكَنٍ يُسْكِنُ اللَّهُ فِيهِ أَوْلِيَاءَهُ فِي الْجَنَّةِ (٢).

وعن الإمام السجاد عليه السلام:

اتَّخَذَ اللَّهُ أَرْضَ كَرْبَلَاءَ حَرَمًا أَمْنًا مُبَارَكًا.. وَأَمَّا لِتَزْهَرُ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ كَمَا يَزْهَرُ الْكَوْكَبُ الدَّرِّيُّ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ، يَغْشَى نُورُهَا نُورَ أَبْصَارِ أَهْلِ الْجَنَّةِ جَمِيعًا وَهِيَ تُنَادِي: أَنَا أَرْضُ اللَّهِ الْمُقَدَّسَةُ، وَالطَّيْنَةُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي تَضَمَّنَتْ سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ وَشَبَابَ أَهْلِ الْجَنَّةِ (٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

(١) الكافي ج ٨ ص ٤٣.

(٢) الأصول الستة عشر ص ١٤١.

(٣) الأصول الستة عشر ص ١٤١.

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَضَّلَ الْأَرْضِينَ وَالْمِيَاهَ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ .. وَإِنَّ أَرْضَ
كَرْبَلَاءَ وَمَاءَ الْفُرَاتِ أَوْلُ أَرْضٍ وَأَوْلُ مَاءٍ قَدَّسَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَبَارَكَ اللَّهُ
عَلَيْهِمَا!

فَقَالَ لَهَا: تَكَلِّمِي بِمَا فَضَّلَكَ اللَّهُ تَعَالَى..

قَالَتْ: أَنَا أَرْضُ اللَّهِ الْمُقَدَّسَةِ الْمُبَارَكَةِ، الشِّفَاءُ فِي تُرْبَتِي وَمَائِي وَلَا فَخْرَ..
فَأَكْرَمَهَا وَزَادَ فِي تَوَاضُعِهَا [وَزَادَهَا لِتَوَاضُعِهَا] وَشَكَرَهَا اللَّهُ بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ
وَأَصْحَابِهِ^(١).

هكذا يتبين أن أرض كربلاء أرض مباركة، فلم يمنع قتل سيد الشهداء
عليها من حلول البركة فيها، بل كانت طينتها مباركة مقدسة مفضلة على سائر
البقاع، ثم عمّت البركة إلى من جاءها من زوار الحسين عليه

فإن الملائكة الذين بالحائر يخاطبون الملائكة الحفظة، ويحدثونهم عن الزوار،
ويقولون لهم: بَشِّرُوهُمْ بِدُعَائِكُمْ.. بَارِكُوا عَلَيْهِمْ وَادْعُوا لَهُمْ عَنَّا^(٢).
فتحل البركة على زوار الحسين عليه، كما حلت على بقعته.

لكن الأعجب من هذا هو قول النبي ﷺ قبل شهادة الحسين عليه:
أَخْبَرَنِي جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ أَنَّ وَلَدِي هَذَا مَقْتُولٌ مَحْدُولٌ، اللَّهُمَّ فَبَارِكْ لَهُ فِي قَتْلِهِ! ..
اللَّهُمَّ وَلَا تَبَارِكْ فِي قَاتِلِهِ وَخَازِلِهِ^(٣).

(١) كامل الزيارات ص ٢٧١.

(٢) كامل الزيارات ص ٨٧.

(٣) اللهوف ص ١٨.

أَيُّ مَعْنَى عَجِيبٍ هَذَا؟!

لقد أرادوا قتل سيد الشهداء عليه السلام ليطفئوا نور الله، لكن الله تعالى بارك للحسين في قتله! فَعَوَّضَهُ مَا لَا قِيَمَةَ لَهُ!

كيف جعل الله تعالى البركة للحسين عليه السلام في قتله؟! وما حدودها؟! هذا ما قد لا نُحِيطُ بِهِ عِلْمًا.

لَكِنَّا نَعْرِفُ بَعْضَ مَا عَوَّضَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَدْ رَوَى: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَوَّضَ الْحُسَيْنَ عليه السلام مِنْ قَتْلِهِ بِأَرْبَعِ خِصَالٍ:

١. جَعَلَ الشِّفَاءَ فِي تُرْبَتِهِ.

٢. وَإِجَابَةَ الدُّعَاءِ تَحْتَ قُبَّتِهِ.

٣. وَالْأَثَمَةَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ.

٤. وَأَنَّ لَا يُعَدُّ أَيَّامَ زَائِرِيهِ مِنْ أَعْمَارِهِمْ^(١).

كُلُّ هَذِهِ الْبَرَكَةِ الْعَظِيمَةِ هِيَ جِزْءٌ مِمَّا أَدْرَكَهَا، وَبَرَكَةُ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ لَهَا نِهَآيَةٌ! فَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى أَحَدِ أَنْبِيَآئِهِ: إِذَا أُطِغْتُ رَضِيْتُ، وَإِذَا رَضِيْتُ بَارَكْتُ، وَلَيْسَ لِبَرَكَتِي نِهَآيَةٌ!^(٢)

فَلَا يَتَخَيَّلَنَّ مَوْءُنٌ أَنَّ لِبَرَكَةِ اللَّهِ نِهَآيَةَ، وَلَا يَتَخَيَّلَنَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يِبَارِكُ فِي شَيْءٍ كَمَا يِبَارِكُ فِي مَا يِبْذُلُ فِي مَحَبَّةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام.

فَهَلْ يَخْلُو مَجْلِسٌ وَمَأْتَمٌ عَلَى الْحُسَيْنِ مِنَ الْبَرَكَةِ؟! وَهَلْ يَجْعَلُ اللَّهُ الْبَرَكَةَ فِي

(١) عدة الداعي ص ٥٧.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٧٥.

بعض أصناف الطعام وآدابه ولا يجعلها في طعامٍ بُذِلَ على محبة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ واسمه؟!!

هكذا يعتقد المؤمنون..

لقد حَلَّت البركة في نفوسهم وأهاليهم وبلادهم وبيوتهم وطعامهم لما ذكروا اسم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحَلَّت في كلِّ ما بذل في سبيله.

وقفنا الله لإحياء أمره، والمشاركة في عزائه، ونيل البركة فيها، وحشرنا معه سلام الله عليه. والحمد لله رب العالمين^(١).

(١) الثلاثاء ٢٠ محرم ١٤٤٤ هـ الموافق ٨ - ٨ - ٢٠٢٣ م.

الفصل السابع: الحسين يوم القيامة

٤٢. الإمام الحسين.. وأيام الله!

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أرسل الله تعالى نبيّه موسى بالآيات هداية قومه، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾^(١).

وقد أمرَ كليمُ الله موسى عليه السلام بالتذكير بأَيَّامِ الله، كوسيلة تُعينُهُ على إخراج قومه من الظُّلُمَاتِ إلى النور.

لكن الآية الشريفة تفتح لنا أبواباً وأسئلة عدّة:

فما المراد من أيام الله؟! هل هي الأيام التي خلقها الله؟!

ليس الأمر كذلك أبداً، لأنَّ الله تعالى هو خالقُ كلِّ الأيام، ولا خالق لها

سواه، وليس المراد تذكير الناس بكلِّ الأيام ليؤمنوا!

بأيِّ أيامٍ إذاً يُذَكِّرُهُمُ نبيُّ الله موسى عليه السلام؟ ولماذا تُنسب تلك الأيام لله؟

وما صلّتنا نحن بذلك؟ وما صلةُ الإمام الحسين عليه السلام بهذه الأيام؟!

١. ما هي أيامُ الله؟!

لقد ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله عندما قرئت عنده هذه الآية، أنّه

(١) إبراهيم ٥.

قال: أَيَّامُ اللَّهِ نِعْمَاؤُهُ.. وَقَدْ أَوْحَى إِلَيَّ رَبِّي (جَلَّ جَلَالُهُ) أَنْ أذْكُرْكُمْ بِالنِّعْمَةِ (١).

وعن الصادق عليه السلام: ﴿وَذَكَّرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ قال: بآلائه، يعني نِعْمَهُ (٢).

فصارت أيام الله نِعْمَهُ، وصار النبي محمد ﷺ مأموراً كموسى عليه السلام، وكسائر الأنبياء، أن يُذَكِّرُوا الناسَ بِنِعْمِ اللَّهِ تعالى، فمن أقرَّ بها، ورأى عَظَمَتَهَا، بدءاً من نعمة الخلق والإيجاد، مروراً بنعمة الحياة وحُسن الصورة والتركيب، وَهَبَةِ العقل والفكر، وتهيئة سُبُل الهداية، وتسخير السماوات والأرض وما بينهما.. إلى غيرها من النعم التي لا تُعدُّ ولا تحصى.

من أقرَّ بذلك وكان مُنْصِفاً، آمن بالله تعالى فانتقل من الظلمة إلى النور.

لكنَّ الأحاديث أشارت أيضاً إلى ثلاثة أيام على نحوٍ خاصٍّ كانت هي أيام

الله.. وكانت نعمةً على المؤمنين، ونقمةً على الكافرين.

ففي الخبر عن الباقر عليه السلام: أَيَّامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَةٌ:

١. يَوْمَ يَقُومُ الْقَائِمُ.

٢. وَيَوْمَ الْكُرَّةِ.

٣. وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ (٣).

فما قصة هذه الأيام؟!

(١) الأملالي للطوسي ص ٤٩١.

(٢) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٢٢.

(٣) الخصال ج ١ ص ١٠٨.

٢. كيف تنسب الأيام لله تعالى؟ وما الثمرة من معرفتها؟!

لقد تكثرت نسبة الأشياء لله تعالى في القرآن الكريم وعلى لسان الأطهار عليهم السلام، فمن حيث المكان: نُسِبَ لله تعالى بيتٌ، هو الكعبة، ثم نُسِبَت لله بيوتٌ، وهي المساجد، ففي الحديث: إِنَّ الْكَعْبَةَ بَيْتُ اللَّهِ.. وَالْمَسَاجِدَ بِيُوتُ اللَّهِ^(١).

ومن حيث الزمان: نُسِبَ له شهرٌ، فقيل: شهر الله، وهو شهر رمضان. وهكذا نُسِبَ لله عرشٌ، وكرسيٌّ، ثم نُسِبَت لله روحٌ.. وهو المسيح عليه السلام. وكلُّ هذه الأشياء.. من مكانٍ أو زمانٍ أو شخصٍ أو غيرها هي من مخلوقات الله تعالى.. وإنما اكتسبت شرفاً من نسبتها له عزَّ وجل.

وقد نُسِبَت له لخصوصيةٍ فيها، دون أن يحلَّ الله تعالى فيها أو يخضع لها، أو يمثّلها ويشاكلها، فهو تعالى منزّه عن كلّ ذلك.

وكانت القاعدة أنّ ما أراد الله تعظيمه من الأوقات أو الأماكن أو الأشخاص نسبه إلى نفسه.

وهكذا تميّزت بعض الأيام عن بعض، فشهرُ الله أفضل من سائر الشهور، وليلة القدر أعظم من سواها، ويوم الجمعة أفضل من سائر أيام الأسبوع.. وهكذا.

لكنّ المؤمن قد يسأل فيقول: ما الثمرة من العلم بهذه الأيام؟
يظهر الجواب جلياً من كون العلم بها خصلةً مدح بها النبي صلى الله عليه وآله علياً

(١) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٩٩.

عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما نقل ذلك أعدى أعدائه! فقد نقل عمر بن الخطاب قول النبي ﷺ
 لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنت أول الناس إسلاماً، وأعلمهم بأيام الله^(١).

فعليُّ أعلم الناس بِنِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى، لأنه أعرَفَ الناسَ بِاللَّهِ تَعَالَى.
 وَعَلِيٌّ أَعْلَمُ النَّاسَ بِيَوْمِ قِيَامِ الْحُجَّةِ، وَيَوْمِ الرَّجْعَةِ، وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ.
 وَلَمَّا كَانَتْ مَعْرِفَةُ هَذِهِ الْأَيَّامِ سَبَبًا لِلخُرُوجِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، لَزِمَ عَلَى
 الْمُؤْمِنِ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَيْهَا.

يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ أَنَّ لِبَعْضِ الْأَوْقَاتِ شَرَفَاتَهَا..
 فَيَعْلَمُ مِثْلًا أَنَّ يَوْمَ الْغَدِيرِ هُوَ: يَوْمُ دَحْرِ الشَّيْطَانِ^(٢).
 وَأَنَّ الْيَوْمَ الَّذِي يَأْتِي فِيهِ الْكُفَّارُ، وَطَمَعَ الظَّالِمَةُ!
 وَأَنَّ الْيَوْمَ الَّذِي صَرَخَ فِيهِ إِبْلِيسُ صَرَخَةً لَمْ يَسْمَعْ الْأَبَالِسَةُ صَرَخَةً أَوْ حَشَّ
 مِنْهَا! وَقَالَ: فَعَلَّ هَذَا النَّبِيُّ فِعْلًا إِنْ تَمَّ لَمْ يُعْصِ اللَّهُ أَبَدًا!^(٣).
 وَيَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ أَنَّ إِبْلِيسَ عَادَ بَعْدَ انْتِكَاسَتِهِ هَذِهِ، وَانْتَعَشَتْ آمَالُهُ يَوْمَ قِيلَ
 لِلنَّبِيِّ إِنَّهُ يَهْجُرُ!

طَرَبَ إِبْلِيسَ حِينَهَا وَجَمَعَ أَوْلِيَاءَهُ وَقَالَ: هُوَ لَأَنْ نَقَضُوا الْعَهْدَ وَكَفَرُوا
 بِالرَّسُولِ!

يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ أَنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِأَوْلِيَائِهِ لَمَّا زُوِيَتْ الْخِلَافَةُ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اطْرُبُوا،

(١) العثمانية ص ٢٩٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٣ ص ٢٣٠.

(٢) مصباح التهجد ج ٢ ص ٧٥٦.

(٣) الكافي ج ٨ ص ٣٤٤.

لَا يُطَاعُ اللَّهُ حَتَّى يَقُومَ الْإِمَامُ! ^(١).

المؤمن يستذكر كل تلك الأيام، ولا يغفل عنها، ولا عن منهج إبليس عندما سَنَّ سُنَّةَ التشكيك بآل محمد عليه السلام، ثُمَّ حَمَلَ الناس على عداوتهم، وأغراهم بهم وبأوليائهم، حتى استحکم ضلالة الخلق، وجَرَّهم إلى يوم الحسين الشهيد بكر بلاء.. فكان يوماً ليس كمثلته يوم..

ذَكَ حَيْثُ قَتَلَ الْحُسَيْنَ عليه السلام قَتْلَةً مَا قُتِلَ مِثْلَهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ.. قَتْلَةً نَهَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله أَنْ يَقْتُلَ بِهَا حَتَّى الْكَلَابُ!

منذ تلك اللحظة، ارتبط يوم الحسين بأيام الله تعالى، فظهرت آثاره جليةً فيها كلها.

فإذا تأملنا في أيام الله تعالى، ونظرنا إلى حال الحسين فيها، وجدنا عجباً!

أولاً: الحسين ويوم قيام القائم

ينتظر المؤمنون يوم الظهور المبارك..

يوم يبدو الإمام المنتظر: كَالشَّهَابِ الْوَاقِدِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ! ^(٢).

هو يومٌ عظيمٌ في تاريخ الأمم، يومٌ موعودٌ مُترَقَّبٌ، ستجري فيه أحداث جسام.. سينتقم الله فيه من أعدائه، من قتلة الأنبياء وأبناء الأنبياء، ومن الراضين بفعالهم.

(١) الكافي ج ٨ ص ٣٤٥.

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٤١.

سِيرُ جُوعِ الْحَقِّ السَّلِيبَ إِلَى أَهْلِهِ، وَسِيْشْفِي اللهُ بِهِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَيَقْرُؤُ فِيهِ أَعْيُنَهُمْ.

لَكِنَّ الْعَجِيبَ هُوَ شِعَارُ ذَلِكَ الْيَوْمِ!

فَإِنَّ الْإِمَامَ الْمُنْتَظَرَ هُوَ: الَّذِي يَظْهَرُ فِي بَيْتِ اللهِ ذِي الْأَسْتَارِ، وَيُنَادِي بِشِعَارِهِ:
(يَا لَثَارَاتِ الْحُسَيْنِ، أَنَا الطَّالِبُ بِالْأُوتَارِ)^(١).

يَا لَثَارَاتِ الْحُسَيْنِ: هُوَ شِعَارُ الْإِمَامِ الْمُنْتَظَرِ الَّذِي أَدَّخَرَهُ اللهُ لِإِحْقَاقِ الْحَقِّ..
وَأَوَّلَ حَقٍّ يَطَالِبُ بِهِ هُوَ حَقُّ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ!

يَرْفَعُ أَصْحَابُهُ هَذَا الشِّعَارَ أَيْضاً: شِعَارُهُمْ (يَا لَثَارَاتِ الْحُسَيْنِ)، إِذَا سَارُوا
يَسِيرُ الرَّعْبُ أَمَامَهُمْ مَسِيرَةَ شَهْرٍ!^(٢).

يَشَارِكُهُمْ فِي ذَلِكَ أَيْضاً مَلَائِكَةٌ يَقِيمُونَ السَّاعَةَ عِنْدَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
يَنْتَظِرُونَ ظُهُورَ الْإِمَامِ الْحِجَّةِ: فَيَكُونُونَ مِنْ أَنْصَارِهِ، وَشِعَارُهُمْ (يَا لَثَارَاتِ
الْحُسَيْنِ)^(٣).

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَجْمَعُ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ تَحْتَ رَايَةِ الْإِمَامِ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ، وَبَعْدَ تَشْتُّ
أَمْرِهِمْ، وَبَعْدَ اسْتِذْلَالِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً! وَقَتْلِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً!
فَوَاجِبَتْهُ عَلَى مَا نَفَعَلْ فِي أَيَامِنَا! وَعَلَى تَشْتُّ أَمْرِنَا.
فِي أَوَّلِ أَيَامِ اللهِ يَجْتَمِعُ الشِّيْعَةُ مَعاً لِيَكُونُوا مِنَ الْآخِذِينَ بِثَارِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) المزار الكبير لابن المشهدي ص ١٠٧.

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٠٨.

(٣) الأمايلي للصدوق ص ١٣٠.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: مَعَ أَنَّ اللَّهَ وَلَهُ الْحَمْدُ سَيَجْمَعُ هَؤُلَاءِ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمِّيَّةٍ.. يُؤَلَّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ.. وَلَعَلَّ اللَّهَ يَجْمَعُ شِيعَتِي بَعْدَ التَّشْتُّتِ لِشَرِّ يَوْمٍ هَؤُلَاءِ^(١).

هكذا يصير اسم الحسين عليه السلام عنوان الظهور المبارك، ويصير ثاره شعار الإمام المنتظر عليه السلام وأعوانه!

ثانياً: الحسين يوم الكربة

يومُ الكربة هو يوم الرجعة، أو بعض أيامها وأحوالها، يوم يُرْجِعُ اللهُ تعالى كثيراً من عباده إلى الدنيا قبل يوم القيامة، لكن من أعجب ما روي في يوم الكربة ما نُقِلَ عن الصادق عليه السلام: إِنْ أَوَّلَ مَنْ يَكْرُرُ فِي الرَّجْعَةِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام!^(٢).

لكن حاله في كرتة تلك سيكون مُغَايِراً لحاله يوم عاشوراء! ففي ذلك اليوم يمدُّه اللهُ تعالى بالنصر على أعدائه.

يوصف عليه السلام في الدعاء الذي ندعو به يوم ولادته:

قَتِيلَ الْعَبْرَةِ، وَسَيِّدَ الْأُسْرَةِ، الْمَمْدُودَ بِالنُّصْرَةِ يَوْمَ الْكَرْبَةِ^(٣).

نَصْرٌ يَشْتَرِكُ فِيهِ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ، وَالشَّيْعَةُ الْمُؤْمِنُونَ، بَلْ يَكْرُرُ فِيهِ مَعَهُ أَبُوهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ عليه السلام لِيُشَارِكَهُ فِي الْأَخْذِ بِالثَّارِ.

لقد وعد الله تعالى الحسين عليه السلام أن يكرهه: إِلَى الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَقِمَ بِنَفْسِهِ مِمَّنْ

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٤-٦٦.

(٢) مختصر البصائر ص ٩١.

(٣) مصباح المنهج ج ٢ ص ٨٢٦.

فَعَلَّ ذَلِكَ بِهِ^(١).. لذا.. سيكون ذلك اليوم يوماً مشهوداً.. إِنَّهُ ثَانِي أَيَّامِ اللَّهِ!

ثالثاً: الحسين يوم القيامة

في ثالث أيام الله تعالى مواقف عجيبة للحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، منها موقفٌ مع جدِّه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآخر مع أمِّه فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ.

في الموقف الأول يُقْبَلُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَيَدُهُ عَلَى رَأْسِهِ يَقَطُرُ دَمًا)!!

في الموقف الأول هذا.. يدُ الحسين على رأسه!

وفي الموقف الثاني.. رأسُ الحسين على يده!

في الموقف الأول يكون الحسين مع جدِّه.. وفي الثاني أمام أمِّه فاطمة!

إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نُصِبَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ قُبَّةً مِنْ نُورٍ: (وَأَقْبَلَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَأْسَهُ عَلَى يَدِهِ)!!

ما أعجب هذين المشهدين:

الأول قد يُحاكيه مشهدُ المؤمنين الذين يُدْمُونَ رُؤُوسَهُمْ، ويضعون أيديهم عليها مواساةً للحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ! فتسيلُ دماؤهم كما سالت دماء الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهياتهم مُحاكي موقف الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم القيامة.

لكنَّ المشهد الثاني لا نظيرَ له.. رأسُ الحسين على يده!

هو مشهدٌ يُحَطِّمُ القلوب، فتشهُقُ الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ لما تراه!

لَا يَبْقَى فِي الْجَمْعِ مَلَكٌ مُتَقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ إِلَّا بَكَى لَهَا!
حينها.. يخاصم الإمام قتلتَهُ بِلا رَأْسٍ!!
ثم يقتلهم على آخرهم، ثم يُنشرون مراراً ويُقتلون، يشترك في قتلهم الأئمة
الأطهار عليهم السلام وذريتهم.

فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكْشِفُ اللَّهُ الْغَيْظَ وَيُنْسِي الْحُزْنَ!^(١)

أِهْ ثُمَّ آهٍ يَا حَسِينَ..

لقد بَشَّرَ الأنبياء بجدك وأبيك، وأمك وأخيك، واستذكروا مصيبتك،
واستعبروا وبكوا عليك.

لقد ذَكَرَ الأنبياء أقوامهم بأيام الله، وكلُّ ناظرٍ في أيام الله يرى لك فيها أثراً
عجيباً.. لقد بكاك الأنبياء والأولياء، ولا زالت أيامك تُبكي محبيك وتفطر
قلوبهم.. وهم يعلمون أن الحزن لن ينسى قبل يوم القيامة^(٢)، وأن الغيظ لن
يُكشَفَ إلا في آخر أيام الله.

فسلام الله عليك يا أبا عبد الله، وعلى الأرواح التي حَلَّتْ بفنائك، يا ليتنا
كنا معك سيدي فنفوز فوزاً عظيماً.. وإنا لله وإنا إليه راجعون^(٣).

(١) ثواب الأعمال ص ٢١٧.

(٢) ذكرنا في هوامش المقال ٢٦ المتقدم أن المراد من يوم القيامة هنا هو يوم الجزاء والحساب كما هو
المعروف، ونقلنا قولاً آخر في المسألة يذهب إلى أن المراد بالقيامة هنا الرجعة.. فليراجع.

(٣) ليلة الخميس، أولى ليالي محرم ١٤٤٥ هـ الموافق ١٩ - ٧ - ٢٠٢٣ م.

٤٣. الله يعزي الزهراء.. لما جرى في عاشوراء!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عندما تَحِينُ سَاعَةُ الْكِرَامَةِ، لِسَيِّدَةِ النِّسَاءِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ينادي مُنَادٍ مِنْ بَطْنَانِ الْعَرْشِ: يَا مَعْشَرَ الْخَلَائِقِ، غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ حَتَّى تَمُرَّ بِنْتُ حَبِيبِ اللَّهِ إِلَى قَصْرِهَا!

ثُمَّ يُسَمِّيهَا بِشَخْصِهَا وَيَقُولُ ﷺ: (فَاطِمَةُ عَلَيَّابِ ابْنَتِي)، حِينَهَا تَمُرُّ وَمَعَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ حَوْرَاءَ، إِلَى أَنْ تَبْلُغَ بَابَ قَصْرِهَا، وَهَنَّاكَ يَحْصُلُ مَا يُفَاجِئُ الْمُتَأَمِّلَ فِي أَحْدَاثِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَهَذِهِ الزَّهْرَاءُ الَّتِي أَكْرَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ أَمَرَ الْخَلَائِقَ بِغَضِّ الْأَبْصَارِ لِأَجْلِهَا، تَرَى مَا يَسُوؤُهَا عِنْدَمَا تَبْلُغُ بَابَ قَصْرِهَا!

فَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: فَإِذَا بَلَغَتْ إِلَى بَابِ قَصْرِهَا وَجَدَتْ الْحَسَنَ قَائِمًا، وَالْحُسَيْنَ نَائِمًا مَقْطُوعَ الرَّأْسِ!

أَمْرٌ يُثِيرُ الدَّهْشَةَ وَالْغَرَابَةَ! هَذَا مَحَلُّ النَّعِيمِ فِي الْآخِرَةِ، فَلِمَاذَا تَرَى الزَّهْرَاءُ عَلَيَّابِ ابْنَهَا الْحُسَيْنَ مَقْطُوعَ الرَّأْسِ؟!

كَيْفَ تَتَهَنَّأُ ذَلِكَ الْيَوْمَ فِي قَصْرِهَا إِذَا كَانَ الْحُسَيْنُ بِرَأْسِ عَلَى بَاهِهَا؟! وَأَيْنَ الْكِرَامَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ إِذَا؟! أَلَا يَحْجِبُ الْمُحِبُّ كُلَّ سُوءٍ عَمَّنْ يُحِبُّهُ؟! فَلِمَاذَا لَمْ يَحْجِبِ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ عَنْهَا؟!

مَا يَلْبَثُ أَنْ يَأْتِيهَا النِّدَاءُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَدْفَعُ لَنَا اسْتِغْرَابَنَا: إِنِّي إِتْمَا أَرَيْتُكَ مَا فَعَلْتَ بِهِ أُمَّةٌ أَبِيكَ، إِنِّي ادَّخَرْتُ لَكَ عِنْدِي تَعْزِيَةً بِمُصِيبَتِكَ فِيهِ!

التعزية هي ما يفعله أحدٌ لِيُصَبِّرَ أحداً على ما رُزِيََ به وفقدَه، والله تعالى ينادي الزهراء عليها السلام في ذلك اليوم لِيُبيِّنَ أَنَّهُ ما أراد لها الأذى، وهو الذي يرضى لرضاها ويغضب لغضبها، بل إنَّ رؤيتها للحسين عليه السلام مقطوع الرأس في ذلك اليوم مُقدِّمةٌ لمزيد كرامةٍ من الله تعالى لها، وهذا صوتُ النداء من الله تعالى يكشف ذلك: **وَإِنِّي جَعَلْتُ تَعْزِيَتِكَ الْيَوْمَ أَيُّ لَّا أَنْظُرُ فِي مُحَاسِبَةِ الْعِبَادِ حَتَّى:**

١. تَدْخُلِي الْجَنَّةَ أَنْتِ

٢. وَذُرِّيَّتِكَ

٣. وَشِيعَتِكَ

٤. وَمَنْ وَالَاكُمْ [أَوْلَاكُمْ] مَعْرُوفًا مِّنْ [بِمن] لَيْسَ هُوَ مِنْ شِيعَتِكَ
قَبْلَ أَنْ أَنْظُرَ فِي مُحَاسِبَةِ الْعِبَادِ! ^(١).

ليست تعزية الإله الغني العظيم القدير كتعزية سائر الخلق!

لن تُنصَبَ الموازين التي قال عنها تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ^(٢)، ولن ينظر الله في أعمال العباد ليحاسبهم شديداً أو يسيراً، حتى يكتمل دخولُ أفواج من الناس للجنة: الزهراءُ سيِّدةُ النساء، يتبعها ذريتها وشيعتها الذين اتَّبَعُوا أباهَا وبعلمها وبناهَا والأئمة المعصومين جميعاً.

ثم يلحقُ بهؤلاء مَنْ أَوْلَاهُمْ مَعْرُوفًا ولم يكن منهم!

فأية كرامةٍ وتعزيةٍ هذه؟!

(١) تفسير فرات ص ٢٦٩.

(٢) الأنبياء ٤٧.

ذاك يوم ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾^(١)، يفرُّ المرء فيه من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، لكنَّ مَنْ كان للزهراء موالياً، ولها محبباً، كان من الأمنين الذين ﴿لَا يَخْزُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾^(٢).

أيكتفى في يوم الجزاء وفي عزاء الله لها بذلك؟! وهل تنسى الزهراء من قتل ولدها الشهيد؟! ألدخل الجنة قبل أن يعاقب هؤلاء؟!!

يكشف لنا الصادق جعفر بن محمد عليه السلام حديثاً آخر يسبق هذه الواقعة، قبل أن تصل الزهراء عليها السلام إلى باب قصرها، وقبل أن تقبل إلى الجنة، وبعد أن يغض الخلق أبصارهم وينكسوا رؤوسهم:

تَقِفُ مَوْقِعًا شَرِيفًا مِنْ مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ تَنْزِلُ عَنْ نَجِيبِهَا، فَتَأْخُذُ قَمِيصَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام بِيَدِهَا مُضْمَخًا بِدَمِهِ، وَتَقُولُ: يَا رَبِّ هَذَا قَمِيصُ وَلَدِي، وَقَدْ عَلِمْتَ مَا صُنِعَ بِهِ!^(٣)

الزهراء التي يرضى الله لرضاها، عندما تقف في موقفٍ (شريفٍ) تحملُ هذا القميص، ولا تطلب عقاباً محمداً لهؤلاء، بل تشتكي إلى الله تعالى!

لا تذكر ما جرى عليه: يا رب.. قد علمت ما صنع به!

ماذا صنع به يا زهراء؟! هل ستقيمين حينها مآتماً يذكرُ فيه ما صنع به؟! أم أن الخلائق كلهم سيرون ذلك رأي العين ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ

(١) المزمّل ١٧.

(٢) الأنبياء ١٠٣.

(٣) الأماي للمفيد ص ١٣٠.

حديداً؟! (١) أم أن الموقف الشريف هذا لا يُناسبُ ذكر مصيبتِه فتُذكر في محلٍّ آخر؟! هذا ما لا سبيل لنا لمعرفة، لكن ما نعرفه هو أن الله تعالى يناديها: يَا فَاطِمَةُ لَكَ عِنْدِي الرَّضَا!

هناك التعزية، وهنا الرضا.. وهل رضاهُ أمرٌ جديدٌ مع هذه الأسرة الطاهرة؟!!

لقد سبق أن قال الحسين عليه السلام لما عزم على الخروج إلى العراق: رَضِيَ اللهُ رِضَانًا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَصِرُ عَلَى بَلَائِهِ وَيُوفِّينَا أُجُورَ الصَّابِرِينَ (٢).

الله تعالى يَعِدُ فاطمة عليها السلام بالرضا، فنقول: يَا رَبِّ أَنْتَصِرْ لِي مِنْ قَاتِلِهِ.

فما حال من ينتصرُ الله تعالى له؟! وما حال من ينتصرُ الله تعالى منه؟!!

فَيَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عُنُقًا مِنَ النَّارِ، فَتَخْرُجُ مِنْ جَهَنَّمَ، فَتَلْتَقِطُ قَتْلَةَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام كَمَا يَلْتَقِطُ الطَّيْرُ الْحَبَّ، ثُمَّ يَعُودُ الْعُنُقُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ فَيُعَذَّبُونَ فِيهَا بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ.

إنَّ لكلَّ معصيةٍ نوعٌ من أنواع العذاب، لكنَّ هؤلاء يعذبون (بأنواع العذاب) المختلفة، ولا تنتظرهم النَّارُ أن يدخلوها، بل يخرج عنقٌ منها إلى خارجها ويلتقطهم ويأتي بهم إليها! فهؤلاء ممن اشتدَّ غضبُ الله عليهم لقتلهم ابن بنتِ نبيِّهم، والله شديد العقاب.

بعدَ هذا الموقف الشريف، تَرَكَبُ فَاطِمَةُ عليها السلام نَجِيبَهَا حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ،

(١) ق ٢٢.

(٢) نزهة الناظر ص ٨٥.

وَمَعَهَا الْمَلَائِكَةُ الْمُشِيعُونَ لَهَا، وَذُرِّيَّتَهَا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَأَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ النَّاسِ عَنِ يَمِينِهَا
وَشِمَاهَا^(١).

يَجْتَمِعُ بِهَذَا أَمْرَانِ: الْعِقَابُ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَالْإِكْرَامُ لِلْأَوْلِيَاءِ.

الحديث الثاني يُبَيِّنُ انتصار الله تعالى للزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ وعذاب قاتلي ولدها
الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، والحديث الأول يُبَيِّنُ تعزية الله تعالى لها، حين يُدْخِلُ إِلَى الْجَنَّةِ
ذُرِّيَّتَهَا وَمَحْبِيهَا وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ.

ولا يزال الباب مفتوحاً في هذه الأيام للانضمام الى كلا الصنفين:

١. فمؤمنٌ ينضمُّ إلى شيعتها، ويحي أمرها وأمرَ قرة عينها الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢. ومنافقٌ يرضى بأفعال قتلة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فيكون معهم.

٣. ومُذَبَذَبٌ بَيْنَ هَوْلَاءِ وَهَوْلَاءِ.. لا يُدْرِي كيف تُحْتَمُ حَيَاتِهِ!

اللهم اجعلنا من شيعتهم، وادفع عنا أذى أعدائهم، وعظّم لنا أجورنا
بمصائبهم، واحشرنا معهم قبل أن تنظر في محاسبة العباد، وإنا لله وإنا إليه
راجعون^(٢).

(١) الأُمالي للمفيد ص ١٣٠.

(٢) الخميس ٣ محرم ١٤٤٣ هـ الموافق ١٢-٨-٢٠٢١ م.

٤٤. موائد النور.. لزوار الحسين!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عجائب يوم القيامة، موائد تنتظر زوار الحسين عليه السلام!

لقد اعتاد الناس في الدنيا على موائد الطعام، وما عرفوا أن للنور موائده! حتى كشف الصادق عليه السلام شيئاً من ذلك حين قال: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَوَائِدِ النُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فليكن من زوار الحسين بن علي عليه السلام ^(١).

إن المؤمن يؤمن بذلك، وإن لم يعلم حقيقة موائد النور هذه: فهل هي موائد للطعام ينبعث منها النور؟! أم هي مجالس نور يجلس فيها المؤمن يوم الجزاء إكراماً وإعزازاً من الله تعالى له؟! أم شيء لم يخطر على قلب بشر؟!

رغم ذلك يعلم المؤمن أن هذه الموائد ليست إلا شيئاً يسيراً من ثواب زيارة الحسين عليه السلام، فإن من زاره وصلى عنده لوجه الله تعالى: لقي الله يوم يلقاه وعليه من النور ما يغشى له كل شيء يراه! ^(٢).

ههنا تبرز معادلة خاصة غريبة يوم القيامة:

١. الكفار ﴿تَغْشَىٰ وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ ^(٣).

٢. وزائر الحسين (يُغْشَىٰ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ يَرَاهُ).

(١) كامل الزيارات ص ١٣٥.

(٢) كامل الزيارات ص ١٢٣.

(٣) إبراهيم ٥٠.

فالنَّارُ تُغَطِّي وَجوهَ الكفَّارِ، والنور الذي على زوار الحسين عليه السلام يُغَطِّي كُلَّ شيءٍ يراه ويطغى عليه! حتى نارَ جهنم!

ألا تقول النارُ للمؤمن: جُزْ يَا مُؤْمِنُ فَإِنَّ نُورَكَ قَدْ أَطْفَأَ لَهْبِي ^(١)؟!!

ومَن أولى بذلك من زوّار الحسين عليه السلام، وهم أوّل الناس وروداً على الحوض، يصحبهم ملكٌ من قبَل أمير المؤمنين عليه السلام، ينهى النار أن يصيبهم من لفحها شيء! فما السرُّ في ذلك؟!!

لماذا صار لزوار الحسين عليه السلام هذه المنزلة العظيمة، والمكانة الجليلة، في يوم الجزاء والحساب؟ فيروون مع عطش الناس، وتغشي أنوارهم كل شيء يراها؟! إن عدالة الله تعالى وحكمته اقتضت أن يكون الجزاء متناسباً مع أهمية الفعل وأثره، فكلما تعاظمت الأثر تضاءعت الثواب.

فماذا فعل زوّار الحسين حتى بلغوا ذلك؟! وبماذا اتّصفوا وتميّزوا؟! وما الذي جعلهم يتفوّقون على من سواهم يوم المحشر؟! لقد اتّصف هؤلاء الزوار أو بعضهم بأعظم الصفات، ومن أهمها صفتان:

أولاً: أنهم أعلمُ الناسُ بالله تعالى!

لقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله قوله للزهراء عليها السلام فيمن يأتي قبر الحسين عليه السلام:
وَتَأْتِيهِ قَوْمٌ مِنْ مُحِبِّينَا لَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَلَا أَقْوَمُ بِحَقِّنَا مِنْهُمْ! ^(٢).

(١) البرهان ج ١ ص ١٠٠.

(٢) كامل الزيارات ص ٦٩.

وليس عَجَباً أَنْ تَقْتَرِنَ معرفةَ الله تعالى بالقيام بحق آل محمدٍ عليهم السلام، فهذا الباقر عليه السلام لما يُسأل عن معرفة الله تعالى يجيب أنها:

١. تَصْدِيقُ الله عَزَّ وَجَلَّ.
 ٢. وَتَصْدِيقُ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
 ٣. وَمَوَالَاةُ عَلِيِّ عليه السلام وَالْإِتِّمَامُ بِهِ وَبِأَيِّمَةِ الْهُدَى عليه السلام.
 ٤. وَالْبِرَاءَةُ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَدُوِّهِمْ.
- هَكَذَا يُعْرِفُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ^(١).

فَمَنْ لَمْ يَتَوَلَّ عَلِيًّا وَالْأَيُّمَةَ مِنْ بَنِيهِ، وَمَنْ لَمْ يَبِرَأْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، لَمْ يَكُنْ بِاللَّهِ عَارِفاً.

وقد تجلّت في الزائر حقيقة معرفة الله تعالى، فهو المؤمن بالله تعالى ونيبه ووليّه، والمتبرئ من عدوّه، فلم يكن على الأرض أعلم بالله من زوّار الحسين عليه السلام، حيث جَسَدُوا في زيارتهم معرفة الله عقيدةً وسلوكاً.

فامتازوا على من لا يؤمن حقاً، ثم امتازوا على من لم يزر الحسين عليه السلام من المؤمنين، بأنهم قاموا بحقّه، دون من أعرض عن زيارته، فعن الباقر عليه السلام:
مُرُّوا شَيْعَتَنَا بِزِيَارَةِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام، فَإِنَّ زِيَارَتَهُ.. مُفْتَرَضَةٌ عَلَى مَنْ أَقْرَبَ لِلْحُسَيْنِ بِالْإِمَامَةِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ^(٢).

وعن الصادق عليه السلام: لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ حَجَّ الْفَحِجَّةِ ثُمَّ لَمْ يَأْتِ قَبْرَ الْحُسَيْنِ

(١) الكافي ج ١ ص ١٨٠.

(٢) الأمالي للصدوق ص ١٤٣.

بِنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَكَانَ قَدْ تَرَكَ حَقًّا مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى.. حَقُّ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَفْرُوضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ^(١).

بهذا تفوق زائر الحسين على فئتين من الناس:

الأولى: لا تعرف الله تعالى حق معرفته، لأنها لا توالي علياً وبنيه عليه السلام، ولا تبرأ من أعدائهم.

والثانية: تاركة لحق من حقوق الله مفروض، وهو زيارة الحسين عليه السلام.

فصار زوار الحسين عليه السلام أعرف الناس بالله، وأقوم الناس بحق آل محمد عليه السلام، فاستحقوا أعلى المراتب لعظيم ما عرفوا وعملوا، جعلنا الله منهم دائماً وأبداً.

ثانياً: أنهم مصابيح في الظلمات

يصف النبي ﷺ زوار الحسين عليه السلام فيما روي عنه بأنهم: **أُولَئِكَ مَصَابِيحُ فِي ظُلُمَاتِ الْجُورِ**^(٢).

لقد ذكر الله تعالى المصابيح في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَزَيْنًا سَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾^(٤).

(١) كامل الزيارات ص ١٩٤.

(٢) كامل الزيارات ص ٦٩.

(٣) فصلت ١٢.

(٤) الملك ٥.

فكانت النجوم مصابيح في السماء الدنيا، تنزىء السماء بها، ويرجم الله تعالى بها الشياطين.

وكان زوار الحسين عليه السلام كنجوم السماء الدنيا، مصابيح يهتدى بها إلى الحق، حيث يدعو كل واحد منهم إلى الله تعالى بفعله، ويسجل فيمن كثر السواد في طريق الحق، ويكون مرشداً إلى أولياء الله تعالى، فصار بهذا ممن ينير السبيل للناس في ظلمات الجور.

هكذا هم زوار الحسين عليه السلام، وبهذا استحقوا أن يكونوا على موائد النور يوم القيامة، وأن تسطع منهم أنوار تغطي كل شيء!

ثم هم بعد ذلك رجوم للشياطين، أليسوا ممن يدخل الغيظ على أعداء آل محمد بزيارتهم للحسين عليه السلام؟! وقد مدحهم الصادق عليه السلام بقوله مخاطباً ربه: **وَعَيْظًا أَدْخَلُوهُ عَلَىٰ عَدُوِّنَا، أَرَادُوا بِذَلِكَ رِضَاكَ!**^(١).

فصاروا كنجوم السماء الدنيا من جهتين:

١. تلك تُرشدُ النَّاسَ إلى حيث يسعون، والزوار يرشدون الناس إلى الله ورسوله وآله.

٢. وتلك يُرجمُ بها الشياطين، والزوار يُرجمُ بهم أعداء آل محمد عليهم السلام من شياطين الجن والإنس بإدخال الغيظ عليهم.

بهذا ينكشفُ شيءٌ يسير من التَّنَاسُبِ بين الفعل والأثر، فمن كان هادياً ومرشداً ومনিراً لطريق الحق في الدنيا، أعطاه الله نوراً يغطي كل شيء في الآخرة،

(١) كامل الزيارات ص ١١٦.

وزوار الحسين عليه السلام من أهل هذه المراتب مع تفاوتهم، فليسوا على مرتبة ومكانة وشرف واحد، وإن كانوا جميعاً على موائد النور.

وكلما عظمت معرفتهم بالله تعالى وبمحمد وآله عليهم السلام، رأيتهم أطوع الناس لله تعالى، يخشون ربهم ويمثلون أمره، أشدء على الكفار، رحماء بينهم.

ثم هم بعد ذلك يدركون أنهم ما عرفوا حقيقة فضل زيارة الحسين، ولا أدركوا كنهها، وهذا الصادق عليه السلام يقول: فِي قُرْبِكُمْ لَفَضِيلَةٌ مَا أُوتِيَ أَحَدٌ مِثْلَهَا، وَمَا أَحْسَبُكُمْ تَعْرِفُونَهَا كُنْهَ مَعْرِفَتِهَا!.. زِيَارَةُ جَدِّي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام! ^(١).

فسلام الله عليك يا أبا عبد الله..

يا من: يَبْكِيهِ مَنْ زَارَهُ، وَيَحْزَنُ لَهُ مَنْ لَمْ يَزُرْهُ، وَيَحْتَرِقُ لَهُ مَنْ لَمْ يَشْهَدْهُ!

آه لقلوب الشيعة المحروقة في أيامك يا حسين.. آه لمن يندبك صباحاً ومساءً، ويبكي عليك بدل الدموع دماً، أي حرقه يعيش وهو الغائب الحاضر الشاهد! آه من لوعة المصاب، وإنا لله وإنا إليه راجعون ^(٢).

(١) كامل الزيارات ص ٣٢٥.

(٢) السبت ١٧ صفر ١٤٤٣ هـ الموافق ٢٥ - ٩ - ٢٠٢١ م.

٤٥. زوار الحسين.. يوم العطش الأكبر!

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلُوبُ الشَّيْعَةِ تَتَلَهَّفُ إِلَى كَرْبَلَاءَ، وَيَتَقَاطَرُ الْمُؤْمِنُونَ إِلَيْهَا فِي أَرْبَعِينَ الْحُسَيْنِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَلَيْسَتْ زِيَارَةُ الْأَرْبَعِينَ مِنْ عِلَامَاتِ الْمُؤْمِنِ؟!!

يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ الْغَائِبُ عَنْ كَرْبَلَاءِ الْيَوْمِ إِلَى الْحَشُودِ بِشَوْقٍ وَحَيْنٍ، وَيُرِيقُ مَا
يُظْهِرُ مِنْ آثَارِ الزِّيَارَةِ وَبَرَكَاتِهَا، وَقَدْ عَلِمَ شَيْئاً مِنْ عَظَمَتِهَا، حِينَ صَارَ مَلَائِكَةُ
الرَّحْمَانِ فِي السَّمَاءِ أَكْثَرَ دَعَاءٍ لِلزُّوَارِ مَنْ يَدْعُو لَهُمْ فِي الْأَرْضِ! فَعَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
مَنْ يَدْعُو لِزُورَاهِ فِي السَّمَاءِ أَكْثَرَ مِمَّنْ يَدْعُو لَهُمْ فِي الْأَرْضِ^(١).

لَكِنَّ لِدَعَاءِ سَادَةِ أَهْلِ الْأَرْضِ أَثْراً يَفُوقُ دَعَاءَ أَهْلِ السَّمَاءِ، فَعَنِ الصَّادِقِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَحْضَرٌ لِزُورِ قَبْرِ ابْنِهَا الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَسْتَغْفِرُ لَهُمْ
ذُنُوبَهُمْ^(٢).

يَحْضُرُ الزُّوَارُ لِزِيَارَةِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَتَرُدُّ الزُّهْرَاءُ عَلَيْهِ تَحِيَّتَهُمْ بِخَيْرٍ مِنْهَا، حِينَ
تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ، أَفَلَا يَعُودُ الزَّائِرُ بِالْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَقَدْ اسْتَغْفَرَتْ لَهُ الزُّهْرَاءُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهَا
فِي أَيَّامِ وَلَدِهَا الشَّهِيدِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟!!

ثُمَّ يَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ آلُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا يَقُولُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الزَّائِرِ: أَمَّا مَا لَهُ
عِنْدَنَا فَالترَّحُّمُ عَلَيْهِ كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ^(٣).

(١) كامل الزيارات ص ١١٧.

(٢) كامل الزيارات ص ١١٨.

(٣) كامل الزيارات ص ٣٢٥.

إنَّ نظرةً من آل محمد تجرُّ القلبَ الكسير، وتُحيي الروح الميتة، وتبعثُ الحياة في النفوس، وتورث منازل القُرب من ربِّ العباد، فكيف بالترحُّم كلَّ صباح ومساء؟! وأيُّ ترحُّم..

فهذا الصادق عليه السلام يخاطب ربه تعالى قائلاً: فَارْحَمِ تِلْكَ الْوُجُوهُ الَّتِي غَيَّرْتَهَا الشَّمْسُ، وَارْحَمِ تِلْكَ الْخُدُودَ الَّتِي تَتَقَلَّبُ عَلَى حَضْرَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام.
ثم يقول: اللهمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ تِلْكَ الْأَبْدَانَ، وَتِلْكَ الْأَنْفُسَ حَتَّى تُوفِّيَهُمْ عَلَى الْحَوْضِ يَوْمَ الْعَطَشِ الْأَكْبَرِ^(١).

ههنا معانٍ أو جهات أربعة تستحق التأمل:

الأول: الوديعة

وعادةً ما تكون شيئاً ثميناً اعتادَ النَّاسُ حفظَه عند من يثقون بهم، والوديعة هنا هي (أبدان) و(أنفس) زوار الحسين عليه السلام!

ولئن كانت الأنفس قد آمنت بالله تعالى وبالنبي صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة، فاستحقت أن تكون وديعة الإمام عند الله، فإنَّ الأبدان قد أشخصت لزيارتهم عليهم السلام، وقد دعا الصادق عليه السلام للزوار الذين: أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ، رَغْبَةً فِي بَرِّنَا، وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي صَلَاتِنَا!

فاستحقتْ أبدانهم كأرواحهم عظيمَ المنزلة عند الله، وهم الذين قال فيهم المعصوم أنهم أعلم الناس بالله تعالى، وأقوم الناس بحق آل محمد عليهم السلام، وأنهم

(١) كامل الزيارات ص ١١٧.

مصاييح في ظلمات الجور، فالوديعةُ ثمينةٌ جداً، لأنَّها تُمَثِّلُ صفوةَ الإنسانية وعُصارتَها، فلا تصلُّ البشريَّةُ لهدفها المنشود لولا هؤلاء العارفين بالله تعالى وبحق أوليائه في سبائه وأرضه.

الثاني: المُستودع

صاحبُ الوديعة هنا هو الإمام المعصوم، يقول الصادق عليه السلام: (اللهم إني أَسْتَوْدِعُكَ)، وكلِّمًا عَظُمَ أمرُ المودِعِ كلِّمًا عَظُمَتِ الوديعة، فأصحابُ الشَّانِ الرَّفِيعِ يودعون ما كان ثميناً حقاً في مواطن الحفظ والأمن.

وطالما كَشَفَ اهتمامُ العُظَمَاءِ بأمرٍ عن أهميَّته، فليس اهتمامهم بصغائر الأمور كاهتمامهم بعظيمها.

فما يكون حال الوديعة لو كان المودِعُ واحدَ دهره؟! ليس له مثيلٌ في الأرض ولا في السماء؟!!

فالإمام: وَاحِدٌ دَهْرِهِ لَا يُدَانِيهِ أَحَدٌ، وَلَا يُعَادِلُهُ عَالِمٌ، وَلَا يُوجَدُ مِنْهُ بَدَلٌ، وَلَا لَهُ مِثْلٌ وَلَا نَظِيرٌ، مَخْصُوصٌ بِالْفَضْلِ كُلِّهِ!^(١).

فما مقدارُ عَظَمَةِ الوديعة لو كان مُودِعُها هو هذا الشخص العظيم الذي تتصاغَرُ العُظَمَاءُ أمامه؟!!

الثالث: المُستودع

إنَّ العظيمَ يَخْتَارُ الودائعَ الثمينة، ويبحثُ لها عن محلٍّ أمين، مُحْفَظٌ فيه إلى

(١) الكافي ج ١ ص ٢٠١.

أجل مكتوب، وآل محمد ﷺ أعظم الخلق على الإطلاق، وهم يستودعون الإله الخالق العظيم العليم، وقد استودعوه زوار الحسين ﷺ فقال صادقهم ﷺ: وَإِنَّا نَسْتَوْدِعُهُمُ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ^(١).

فصار زوار الحسين ﷺ ودیعة مضمونة عند الله تعالى، أودعها أعظم مخلوق وأرفع الناس درجة وأعلاهم مكانة، عند الإله الخالق العظيم، فما أبدعها من صورة تُظهر عظمة زوار الحسين ﷺ! تحار لها العقول، أليست أمراً يرتبط بآل محمد حيرة الكمّل؟!!

الرابع: أمدُ الودیعة وغايتها

ما إن تشخص أبدان الزوار إلى كربلاء، حتى يصيروا أمانة وودیعة عند الله تعالى، حتى يأتي يوم تسترد فيه الودیعة.. وأمد هذه الودیعة هو يوم القيامة حيث تُستوفى على الحوض: حَتَّى تُوفِّيَهُمْ عَلَى الْحَوْضِ يَوْمَ الْعَطَشِ الْأَكْبَرِ!

من الذي يستوفي هذه الودیعة يوم الحساب؟! إنه الساقى على الحوض، عليّ ﷺ، وهو الذي يُخصّ زوار الحسين ﷺ بأن يكونوا أوّل من يرد الحوض وأوّل من يروى منه! فعن الصادق ﷺ في زائر الحسين ﷺ:

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْحَوْضِ:

١. يُصَافِحُهُ.

٢. وَيُرْوِيهِ مِنَ الْمَاءِ.

(١) كامل الزيارات ص ٨٧.

٣. وَمَا يَسْبِقُهُ أَحَدٌ إِلَىٰ وُرُودِهِ الْحَوْضِ حَتَّىٰ يَرَوْى.

٤. ثُمَّ يَنْصَرِفُ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ مِنَ الْجَنَّةِ^(١).

عجيبه هذه المفارقات.. يُقتل الحسين عطشاناً، بعدما قال له القوم: وَنَحْنُ غَيْرُ تَارِكِيكَ حَتَّىٰ تَذُوقَ الْمَوْتَ عَطْشاً!^(٢).

فيصيرُ العطشُ عذابَ الهونِ يومَ القيامة: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾^(٣)!
ويصيرُ زوَّارَ الحسينِ ومُحِبُّوهُ أَوَّلَ مَنْ يُرَوَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ يَدِ أَبِيهِ أَمِيرِ
المؤمنين عليه السلام، حين يستوفيهم يوم العطش الأكبر.

عجيبه هذه المعادلة، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام: وَإِنَّ لَكَ فِي الْجَنَّةِ
دَرَجَاتٍ لَا تَنَالُهَا إِلَّا بِالشَّهَادَةِ^(٤).

لقد نالَ بالشهادة درجاتٍ عظيمة، ثم نالَ زوَّارَهُ قصبَ السبقِ في ورود
حوضِ القيامة!

اللهم أوردنا حوضهم يوم العطش الأكبر، وارزقنا في الدنيا زيارتهم وفي
الآخرة شفاعتهم، وثبتنا على ولايتهم كما أحييت قلوبنا بحبهم، واجعلنا ممن قال
فيهم وليُّك: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي النَّاسِ مَنْ يَفِدُّ الْبِنَا وَيَمْدَحُنَا وَيَرِثُنَا لَنَا.
وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون^(٥).

(١) كامل الزيارات ص ١٢٣.

(٢) الأمالي للصدوق ص ١٥٩.

(٣) الأحقاف ٢٠.

(٤) الأمالي للصدوق ص ١٥٢.

(٥) ليلة الاثنين ١٩ صفر ١٤٤٣ هـ الموافق ٢٧ - ٩ - ٢٠٢١ م.

٤٦. وَيُسْقَى الْكَوْثَرَ.. مَنْ بَكَى الْحُسَيْنِ!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَحِمَ اللَّهُ دَمْعَتَكَ!

هذه كلمة مروية عن الإمام الصادق عليه السلام، لأحد أصحابه ويُدعى (مِسْمَعُ).

مِسْمَعُ هذا يخاف من إتيان قبر الحسين عليه السلام، لئلا يبطش به أعداء آل محمد عليهم السلام، لكنه يذُكَّرُ ما جرى على الحسين عليه السلام، ويجزع لذلك، ويستعبر حتى يظهر أثر ذلك عليه، ويمتنع عن الطعام.

هي علامات المكروب المحزون، تظهر جلية على مُحِبِّ الإمام الحسين عليه السلام عند ذكره، وفي أيام شهادته.

الإمام هنا ما دعا له بالرحمة، بل دعا لدمعته! فما قال له: رحمك الله، بل قال رَحِمَ اللَّهُ دَمْعَتَكَ!

وهذا تعبيرٌ بليغٌ يُشيرُ إلى عظيم أثر الدمعة حتى صارت محلاً لدعاء الإمام المعصوم، حجة الله على من فوق الأرض ومن تحت الثرى!

ثم قال عليه السلام: أَمَا إِنَّكَ مِنَ الَّذِينَ يُعَدُّونَ مِنْ أَهْلِ الْجَزَعِ لَنَا، وَالَّذِينَ يَفْرَحُونَ لَفَرَحِنَا، وَيَحْزَنُونَ لِحُزْنِنَا، وَيَخَافُونَ لِحَوْفِنَا، وَيَأْمَنُونَ إِذَا أَمْنَا^(١).

هكذا يكون المؤمن، جزوعاً على آل محمد عليهم السلام، مواسياً لهم في أحوالهم، أما

(١) كامل الزيارات ص ١٠١.

خُلِقَ من فاضل طبيبتهم؟!!

وتظهر تباشير موالاة المؤمن لآل محمدٍ جَلِيَّةً عند ساعة الموت، ثم تتوالى، وتظهر ثمارُ حُبِّهم والجزعِ لهم والاستعبار لمصيبتهم، وتبينُ آثاره، كما يقول عليه السلام لـ (مِسمَعُ): **أَمَا إِنَّكَ سَتَرَى عِنْدَ مَوْتِكَ حُضُورَ آبَائِي لَكَ:**

أبَوا هذه الأمة محمدٌ وعلِيُّ عليهما السلام، ثم سيِّدا شباب أهل الجنة حسناً وحسيناً، ثم زَيْنُ العَبَّاد والباقر عليه السلام، هم آباء الإمام الصادق الأقرَّبون المُعظَّمون، فلأَيِّ غَرَضٍ يحضرون مَوْت من كان لأجلهم جَزوعاً؟!!

وإذا كان المؤمنون (يَأْمَنُونَ إِذَا أَمِنَّا) كما عن الصادق عليه السلام، فهل يُخشى على

حُبِّهم ساعة الموت؟!!

يُبين الإمام طبيعة حضورهم فيقول:

أَمَا إِنَّكَ سَتَرَى عِنْدَ مَوْتِكَ حُضُورَ آبَائِي لَكَ، وَوَصِيَّتَهُمْ مَلِكَ المَوْتِ بِكَ: وصِيَّةُ المعصوم لملك الموت أمرٌ عجيبٌ، وإنَّ لآل محمدٍ عليهم السلام على الملائكة أفضالاً تجعل الملائكة طوعَ أمرهم، منتظرةً لتحقيق رغباتهم.

أما ورد في الحديث أن الله تعالى لما خلق الملائكة: اسْتَعْظَمَتْ أَمْرَنَا، فَسَبَّحْنَا لِتَعْلَمَ الملائكةُ أَنَا خَلْقُ مخلُوقونَ، وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَن صِفَاتِنَا، فَسَبَّحَتِ الملائكةُ بِتَسْبِيحِنَا، وَنَزَّهَتْهُ عَن صِفَاتِنَا.. فَبِنَا اهْتَدَوْا إِلَى مَعْرِفَةِ تَوْحِيدِ الله عَزَّ وَجَلَّ وَتَسْبِيحِهِ وَتَهْلِيلِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَمْجِيدِهِ^(١).

اهتدى الملائكة بآل محمدٍ عليهم السلام، وها هم الأئمة يوصون الملائكة بمن مات

(١) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٦٣.

وكان عليهم جَزوعاً! فهنيئاً لمن كان من أهل الجزع لهم! ثم تأتي البشارة للمؤمن:
وَمَا يَلْقَوْنَكَ بِهِ مِنَ الْبَشَارَةِ أَفْضَلُ، وَمَلِكُ الْمَوْتِ أَرْقُ عَلَيْكَ وَأَشَدُّ رَحْمَةً لَكَ
مِنَ الْأُمَّ الشَّفِيقَةِ عَلَى وَلَدِهَا:

هل يخاف أحدٌ من أمِّه الشَّفِيقَةِ؟! هل يحتملُ منها أذيةً في أشدِّ وقت حاجتهِ
اليها؟! إنَّ الأمَّ مأمونةُ الضَّررِ، ولو لم تكن شفيقةً بولدها، فكيف لو كانت من
أهل الرِّقة والشَّفقة والعطف والحنان؟!!

فإنَّها تُهَيِّئُ لولدها كلَّ ما يدفع عنه الأذى، وتوفِّر له كلَّ سُبُل الراحة.

وهكذا ملائكة الرحمان، وقد بيَّن أميرُ المؤمنين عليه السلام في حديثٍ آخر ما يفعل
الملائكة بالمؤمن: فَيَفْسَحَانِ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَفْتَحَانِ لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ،
وَيَقُولَانِ لَهُ: نَمَّ قَرِيرَ الْعَيْنِ نَوْمَ الشَّابِّ النَّاعِمِ ^(١).

لقد تألَّم قلبُ المؤمن الموالي في هذه الدنيا لما جرى على آل محمد عليهم السلام، فهل
سيتألَّم أيضاً ساعة موته ويعيشُ فيها الفجيجة كما عاشها في دُنياه؟! أم تنقلبُ
المعادلةُ عند ساعة الموت؟!!

يقول عليه السلام: وَإِنَّ الْمَوْجَعَ لَنَا قَلْبُهُ، لَيَفْرَحُ يَوْمَ يَرَانَا عِنْدَ مَوْتِهِ فَرَحَةً لَا تَزَالُ
تَلُوكَ الْفَرَحَةَ فِي قَلْبِهِ حَتَّى يَرِدَ عَلَيْنَا الْحَوْضُ!

هذا كلامٌ عجيبٌ لم يألفِ النَّاسُ له معنى!

فإنَّ ابن آدم في هذه الدنيا ما اعتاد أن يظَلَّ الفرحُ في قلبه مُدَّةً مديدة، فكلُّ
فرح الدنيا زائلٌ، حيث يعقبه ما يُنغِّصُه ويدفعُه، ولئن فرِح المؤمن وغيرُه في دار

(١) تفسير القمي ج ١ ص ٣٧٠.

الدُّنْيَا سَاعَةً، فَإِنَّهُ مَا يَلْبَثُ أَنْ يَحْزَنَ، بَلْ تَأْتِيهِ سَاعَاتٌ قَدْ يَنْسَى فِيهِ كُلَّ فَرْحٍ مَرَّ عَلَيْهِ، بَلْ يَكَادُ بَعْضُهُمْ لَا يَعْرِفُ لِلْفَرْحِ مَعْنَى.

لَكِنَّ مَنْ تَوَجَّعَ قَلْبُهُ فِي الدُّنْيَا لِآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، تَبَدَّلَ سَاعَةَ الْفَرْحِ عِنْدَهُ بِالْمَوْتِ، لَكِنَّهَا لَيْسَتْ كَسَائِرِ الْأَفْرَاحِ، إِنَّهَا سَاعَةٌ لَا يَنْتَهِي أَثْرُهَا، تَسْتَمِرُّ مَعَهُ وَتُرَافِقُهُ حَتَّى يَرِدَ الْحَوْضَ! وَهُنَاكَ تَنْقَلِبُ الْمُعَادَلَاتُ، وَتَتَبَدَّلُ الْأُمُورُ غَيْرَ الْأُمُورِ: وَإِنَّ الْكَوْثَرَ لَيَفْرَحُ بِمُحِبِّبِنَا إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَذِيقُهُ مِنْ ضُرُوبِ الطَّعَامِ مَا لَا يَشْتَهِي أَنْ يَصُدَّرَ عَنْهُ:

لَمْ يَصِفِ الْإِمَامُ الْمَحَبَّ هُنَا بِالْفَرْحِ، فَالْكَوْثَرُ هُوَ الَّذِي يَفْرَحُ بِهَذَا الْمَحَبِّ! فَأَيُّ كِرَامَةٍ لَكُمْ يَا أَحْبَابَ آلِ مُحَمَّدٍ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى؟!
يَا مِسْمَعُ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، وَلَمْ يَسْتَقِ بَعْدَهَا أَبَدًا!
آه أَيُّهَا الْكَوْثَرُ.. أَيْنَ كُنْتَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ?!

عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ﷺ يَقُولُ: يَا أَبَتِ، الْعَطَشُ قَدْ قَتَلَنِي، وَثِقَلُ الْحَدِيدِ قَدْ أَجْهَدَنِي فَهَلْ إِلَى شَرْبَةٍ مِنَ الْمَاءِ سَبِيلُ?!

فَبَكَى الْحُسَيْنُ ﷺ وَقَالَ: وَآ غَوْثَاهُ يَا بَنِيَّ، قَاتِلِ قَلِيلًا، فَمَا أَسْرَعَ مَا تَلْقَى جَدَّكَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَسْقِيكَ بِكَأْسِهِ الْأَوْفَى شَرْبَةً لَا تَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا^(١).

آه أَيُّهَا الْكَوْثَرُ.. آه يَا آلَ مُحَمَّدٍ.. سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ يَا سَادَتِي.. مُحِبِّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَشْرَبُ مِنَ الْكَوْثَرِ، فَإِذَا شَرِبَ: لَمْ يَسْتَقِ بَعْدَهَا أَبَدًا!
وَأَنْتُمْ تَسْتَقُونَ الْمَاءَ فِي عَاشُورَاءَ.. فَلَا تُسْقَوْنَهِ! فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

عندكم الكوثر، ومن شم ريحهُ وشرب ماءه يقول: يا ليتني تركت هاهنا لا أبغي بهذا بدلاً ولا عنه تحويلاً!

ثم تحرمون الفرات! ويناديكم مناد: أ ما ترؤن الى ماء الفرات يلوح كأنه بطون الحيات [الحياتان]، والله لا ذقتُم منه قطرة حتى تذوقوا الموت جزعاً^(١).

فما أعظم صبركم وتسليمكم لأمر الله! وما أعظم ما يناله الباكي عليكم! وما من عينٍ بكت لنا الا نعمت بالنظر إلى الكوثر، وسقيت منه (مع) من أحببنا، وإن الشارب منه ليعطى من اللذة والطعم والشهوة له أكثر مما يعطاه من هو دونه في حُبنا.

وإن على الكوثر أمير المؤمنين عليه السلام، وفي يده عصا من عوسجٍ يحطمُ بها أعداءنا:

تتجلى حينها البراءة كما الولاية، ويقتص الله للمظلوم من الظالم، فيحطم علي عليه السلام أعداءه وأعداء العترة في الآخرة كما كان في الدنيا، حتى أن أحدهم يقول: إنني أهلك عطشاً.

فيقول عليه السلام: زادك الله ظمأً وزادك الله عطشاً^(٢).

سلام الله على سيد الكائنات صلى الله عليه وآله، لقد أبكاه وصف الكوثر لما قال: يا علي، الكوثر نهر يجري من تحت عرش الله، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد.. فبكى النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، ثم صرَب بيده إلى علي بن

(١) الأماي للصدوق ص ١٥٧.

(٢) كامل الزيارات ص ١٠٢.

أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا عَلِيُّ مَا هُوَ لِي وَخَدِي، وَإِنَّمَا هُوَ لِي وَلكَ وَلِجَبِّكَ مِنْ بَعْدِي^(١).

لم يُذكر في الخبر أَنَّ أَحَدًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ سَبَبِ بَكَائِهِ حِينَهَا، وَبِجَنبِهِ عَلِيٌّ وَبَعْضُ أَصْحَابِهِ!

هل بكى لما يعلمُ من ظلمِ بعضِ الأصحابِ بضعته الطاهرة ﷺ!؟

أم بكى لعَطَشِ الحسينِ ﷺ وعترته!؟

وقد جاء أعداؤهم: فَنَزَلُوا عَلَى الشَّرِيعَةِ، وَحَالُوا بَيْنَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ وَبَيْنَ الْمَاءِ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْهُ قَطْرَةً! وَذَلِكَ قَبْلَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ!

هل يبكي لِقَوْلِ قائلهم: يَا حُسَيْنُ، أَلَا تَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ كَأَنَّهُ كَبِدُ السَّمَاءِ، وَاللَّهُ لَا تَدُوفُونَ مِنْهُ قَطْرَةً وَاحِدَةً حَتَّى تَمُوتُوا عَطَشًا!^(٢)

أِهْ يَا آلَ مُحَمَّدٍ.. كَيْفَ لَا تَتَوَجَّعُ الْقُلُوبُ عَلَيْكُمْ، وَقَدْ تَنَوَّرَتْ بِنُورِكُمْ، وَفُجِعَتْ بِفَقْدِكُمْ، فَسَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ مِنْ قَلْبٍ كَسِيرٍ.

وعظم الله أجورنا بكم، وإنا لله وإنا إليه راجعون^(٣).

(١) تفسير فوات ص ٦٠٩.

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٨٧.

(٣) السبت ١٢ محرم ١٤٤٣ هـ الموافق ٢١ - ٨ - ٢٠٢١ م.

الفهرس التفصلي

٥	مقدمة
٩	الفصل الأول: الحسين .. زينة العرش!
٩	١. زينةُ عرش الله: الحسين بن عليّ!
٩	الحدث الأول: التهئة بالحسين
١٠	الحدث الثاني: التعزية بالحسين!
١٧	الفصل الثاني: الحسين .. شهيد الهدى!
١٧	٢. الحسين .. شهيدُ الهدى .. والرَّشاد!
١٨	الحسينُ بابُ الهدى!
٢٠	أين الهدى والرَّشاد؟!
٢١	ما أهميَّة الهدى؟!
٢٣	الشُّكُّ في أيام الحسين!
٢٥	٣. إبليس .. رائد التشكيك!
٣١	٤. التوبة .. في أيام الحسين!
٣٢	١. البدعة
٣٣	٢. الذنب الذي يُخرج من الإيمان

- ٣٤ . ٣ . الاستغراق في المعاصي يودي إلى بغض آل محمد!
- ٣٤ . المرحلة الأولى: الأربعون جُنَّةً
- ٣٥ . المرحلة الثانية: سِتر الملائكة
- ٣٥ . المرحلة الثالثة: بغض آل محمد عليهم السلام!
- ٣٨ . ٥ . يوم نار يزيد.. على الحسين!
- ٣٩ . كيف صار الحسينُ نائراً إذاً؟!
- ٤٠ . هل نار الحسين فعلاً؟!
- ٤٢ . لماذا قاتل الحسين عليه السلام إذاً؟
- ٤٦ . ٦ . معجزة السماء.. في حفظ عاشوراء!
- ٥٠ . ١ . تبرئة القَتلة! وإخفاء هوية القَتلى!
- ٥٢ . ٢ . منع التحديث عن عاشوراء
- ٥٥ . كيف وصلتنا عاشوراء إذاً؟!
- ٥٦ . ماذا فعل آل محمد عليهم السلام؟
- ٥٩ . الفصل الثالث: عاشوراء.. سرُّ الله!
- ٥٩ . ٧ . عاشوراء.. سرُّ الله!
- ٦٦ . ٨ . دِمَاءٌ فِي عَاشُورَاءٍ.. تَصْبِغُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ!!
- ٧١ . ٩ . اجتماع الشيعة بعد الشَّتات: إنها عاشوراء!
- ٨١ . ١٠ . نُجُومُ السَّمَاءِ.. هَوَتْ فِي كَرْبَلَاءَ!

- ٨١..... نجوم الهداية
- ٨٢..... ١. الذابون عن توحيد الله
- ٨٤..... ٢. العارفون بحجة الله
- ٨٥..... ٣. الناصرون لكلمة الله
- ٨٨..... ٤. من سادة الشهداء
- ٨٩..... ٥. وعمّت مصيبتهم كل مؤمن
- ٩١..... ١١. عاشوراء.. يوم كُشِفَ الغطاء!
- ٩٢..... أولاً: كيف يُكشَفُ الغطاء؟!
- ٩٤..... ثانياً: كيف ظهر أثر كشف الغطاء؟!
- ٩٩..... الفصل الرابع: عاشوراء.. ومصائب الحسين
- ٩٩..... ١٢. تاسوعاء.. يوم استضعاف الحسين!
- ١٠٠..... كيف يُستضعفُ الإمام؟!
- ١٠٠..... ١. الاستضعافُ ليس ضعفاً
- ١٠١..... ٢. القوة قوة النوايا
- ١٠٢..... ٣. الضعيف ضعيف الدين
- ١٠٤..... ٤. الحسين كأنه عليُّ المختار
- ١٠٤..... ٥. الحسين الوارث
- ١٠٦..... ١٣. يومٌ على صدر المصطفى.. ويومٌ على وجه الثرى!

- ١٠٧ . ١ . يَوْمُ صَدْرِ الْمُصْطَفَى! وَيَوْمُ وَجْهِ الثَّرَى!
- ١٠٨ . ٢ . زَيْنَب.. وَالْحُسَيْنِ عَلَى الثَّرَى!
- ١٠٩ . ٣ . الْقَاسِمُ.. وَصَدْرُ الْحُسَيْنِ
- ١٠٩ . ٤ . السَّهْمُ.. وَشِمْرٌ.. وَصَدْرُ الْحُسَيْنِ!
- ١١٠ . ٥ . الْخَيْلُ.. وَصَدْرُ الْحُسَيْنِ!
- ١١٢ . ١٤ . يَوْمَ يَقْطُرُ رَأْسُ الْحُسَيْنِ دَمًا!
- ١١٢ . ١ . شَيْبَةُ الْحُسَيْنِ تَقْطُرُ دَمًا!
- ١١٥ . ٢ . رَأْسُ الْحُسَيْنِ يَقْطُرُ دَمًا!
- ١١٧ . ٣ . رُؤُوسُ الشَّيْعَةِ.. تَقْطُرُ دَمًا!
- ١١٩ . ١٥ . عَاشُورَاءُ.. يَوْمُ الذَّبِيحِ!
- ١٢١ . ذُبِحَ الْحُسَيْنِ كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ!
- ١٢٢ . ١ . الْإِرَاحَةُ فِي الْقَتْلِ!
- ١٢٣ . ٢ . ذَكَرَ اللَّهُ عِنْدَ الذَّبِيحِ!
- ١٢٣ . ٣ . الْمُثَلَّى وَالْقَتْلُ صَبْرًا!
- ١٢٥ . ٤ . النَّهْيُ عَنِ قَطْعِ الرَّأْسِ وَقْتِ الذَّبْحِ!
- ١٢٦ . ٥ . الذَّبْحُ مِنَ الْقَفَا!
- ١٢٧ . النَّبِيُّ وَالْحُسَيْنِ!
- ١٢٨ . الْمُصِيبَةُ الْعَظْمَى
- ١٢٩ . ١٦ . الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ.. وَحَمَامُ الْحَرَمِ!
- ١٣٠ . أَوْلَا: حَمَامُ الْحَرَمِ.. حَمَامُ الْأَنْبِيَاءِ!

- ١٣٠ ثانياً: أحكام حمّام الحرّم
- ١٣٢ ثالثاً: الحسين وحمّام الحرّم
- ١٣٧ ١٧. عجباً لصبرك.. يا حسين!
- ١٤٦ ١٨. عجائبُ الحسين.. يدُ تُقبَل! وإصبعٌ يُقَطَع!
- ١٤٩ الفئة الأولى: أعداء الحسين عليه السلام
- ١٥٠ الفئة الثانية: أحباب الحسين عليه السلام
- ١٥٢ ١٩. اختبار النبي.. بقتل الحسين.. وأهل بيته!
- ١٥٢ أوها: النبي أشدّ الناس بلاءً
- ١٥٣ ثانيها: أنّ البلاء على أنواع
- ١٥٤ ثالثها: أنّ ما وقع هو أشدّ أنواع البلاء
- ١٥٦ رابعها: أنّ الله اختبر نبيّه في أهل بيته
- ١٦١ الفصل الخامس: عاشوراء العزاء والأحزان
- ١٦١ ٢٠. لماذا يبكي الشيعةُ الحسين؟! ..
- ١٦٣ يوم الحسين أفرح جفوننا.. وأسبل دموعنا!
- ١٦٤ البكاء رحمةً للحسين!
- ١٦٥ دموع الباكين وماء الحياة!
- ١٦٨ ٢١. دُموعٌ.. في الطفوف!
- ١٧٦ ٢٢. السّجّاد.. إمامُ الأحزان!

٢٣. زينب.. وريثة الزهراء.. وناعية الحسين! ١٨٣
- زينب ناعية الحسين ١٨٥
- زينب أنموذج الكمال ١٨٧
٢٤. أربعون يوماً.. من البكاء! ١٩١
- أولاً: مَنْ سَنَّ سُنَّةَ الْبُكَاءِ لِالأربعين؟ ١٩١
- ثانياً: لماذا تجديد العزاء في الأربعين؟! ١٩٣
- ثالثاً: ماتم الآل.. في الأربعين! ١٩٦
- رابعاً: راية الأربعين.. ودعوة للمؤمنين! ١٩٧
٢٥. قل موتوا بغيظكم.. في عاشوراء! ١٩٩
- أولاً: هل لكم ثأر مع الحسين؟! ١٩٩
- ثانياً: هل تريدون نصر إبليس؟! ٢٠١
- ثالثاً: قل موتوا بغيظكم! ٢٠٢
٢٦. هل يُنسى الحزن.. على الحسين؟! ٢٠٥
- أولها: بكاء السماء عليه! ٢٠٥
- ثانيها: دمٌ يجيى يغلي ولا يسكن! ٢٠٦
- ثالثها: دمٌ يجيى يسكن! ٢٠٦
- أولاً: بكاء السماء على الحسين! ٢٠٧
- ثانياً: دماءٌ تغلي عند قتل الحسين! ٢٠٧
- ثالثاً: متى يسكن دم الحسين؟! ٢٠٨
- متى ينقضي حزن الشيعة؟! ٢٠٩

- ٢١٥ الفصل السادس: شعائر.. وشبهات.....
- ٢١٥ ٢٧. مَنبَرُ العزاء.. مَعْقِلُ الطُّهر والنِّقاء!
- ٢١٦ أولاً: عزاًؤنا بحسبنا.. لا بحسب الواقعة!
- ٢١٧ ثانياً: للدمعة أثرٌ عجيب!
- ٢٢٠ ثالثاً: تنزيه المنبر عن الكذب
- ٢٢٢ ٢٨. عاشوراء.. وتوهين المذهب!
- ٢٢٣ المحور الأول: حقيقة (التوهين)
- ٢٢٥ المحور الثاني: السخرية
- ٢٢٨ صفوة القول
- ٢٢٩ ٢٩. سقوط الحداثيين في عاشوراء!
- ٢٣٢ ١. النموذج الأول: بطولات عاشوراء
- ٢٣٤ ٢. النموذج الثاني: تقديس التربة الحسينية
- ٢٣٥ ٣. النموذج الثالث: تأثر الكون بقتل الحسين
- ٢٣٦ ٤. النموذج الرابع: عاشوراء والدماء
- ٢٣٨ عودٌ على بدء
- ٢٤٠ ٣٠. أساطير الشيعة.. في عاشوراء!
- ٢٤١ الوجه الأول: الجبال تخشى الله!
- ٢٤٢ الوجه الثاني: كلُّ شي يسبح الله!
- ٢٤٣ الوجه الثالث: الجمادات تسجد لله!

- الوجه الرابع: بكاء السماء والأرض في القرآن! ٢٤٤
٣١. هل قُتِلَ الحسين؟! أم رَفَعَهُ اللهُ إليه؟! ٢٤٧
٣٢. المسيح هو الله؟! أم الحسين؟! ٢٥٣
٣٣. هل قَتَلَ اللهُ حسيناً؟! ٢٥٩
- الإشكال الأول: شاء الله أن يراك قتيلاً! ٢٦٢
- الإشكال الثاني: أن الإمام اختار لقاء الله! ٢٦٤
٣٤. الإمام الحسين.. وشيعة الشيطان! ٢٦٧
١. حزب الشيطان وأولياؤه ٢٦٧
٢. حزب الشيطان.. أعداء آل محمد عليهم السلام ٢٦٨
٣. قَتَلَهُ الحسين.. شيعة الشيطان! ٢٧٠
٤. هل المتخاذلون من شيعة الحسين؟! ٢٧٢
٣٥. العَجَلُ العَجَلُ.. يا حسين! ٢٧٧
٣٦. أبا لِسَّةً.. في ركبِ يزيد! ٢٨٦
٣٧. لا نريدكم مع الحسين!! ٢٩٥
٣٨. حسين زماننا.. في عاشوراء!! ٣٠٢
- أولاً: من يستعمل هذه التعابير؟ ٣٠٣
- ثانياً: ما المراد من هذه الألفاظ؟ ٣٠٣
- ثالثاً: من أين نشأت هذه الأفكار والاستعمالات؟ ٣٠٤
- رابعاً: لماذا انتشرت هذه الألفاظ بيننا؟ ٣٠٥
- خامساً: أين هو الحق؟! ٣٠٦

٣٩. (بصائرُ) الشُّهداء.. في يوم عاشوراء! ٣١٢
- أولاً: البصيرة.. مع محمدٍ وعليّ! ٣١٢
- ثانياً: البصيرة.. وسيد الشهداء ٣١٤
- ثالثاً: البصيرة.. في أيامنا ٣١٦
٤٠. حَذار حَذار.. يا قُرءاء العزاء! ٣٢٠
٤١. كُئُّ البركة.. في عزاء الحسين! ٣٢٦
- الفصل السابع: الحسين يوم القيامة ٣٣٣
٤٢. الإمام الحسين.. وأيام الله! ٣٣٣
١. ما هي أيامُ الله؟! ٣٣٣
٢. كيف تُنسبُ الأيام لله تعالى؟ وما الثمرة من معرفتها؟! ٣٣٥
- أولاً: الحسين ويوم قيام القائم ٣٣٧
- ثانياً: الحسين يوم الكرّة ٣٣٩
- ثالثاً: الحسين يوم القيامة ٣٤٠
٤٣. الله يعزي الزَّهراء.. لما جرى في عاشوراء! ٣٤٢
٤٤. موائد النور.. لزوار الحسين! ٣٤٧
- أولاً: أئمَّهم أعلمُ النَّاس بالله تعالى! ٣٤٨
- ثانياً: أئمَّهم مصابيح في الظُّلمات ٣٥٠
٤٥. زوار الحسين.. يوم العطش الأكبر! ٣٥٣

- الأوّل: الوديعَة ٣٥٤
- الثاني: المُستودَع ٣٥٥
- الثالث: المُستودَع ٣٥٥
- الرابع: أمدُ الوديعَة وغايتها ٣٥٦
٤٦. ويُستقى الكوثر.. مَنْ بكى الحسين! ٣٥٨
- الفهرس التفصيلي ٣٦٥
- الفهرس الإجمالي ٣٧٥
- كُتِبَ للمؤلف ٣٧٧

الفهرس الإجمالي

٥	مقدمة
٩	الفصل الأول: الحسين.. زينة العرش!
١٧	الفصل الثاني: الحسين.. شهيد الهدى!
٥٩	الفصل الثالث: عاشوراء.. سرُّ الله!
٩٩	الفصل الرابع: عاشوراء.. ومصائب الحسين
١٦١	الفصل الخامس: عاشوراء العزاء والأحزان
٢١٥	الفصل السادس: شعائر.. وشبهات
٣٣٣	الفصل السابع: الحسين يوم القيامة
٣٦٥	الفهرس التفصيلي
٣٧٥	الفهرس الإجمالي
٣٧٧	كُتِبَ للمؤلف

كُتُبُ لِلْمُؤَلِّفِ

كُتُبُ لِلْمُؤَلِّفِ مِنْ سِلْسِلَةِ (العِلْمِ وَالْإِيمَانِ):

١. عِرْفَانُ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
٢. الإِحَادِ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ.
٣. قَبَسَاتُ الْهُدَى: وَقَفَاتٌ مَعَ فِكْرِ الدُّكْتُورِ شَرِيعَتِي.
٤. تَنْزِيهُهُ الشَّيْخِ مِنْ خِرْقَةِ التَّصَوُّفِ.
٥. الثَّلَاوِثُ وَالْكَتُبُ السَّامِيَّةُ.
٦. الثَّلَاوِثُ صَلِيبُ الْعَقْلِ.
٧. أَنْوَارُ الْإِمَامَةِ.
٨. الْوَدِيعَةُ الْمَقْهُورَةُ: فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهَا السَّلَامُ.
٩. عَيْنُ الْحَيَاةِ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
١٠. شَهِيدُ الْهُدَى: الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وَأَبْحَاثٌ أُخْرَى قِيدَ الْإِعْدَادِ، يُمَكِّنُ مُتَابَعَتَهَا عِبْرَ مَوْقِعِ (العِلْمِ وَالْإِيمَانِ):

www.aliiman.net

في هذا الكتاب

أكثر من ٤٥ مقالاً وبحثاً.. عن الحسين بن عليّ عليه السلام ..
عن شخصه الشريف.. وأهل بيته.. وصحبه..
عن شهادته المباركة.. وأسبابها.. وظروفها..
عن مقتله الفجيع.. والقلب الوجيع..
عن مُصِيبَتِهِ الدَّامِيَةِ.. وكربه وبلائه..
عن أعدائه.. شياطين الجنِّ والإنس..
عن شعائره.. وأيامه.. وإحياء أمره..
عن زيارته.. والدَّمعة والبكاء عليه..

أَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيَّ وَبَيْنَ اللَّهِ الْأَعْظَمِ..
النَّادِبُ عَلَى جَدِّهِ صَبَاحاً وَمَسَاءً! الْبَاكِي عَلَيْهِ بَدَلَ الدَّمِوعِ دَمًا!
فِيْنَا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ